



جامعة الزقازيق
كلية الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

الإشارات الإلهية لأبى حيان التوحيدي دراسة لغوية

رسالة مقدمة من الطالبة
أميرة محمد غيث
المدرس المساعد بالقسم
لنيل درجة الدكتوراه فى علم اللغة

إشراف

الأستاذ الدكتور

علاء عبد المجيد القنصل

أستاذ علم اللغة المساعد

بقسم اللغة العربية

بكلية الآداب

جامعة الزقازيق

الأستاذ الدكتور

أحمد يوسف على

أستاذ الأدب والبلاغة

بقسم اللغة العربية

ووكيل كلية الآداب

جامعة الزقازيق

بسم الله الرحمن الرحيم

- أخطاء مصححة

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦	٣	وينقسم مبحثين	وينقسم إلى مبحثين
٦	٦	وينقسم تمهيداً	وينقسم إلى تمهيد
٦	١٤	وينقسم تمهيداً	وينقسم إلى تمهيد
١١	٧	وأما	أما
١٦	٤	فرايز	فريز
١٧	١٠	أشرنا	سبق
٢٨	هامش ١	تحقيق	ترجمة
٤٩	٢٢	وإشارتك	وإشارتك
٦٠	١٦	برداء	رداء
٦٧	٣	جملة الشرط	الجملة الشرطية
٦	٩	على	في
٧٨	١٠	وَجِدْتُ	وَجَدْتُ
٨٢	٧	مصادر	مصادر
٨٢	٨	معتلة	متعلقة
٨٢	١٦	مضافة	بإضافتها
٨٨	٩	الجوارح	الجوارح
٩٤	١	(بالفاء)	ب (الفاء)
٩٩	١٥	(توكلتُ)	(توكلت)
١٠٠	١١	نوعاً	نفعاً
١٠٨	٧	مفعول به+أول ضمير متصل	مفعول به أول ضمير متصل
١١١	٥	مشاعرك	مساورك
١١٢	٥	بأكثر	بأكثراً
١١٢	٥	سُراة	سَراة
١٢٢	٨	كيف	فكيف
١٤٦	٧	تعقيد تركيبها ^(١)	تعقيد تركيبها " (١)

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٤٦	هامش ٣	ص ٧٥	ص ٧٩
١٤٧	٢	الذى يتم التعبير عن المعنى فيه	الذى يتم فيه التعبير عن المعنى
١٤٧	٢	المعقدة	(المعقدة)
١٥١	١٢	لم تره	لم تره
١٥١	٢٢	التركيبين الشرطيين	الجملتين الشرطيين
١٥٧	هامش ٢	الاستعطاف	والاستعطاف
١٧٠	١	لام القسم	لام قسم
١٧٠	٢	الأخير	الآخر
١٧٣	١٢	فعل	فِعْلَى
١٧٧	هامش ٤	لتنشوسكى	لتنشومسكى
١٨٠	هامش ٢	محي	محيى
١٨١	٣	ذكرنا	ذكرتُ
١٨٩	١٥	إلى	إِلَّا
١٩٤	هامش ٢	مثل	مثال
١٩٧	هوامش الصفحة	(٢)،(٣)،(٤)،(٥)،(٦)،(٧)،(٨)	(١)،(٢)،(٣)،(٤)،(٥)،(٦)،(٧)
٢٠٢	هامش ٢	مثلين	مثالين
٢٠٩	١٧	أقصينى	أقصدينى
٢١٢	١٠	الذِكر	الذِكرُ
٢٢٠	٥	خُطام	خِطام
٢٣٥	١٦	والصدور	فى الصدور
٢٤١	٣	مفعول	مفعول به

- ما سقط عن د الكتاب ة
- ما سقط عن د الكتاب ة

الصفحة	السطر	موضع الإضافة	الإضافة
٣	٣	بعد كلمة "تونس"	١٩٨٠م.
٣	٥	بعد كلمة "تونس"	١٩٨٣م.
٣	٧	بعد كلمة "بيروت"	١٩٧٤م.
٤	٣	بعد كلمة "الكتاب"	مرة أخرى
٤	١١	بعد كلمة "التوحيدى"	فى الإشارات
	١٦	بعد كلمة "بالوقوف"	؟ "

الصفحة	السطر	موضع الإضافة	الإضافة
١٠٩			
١٠٩			
١٢١	١	بعد كلمة "الجملة"	التي
١٢٢	٨	بعد كلمة "هذا"	هو
١٢٢	السطر قبل الأخير	بعد كلمة "تونس"	١٩٨٣ م.
١٢٢	آخر سطر	بعد "ص ٨٣٧"	=
١٢٣	أول سطر	بداية السطر	=
١٤٦	٧	بعد كلمة "الجملة"	المفيدة
١٧٣	١١	بعد كلمة "القوة"	وسينبع عند التطلع إلى القوة وتمنيها في ثنايا الضعف
١٧٣	١٣	بعد كلمة " اشهدُ "	وأشرف
٢٣٥	هامش ٢	بعد كلمة "الليب"	ج ٢
٢٤٦	١١		الخصائص: ابن جني، تحقيق محمد على النجار، طبعة دار الهدى، بيروت، ط ١٢، د.ت، ج ٣.

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٦-١	المقدمة:
٦٠-٧	الفصل الأول:
٤٥-٨	المبحث الأول: مفهوم الجملة عند اللغويين العرب القدامى وعند اللغويين المحدثين.
٦٠-٤٦	المبحث الثاني: التراكيب فى الإشارات.
١٧٤-٦٢	الفصل الثانى:
٦٤-٦٣	تمهيد: وسائل اتساع الجملة النواة.
٧٤-٦٥	المبحث الأول: اتساع الجملة عن طريق العناصر الاسنادية وغير الاسنادية.
٨٢-٧٥	المبحث الثانى: اتساع الجملة بالتقييد.
١٠٦-٨٣	المبحث الثالث: اتساع الجملة بالتبعية.
١١٨-١٠٧	المبحث الرابع: اتساع الجملة بالتعدد.
١٤٥-١١٩	المبحث الخامس: اتساع الجملة بالتعاقب.
١٧٤-١٤٦	المبحث السادس: اتساع الجملة بالترتب.
٢٤٣-١٧٦	الفصل الثالث:
١٧٩-١٧٧	تمهيد: أعراض الجملة وتحولاتها
٢٠٢-١٨٠	المبحث الأول: الحذف.
٢١٤-٢٠٣	المبحث الثانى: تغيير الترتيب.
٢٤٣-٢١٥	المبحث الثالث: من عرض الزيادة (الاستفهام - الاعتراض).
٢٤٥-٢٤٤	الخاتمة
٢٥١-٢٤٦	المصادر والمراجع
	الفهرس

المقدمة

"الغريب من إن حضر كان غائباً".

هكذا عومل - فى مجتمعه - الفيلسوف والأديب أبو حيان التوحيدى.

عاش على بن محمد بن العباس أبو حيان التوحيدى فى القرن الرابع الهجرى الذى بلغ فيه الثراء المعرفى مبلغاً كبيراً فتميز بالنضج العلمى والأدبى، و نشطت فيه حركة الترجمة عن الثقافات الأخرى التى من أهمها اليونانية، فأثرت فلسفتها ومنطقها فى شتى العلوم. وفى الوقت نفسه بلغ هذا العصر ذروة الضعف السياسى والاقتصادى؛ إذ كان عصر انقسام الدولة العربية الموحدة إلى دويلات متفرقة، ثم وقعت بغداد فى أيدي البويهيين عام ٣٣٤هـ فانتهى عصر الدولة العباسية، ولم يصبح للخليفة "المستكفى" ولا لمن تبعه من الخلفاء العباسيين حول ولا طول إلا ذكر أسمائهم فى خطبة الجمعة وعلى السكّة المضروبة^(١) فاستشرت الفتن وعظم الفساد وساد النفاق رغبة فى الحياة الناعمة التى أصبح تحقيقها أمراً عسيراً.

عاش التوحيدى هذا العصر الزاهى بالعلم والأدب، المُظلم بالانقسام والظلم الاجتماعى. ونشأ نشأة متواضعة وعاش حياته فقيراً بئساً معدماً، وحين نقص القوت توافر العلم فطلبه التوحيدى ونهل منه.

ولد أبو حيان التوحيدى على الأرجح عام ٣١٠هـ، إذ لم يتفق من ترجموا له على عام ميلاده، ولم يتفقوا كذلك على عام وفاته الذى هو على الأرجح ٤١٤هـ، وكما جهل عام ميلاده وعام وفاته جهل أيضاً مسقط رأسه، فاختلف فيه من ترجم له وقيل هو شيراز أو نيسابور أو واسط. وأول من ترجم له ياقوت الحموى (٥٧٥-٦٢٦هـ) الذى يتعجب من عدم ذكر السابقين له فى كتاب أو دمج ذكره ضمن خطاب^(٢).

تلقى التوحيدى العلوم على يد علماء بغداد والبصرة، ودرس الفلسفة والنحو والبلاغة والفقه والمنطق والتصوف^(٣). وكان من أكبر الأسباب فى اتساع ثقافته ونهله من كل علم

(١) عصر الدول والإمارات، شوقى ضيف، دار المعارف، ١٩٨٠، ص ٥، ص ٢٣٤.

(٢) معجم الأدباء، ياقوت الحموى، دار الفكر، ج ١، ص ٥، ص ٦، ط ٣، ١٩٨٠م.

(٣) عصر الدول والإمارات، ص ٤٤.

عمله بالوراقة، فقد امتهنها التوحيدى لتحقيق أمرين: الاستزادة من علم المعاصرين له، والتكسب للعيش.

والى جانب هذا ألف التوحيدى كثيرا من الكتب، منها ما وصل إلينا ومنها ما لم يصل بسبب حرقه لها. وقد ذكر المؤرخون من مؤلفات التوحيدى رسالة الصداقة والصديق، وكتاب الإمتاع والمؤانسة، وكتاب المقابسات، وكتاب البصائر والذخائر، وكتاب مثالب الوزيرين، وكتاب الإشارات الإلهية... إلخ^(١).

ويعد كتاب "الإشارات الإلهية" من أهم إبداعات أبى حيان التوحيدى وهو خلاصة تجربة صوفية مر بها بعد مرحلة الشعور باليأس والزهد فى الدنيا، وبعد الفشل فى نوال المكانة التى يستحقها بين أقرانه، بوصفه واحداً من أهم مفكرى القرن الرابع الهجرى الأفاذ، ومن أهم أدبائه .

وعن محتوى الكتاب يرى بعض الباحثين أن الكتاب مناجيات وأدعية إلى الله، ويرى آخرون أنه نص واحد بين الذات ونفسها، تتاجى فيه الذات نفسها، فهو ديالوج يجرى على مستويات متقلبة بينه وبين ذاته المتكثرة^(٢).

وعن موضوع الكتاب يقول محققه الدكتور عبد الرحمن بدوى: "إن الكتاب يعبر عن نفس دلفت إلى الإيمان المستسلم بعد أن عانت من تجارب الحياة أهوالا طويلا، ففيه مرارة اليأس من الناس ومن دنيا الناس، وفيه صراحة أليمة لأمل خائب تكسرت عليه نصال الخيبة بعد الخيبة، وفيه عزوف رقيق ولكنه عميق عما يربط بالعاجلة، واستدعاء متوسل لكل ما تلوح به بوارق الآجلة"^(٣).

لم تتل مؤلفات التوحيدى حظها من الدراسات اللغوية على وجه العموم، ولم ينل كتاب "الإشارات" ذلك الحظ على وجه الخصوص، فقد تناولته الباحثون تناولاً جزئياً فى دراساتهم عن التوحيدى، سيرة وآثاراً، بوصفه واحداً من أعماله، أو تناولوه فى إطار الحديث عن قضايا أدبية أو نقدية أو فلسفية، وذلك على سبيل المثال فى الأعمال الآتية:

(١) معجم الأدباء، ج ٥، ص ٧، ص ٨.

(٢) أبو حيان التوحيدى، حوار العقل وسؤال الحرية، ماجد يوسف، مجلة فصول، مج ١٤، العدد ٤، ج ٢، ١٩٩٦ ص ١٢٢. انظر أيضا مقدمة كتاب الإشارات الإلهية، تحقيق عبد الرحمن بدوى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٢٠.

(٣) مقدمة المحقق: ص ٣٤.

- دراسة على دب: "الأديب والمفكر أبو حيان التوحيدي" الدار العربية للكتاب، تونس.
- دراسة محمد عبد الغنى الشيخ: "أبو حيان التوحيدي، رأيه فى الإعجاز وأثره فى الأدب والنقد"، الدار العربية للكتاب، تونس.
- دراسة محمود إبراهيم: "أبو حيان التوحيدي فى قضايا الإنسان واللغة والعلوم"، الدار المتحدة للنشر، بيروت.
- دراسة هالة أحمد فؤاد: "تحولات حديث الوعى"، مجلة فصول، مجلد ١٤، عدد ٤، ج ٢، ١٩٩٦.
- دراسة جعفر الكنسوسى: "تعليقات على كتاب الإشارات الإلهية"، مجلة فصول، مجلد ١٥، عدد ١، ج ٣، ١٩٩٦.

ويعد كتاب الإشارات الإلهية، بوصفه نصاً لغوياً، مختلفاً عن سائر مؤلفات التوحيدي التي كان فيها راوياً عن غيره، أو ناقلاً، أو حاكياً مسامرات تشيع فيها الأسئلة والإجابات، وذلك كما فى "الإمتاع والمؤانسة"، و"المقابسات" و"الهوامل والشوامل"، فهو كتاب اتضحت فيه ذاتية المؤلف، وتجلت فيه إبداعه اللغوى تمام الجلاء. يقول محقق الكتاب: "أما الأسلوب فلم يبلغ فى كتاب من كتب التوحيدي الأخرى: "الإمتاع والمؤانسة"، و"الصدائة والصديق"، و"ثمرات العلوم" و"المقابسات" مقدار ما بلغه فى هذا الكتاب، كتاب "الإشارات الإلهية" سمواً وحرارة وموسيقى وتمكناً من الأداء... نعم، للموضوع مدخل كبير فى تلوين الأسلوب، بل وصياغته^(١). ومن هنا فإن "الإشارات الإلهية" مؤلف يسترعى الانتباه لما يحويه من ظواهر لغوية، وبصورة خاصة التراكيب والجمال، وما تمتاز به من امتداد داخلى ولقد أثرت أن أدرس التراكيب والجمال لتعرف خصائصها مستخدمة المنهج الوصفى الذى يعنى برصد الظاهرة اللغوية ووصفها فى ضوء النظرية التوليدية التحويلية التى تدرس ما يطرأ على الجملة من تغييرات.

وقد قام الدكتور عبد الرحمن بدوى بتحقيق الكتاب عام ١٩٥٠م، استناداً إلى المخطوطة رقم ٨ تصوف بالمكتبة الظاهرية بدمشق، وهى تتكون من أربع وخمسين رسالة^(١). ثم قامت وداد القاضى فى عام ١٩٧٣م بتحقيق الكتاب واستندت إلى المخطوطة السابقة مع مخطوطة الملخص

(١) مقدمة المحقق: ص ٣٣.

(١) مقدمة المحقق، ص ٢٩-٣٢.

من "الإشارات الإلهية" المحفوظة في مكتبة الدولة ببرلين الغربية، فأضافت ملخصاً لعشر رسائل لم يذكرها عبد الرحمن بدوي في تحقيقه^(٢).

وقد اعتمدت على تحقيق وداد القاضي نظراً لوجود تلك الرسائل الزائدة التي لم ترد في تحقيق عبد الرحمن بدوي، وفي الوقت نفسه فقد استعنت بتحقيق بدوي لاستيضاح ما قد يكون غامضاً في تحقيق وداد القاضي، وقد أفدت من مقدمته أيضاً.

يحوى الكتاب في طبعة تحقيق وداد القاضي أربعاً وخمسين رسالة تعد الجزء الأول ثم ملخصاً من الجزء الثاني، الذى أشار إليه ياقوت الحموى، يضم عشر رسائل.

انقسمت مستويات الخطاب لدى التوحيدى ثلاثة أقسام: التوجه إلى الله، والتوجه إلى الذات، والتوجه إلى "الآخر" سواء أكان هذا "الآخر" هو الإنسان الأدنى بوصفه عاصياً متطلعاً للعالم وأغراضها، وقد تمثل في كثير من صيغ النداء، وأهمها "يا هذا"، و"يا أيها الإنسان"،... إلخ أم كان هذا "الآخر" هو الإنسان الأعلى الذى يلتبس منه الحكمة، وقد تمثل في صيغ مختلفة من النداء منها "يا سيدى"، و"أيها الشيخ"،... إلخ، أم كان الند الذى يستمد منه الأُنس، فيبث إليه حاله، ونلتبس هذا الند فى صيغ نداء مختلفة مثل "أيها الجليس المؤنس والصاحب المساعد"^(٣).
منهج البحث:

يعنى هذا البحث بدراسة التراكيب والجمل فى الإشارات الإلهية لأبى حيان التوحيدى بوصفها موضع الاهتمام البارز عند قدامى اللغويين العرب خصوصاً منذ ابن هشام، وبوصفها غاية التحليل اللغوى فى المنهج الوصفى، و بداية التحليل اللغوى من وجهة نظر النظرية التوليدية التحويلية، التى تقوم على أساس أن اللغة الإنسانية نظام من "القوانين" المحدودة المستقرة فى ذهن متكلم اللغة؛ هذه القوانين تفسر إنتاج (أو توليد) جملها اللامتناهية. إنتاج الجمل فى الكلام له صور لا حصر لها فى أية لغة؛ ومن ثم فإنه من المتاح دراسة تلك القوانين (أو النماذج) المحدودة التى تبني على أساسها الجمل (أو الأشكال) اللانهائية التى تنتج عن الأداء اللغوى.

(٢) الإشارات الإلهية، أبو حيان التوحيدى، تحقيق وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣، ص ٢٦.

(٣) تحولات حديث الوعى، قراءة فى التوحيدى، هالة أحمد فؤاد، مجلة فصول، مج ١٤، العدد ٤، ج ٢، ١٩٩٦، ص ١٠٥-١٠٩.

يقول عبدالقاهر "الألفاظ المفردة التى هى أوضاع اللغة، لم توضع لتُعرف معانيها فى أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينهما فوائدها"^(١) .

وقد قنن عبدالقاهر هذا الضم، فهو عنده ذو كيفية محددة وإلا فقدت اللغة الإنسانية وظيفتها فى التواصل، فيوضح أن "ليس الغرض بنظم (ضم) الكلم أن توالى ألفاظها بل أن تتناسق دلالته وتلاقى معانيها على الوجه الذى اقتضاه العقل ... نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه من بعض"^(٢). وهذا الوجه الذى اقتضاه العقل هو الأساس الذى أقام عليه "تشومسكى" نظريته اللغوية.

واللغة^(٣) عند تشومسكى قدرة Competence فطرية قارة فى الذهن تساعد الإنسان على اكتساب لغته وقواعدها فى الطفولة المبكرة، وتسخرها لوضع أمثلة الكلام التى تحقق لغته. وعلى اللغوى-إذن- أن يعمل على صياغة تلك القواعد الموجودة ضمن سليقة متكلم اللغة وقدرته.

واللغة العربية ، مثلها مثل بقية لغات العالم، ينطبق عليها ما حاول "تشومسكى" أن يصل إليه من وضع نظام تجريدى عام من القوانين النحوية ليشمل كل لغات العالم، على الرغم من أن كل لغة إنسانية لها خصائصها التى تميزها عن غيرها. ومن المعلوم أن النظرية التوليدية التحويلية تلتقى مع النحو العربى فى بعض الأوجه، التى تنتمى إلى التراث اللغوى العربى .

وبناء على هذه المنطلقات درست التراكيب والجمال فى الإشارات الإلهية، وعملت على تمييز الجمل من حيث بساطتها وتعقدها، ومن ثم قمت بدراسة طول الجملة وامتداداتها، وحدا ذلك بى إلى تحليل بعض أنواع الجمل إلى أنماطها التركيبية المختلفة، ثم قمت بدراسة أهم ما اعترى الجملة من تغييرات وتحويلات على مستوى بنيتها السطحية حيث إنها مثلت ظواهر متميزة ومتكررة فى نص أبى حيان التوحيدي .

(١) دلائل الإعجاز: عبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٢، ص ٥٣٩.

(٢) المصدر السابق : ص ٤٩ - ٥٠ .

(٣) نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث، نهاد موسى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ١٩٨٠م، ص ٤٧.

وبعد هذه المقدمة: التى تناولت نبذة عن صاحب كتاب "الإشارات الإلهية" أبى حيان التوحيدي،
والتعريف بالكتاب، والطبعة المعتمدة فى البحث، ينقسم البحث إلى ثلاثة فصول ، هى :

الفصل الأول: وينقسم مبحثين:

- المبحث الأول: مفهوم الجملة عند اللغويين العرب القدامى، وعند اللغويين المحدثين.
- المبحث الثانى: التراكيب فى الإشارات.

الفصل الثانى: وينقسم تمهيداً وستة مباحث:

- تمهيد: وسائل اتساع الجملة النواة.
- المبحث الأول: اتساع الجملة عن طريق العناصر الاسنادية وغير الاسنادية.
- المبحث الثانى: اتساع الجملة بالتقييد.
- المبحث الثالث: اتساع الجملة بالتبعية.
- المبحث الرابع: اتساع الجملة بالتعدد.
- المبحث الخامس: اتساع الجملة بالتعاقب.
- المبحث السادس: اتساع الجملة بالترتيب.

الفصل الثالث: وينقسم تمهيداً وثلاثة مباحث:

- تمهيد: أعراض الجملة وتحولاتها.
- المبحث الأول: الحذف.
- المبحث الثانى: تغيير الترتيب.
- المبحث الثالث: الزيادة (الاستفهام – الاعتراض).

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

والله ولى التوفيق

الفصل الأول

مفهوم الجملة

المبحث الأول

مفهوم الجملة عند اللغويين العرب القدامى:

الجملة فى اللغة "واحدة الجمل، والجملة: جماعة الشئ، وأجمل الشئ: جمعه عن تفرقة، وأجمل له الحساب كذلك، والجملة: جماعة كل شئ بكماله من الحساب وغيره. يقال: جملت له الحساب والكلام قال الله تعالى: "لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة" ... وفى حديث القدر: "كتاب فيه أسماء أهل الجنة والنار أجمل على آخرهم فلا يزداد فيهم ولا ينقص"^(١).

وفى تاج العروس نجد توضيحاً لحد الجملة اصطلاحاً يقول الزبيدى "والجملة بالضم جماعة الشئ، كأنها اشتقت من جملة الحبل، لأنها قوى كثيرة جمعت فأجملت جملة ... قيل لكل جماعة غير منفصلة جملة...ومنه أخذ النحويون الجملة لمركب من كلمتين أسندت إحدهما للآخرى"^(٢).

لم يرد فى كتب النحاة القدامى قبل ابن هشام فصل خاص بالجملة بمفهومها الاصطلاحى، بل كانت لهم لمحات متفرقة فى بعض أبواب النحو، مثل باب الكلام وباب المبتدأ وباب النعت .. وقد ورد فى "الكتاب" إشارة إلى الفرق بين الكلام والقول فى "باب الأفعال التى تستعمل وتلغى" يقول سيبويه "واعلم أن قلت" إنما وقعت فى كلام العرب على أن يحكى بها وإنما تحكى بعد القول ما كان كلاماً، لا قول"^(٣) نحو قلت: زيد منطلق لأنه يحسن أن تقول: زيد منطلق"^(٤).

ونجد استنباطاً لدى ابن جنى يقول فيه معلقاً على كلام سيبويه "... فتمثيله بهذا يعلم منه أن الكلام عنده ما كان من الألفاظ قائماً برأسه مستقلاً بمعناه، وأن القول عنده بخلاف ذلك إذ لو كانت حال القول عنده حال الكلام لما قدّم الفصل بينهما ولما أراك فيه أن الكلام هو الجمل المستقلة بأنفسها الغانية عن غيرها .. فعلى هذا يكون قولنا قام زيد كلاماً فإن قلت شارطاً: إن قام زيد..فصار قولاً لا كلاماً ألا تراه ناقصاً ومنتظراً للتمام بجواب الشرط؟"^(٥). وفى موضع لاحق يساوى ابن جنى بين مفهومي الكلام والجملة فيقول: "فقد ثبت بما شرحناه

(١) لسان العرب: ابن منظور ، ج١ ، مادة جمل.

(٢) تاج العروس: الزبيدى ، المطبعة الخيرية، ط١ ، ١٣٠٦هـ، ج٧ ، ص٢٦٤.

(٣) وردت هكذا فى النص.

(٤) الكتاب: سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج١، ص١٢٢.

(٥) الخصائص: ابن جنى، تحقيق محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣ ، ١٩٨٦م، ج١،

وأوضحناه أن الكلام إنما هو فى لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برعوسها المستغنية عن غيرها وهى التى يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تركيبها^(١).

ويعرف ابن مالك فى الكافية الكلام فى مبحث "الكلام: معناه وكيفية تركيبه" بقوله: "ما تضمن كلمتين بالإسناد ولا يتأتى ذلك إلا فى اسمين أو فى فعل واسم"^(٢)، ويقول فى مستهل الألفية فى مبحث "الكلام وما يتألف منه": "كلامنا لفظ مفيد كاستقم"^(٣). ويوضح ابن هشام الأنصارى فى أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك المقصود بالإفادة فيقول: "الكلام فى اصطلاح النحويين عبارة عما اجتمع فيه أمران: اللفظ والإفادة، والمراد باللفظ الصوت المشتمل على بعض الحروف تحقيقاً أو تقديرًا، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه. وأقل ما يتألف الكلام من اسمين كـ "زيد قائم" ومن فعل واسم كـ "قام زيد" ومنه "استقم" فإنه من فعل الأمر المنطوق به ومن ضمير المخاطب المقدر بأن^(٤).

وفى التسهيل يرى ابن مالك أن الكلام أخص من الجملة يقول: "والكلام ما تضمن من الكلم إسناداً مفيداً ومقصوداً لذاته"^(٥). وقد صرح ابن مالك فى التسهيل بالتركيب والقصد "نظراً إلى أن الإفادة. تستلزمهما ... وزاد فقال ... لذاته ... لإخراج نحو قام أبوه من قولك جاعنى الذى قام أبوه"^(٦) "لأن الإسناد فيه ليس مقصوداً لذاته بل لتعيين الموصول وتوضيحه ومثلها الجملة الخبرية والحالية والنعتية"^(٧).

ويضيف الرضى إلى تلك الجمل الجملة الشرطية والقسمية، فهى ليست بكلام لأن إسنادها ناقص وليس أصلياً، ولم يكن مقصوداً لذاته لتوقفها على ما هى قيد له^(٨).

(١) الخصائص: ج ١، ص ٣٣.

(٢) شرح الرضى على الكافية: من عمل يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، مطابع الشروق، بيروت، ج ١، ص ٣١.

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ط ٢٠، ١٩٨٠م، ج ١، ص ١٣.

(٤) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: تأليف ابن هشام، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط ٦، ١٩٧٤م، ج ١، ص ١١.

(٥) شرح التسهيل: ابن مالك، تحقيق عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوى المختون، دار هجر للطباعة والنشر، ط ١، ١٩٩٠م، ج ١، ص ٥.

(٦) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: دار إحياء الكتب العربية، ج ١، ص ٢٠، ص ٢١.

(٧) المصدر السابق: ص ٢١.

(٨) شرح الرضى على الكافية، ج ١، ص ٣٣. كذلك حاشية الخضرى على ابن عقيل على ألفية ابن مالك دار إحياء الكتب العربية، ج ١، ص ١٥.

وعلى ذلك "يكون الفرق بين الجملة والكلام أن الجملة ما تضمن الإسناد الأصلي سواء أكانت مقصودة لذاتها أم لا كالجملة التي هي خبر المبتدأ ... والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً لذاته فكل كلام جملة ولا ينعكس" ^(١).

يعد ابن هشام أول من جعل للجملة باباً خاصاً في مؤلفه "مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب" وهو باب "فى تفسير الجملة وذكر أقسامها وأحكامها: شرح الجملة وبيان أن الكلام أخص منها لا مرادف لها" ، يقول: "الكلام: هو القول المفيد بالقصد والمراد بالمفيد ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله كـ "قام زيد"، والمبتدأ وخبره كـ "زيد قائم" وما كان بمنزلة أحدهما نحو "ضرب اللص"، و "أقائم الزيدان"، و "كان زيد قائماً"، و "ظننته قائماً". وبهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين كما يتوهمه كثير من الناس وهو ظاهر قول صاحب المفصل ^(٢) فإنه بعد أن فرغ من حد الكلام قال: ويسمى جملة والصواب أنها أعم منه إذ شرطه الإفادة بخلافها ولهذا تسميهم يقولون: جملة الشرط ، جملة الجواب ، جملة الصلة وكل ذلك ليس مفيداً فليس بكلام" ^(٣).

^(١) شرح الرضى على الكافية: ج ١، ص ٣٣.

^(٢) يعرف الزمخشري الكلام فى المفصل بقوله " هو المركب من كلمتين أسندت إحداها إلى الأخرى ... ويسمى الجملة" فلم يفرق بينهما. شرح المفصل لابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، ج ١، ص ١٨.

^(٣) مغنى اللبيب: ابن هشام ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الاتحاد العربى ، القاهرة ، ج ٢، ص ٣٧٤.

وقد قسم ابن هشام الجملة إلى:

أ- اسميه وفعلية وظرفية^(١).

ب- صغرى وكبرى^(٢). (من حيث بساطتها وتعقدها).

وقسم الجمل من حيث موقعها الإعرابي قسمين:

أ- الجمل التى لها محل من الإعراب^(٣). (التى تحل محل المفرد).

ب- الجمل التى لا محل لها من الإعراب^(٤). (التى لا تحل محل المفرد).

وأما عن التقسيم إلى اسمية وفعلية وظرفية "فالاسمية هى التى صدرها اسم كـ "زيد قائم" و "هيهات العقيق" و "قائم الزيدان" عند مَنْ جوزه وهو الأخفش والكوفيون. والفعلية هى التى صدرها فعل كـ "قام زيد" و "ضرب اللص"، و "كان زيد قائماً"، و "ظننته قائماً"، و "يقوم زيد"، و "قم". والظرفية هى: المصدرة بظرف أو مجرور، نحو: "أعندك زيد"، و "أفى الدار زيد"^(٥). وقد احترز ابن هشام فى تعريفه هذا للجملة الظرفية بقوله "إذا قدرت زيداً فاعلاً بالظرف والجار والمجرور لا بالاستقرار المحذوف"^(٦). إذ إنه رد الجملة الظرفية إلى الجملة الاسمية، يقول فى باب الأسماء التى تعمل عمل الفعل "... تقول "ما عندك مال" و "ما فى الدار زيد" والأصل ما استقر عندك مال وما استقر فى الدار زيد فحذف الفعل وأنيب الظرف والجار والمجرور عنه وصار العمل لهما ... وقيل إنما العمل للمحذوف واختاره ابن مالك ويجوز أن تجعلهما خبراً مقدماً وما بعدهما مبتدأ مؤخراً وعلى هذا يمكن ردها إلى الجملة الاسمية"^(٧).

وهناك من أضاف إلى أنماط الجملة، الجملة الشرطية ومنهم الزمخشري ولكنها من قبيل

الجملة الفعلية فتد إلىها^(٨).

وعلى هذا فالعبرة فى صدر الجملة تكون للمسند وللمسند إليه ولا يعتد بما يتقدم عليهما

من الحروف "فالجملة من نحو "أقائم الزيدان"، و "أزيد أخوك"، و "لعل أباك منطلق"، و "ما زيد

(١) مغنى اللبيب، ج ٢، ص ٣٧٦.

(٢) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٨٠.

(٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١٠.

(٤) المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٨٢.

(٥) المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٧٦.

(٦) نفسه.

(٧) شرح شذور الذهب: ابن هشام الأنصارى، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، د. ت، ص ٤١٠.

(٨) مغنى اللبيب: ج ٢، ص ٣٧٦.

قائماً" اسمية ونحو "أقام زيد ، وإن قام زيد، وقد قام زيد ،وهلا قمت" فعلية^(١) "والمعتبر أيضاً ما هو صدر فى الأصل فالجملة من نحو "كيف جاء زيد" ومن نحو "فأى آيات الله تتكرون"^(٢) ومن نحو "فريقاً كذبتهم وفريقاً تقتلون"^(٣) و "خشعاً أبصارهم يخرجون"^(٤) فعلية لأن هذه الأسماء فى نية التأخير وكذا الجملة فى نحو "يا عبد الله " ونحو "وإن أحد من المشركين استجارك"^(٥) و "الأنعام خلقها"^(٦) و "الليل إذا يغشى"^(٧) لأن صدورهما فى الأصل أفعال، والتقدير (أدعو عبد الله)^(٨) ،و(إن استجارك أحد)، و (خلق الأنعام)، و (أقسم والليل)^(٩).

نلاحظ أن ابن هشام يعرض هنا للأصل غير الظاهر فى الجمل على مستوى البنية الشكلية.

أما عن تقسيم ابن هشام الجملة إلى كبرى وصغرى فقد عرف الجملة الكبرى بأنها الجملة المصدرة باسم مبتدأ وخبرها جملة نحو قولنا "زيد قام أبوه" ، وزيد أبوه قائم ، وهى أيضاً الجملة المصدرة بفعل نحو قولنا "ظننت زيدا يقوم أبوه". أما الصغرى فهى الجملة المبنية على المبتدأ فى

(١) مغنى اللبيب: ج٢، ص ٣٧٦.

(٢) سورة غافر آية ٨١.

(٣) سورة البقرة آية ٨٧.

(٤) سورة القمر آية ٤.

(٥) سورة التوبة آية ٦.

(٦) سورة النحل آية ٥.

(٧) سورة الليل آية ١.

(٨) نجد أن الدكتور مهدى المخزومى يوافق ابن هشام فى تسمية الجملة بصدرها ولا عبرة عنده بما تقدم على المسند والمسند إليه من حروف وأفعال ناسخة على سبيل المثال ، كما يوافقه فى الاعتداد بما جاء صدرأ فى الأصل وإن تقدم عليه ما هو فى نية التأخير ، ولكنه ينقد رأى ابن هشام عندما عدَّ "يا عبد الله" من قبيل الجملة الفعلية حيث إنه جعل "يا" تنوب مناب فعل قدره بـ "أدعو" فالنداء أسلوب خاص يؤدى وظيفة بمركب لفظى خاص لأن تقدير الفعل يتحول الكلام به من كونه إنشاء إلى كونه خبراً وقولهم "يا عبد الله" لا يعدو أن يكون أداة للتنبيه ولفت نظر للمنادى ولا يختلف عن أمثاله من الأدوات التى للتنبيه مثل "ألا" وغيرها. وعلى هذا فهو يعد "يا عبد الله" وما يماثلها مما لا يرتفع إلى منزلة الجملة. (فى النحو العربى، نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٦٤، ص ٥٣، ص ٥٤).

ويقول برجستراسر فى ذلك "إن النداء .. ليس بجملة ولا قسم من جملة ويشبه الجملة فى أنه مستقل بنفسه لا يحتاج إلى غيره ... والنداء وأمثاله نسميها أشباه الجملة" لأنه لا يتوافر فيها الإسناد. (التطور النحوى للغة العربية: برجستراسر، ترجمة رمضان عبدالتواب، الخانجي، القاهرة والرفاعى بالرياض، ١٩٨٢، ص ١٢٥).

ونجد أن الدكتور عبد الرحمن أيوب يرى أن مثل هذه الأساليب : النداء، التعجب، المدح، الذم هى جمل ووصفها بكونها غير إسنادية، أى أنها تعطى معنى مفيدا ولكنها تفتقر إلى الإسناد. (الفعل، زمانه وأبنيته، إبراهيم السامرائى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٨٦، ص ٢١١).

(٩) مغنى اللبيب: ج٢، ص ٣٧٦.

الجملة الكبرى أى الجملة التى تقع خيراً للمبتدأ كما فى المثالين الأولين، فالجملتان الصغرتان فيهما "قام أبوه" و "أبوه قائم". أما الجملة الصغرى فى المثال الثالث فهى جملة المفعول به الثانى "يقوم أبوه". ومن ثم تنقسم الجملة الكبرى إلى ذات وجه و ذات وجهين كما عبر "ابن هشام". والمقصود بالجملة الكبرى ذات الوجه ، الجملة الكبرى التى يكون صدرها مثل عجزها (يقصد به صدر الجملة الصغرى التى هى جزء من مبنى الجملة الكبرى) إما اسماً وإما فعلاً مثل المثالين السابقين "زيد أبوه قائم" و "ظننتُ زيداً يقوم أبوه" فقد تشاكل الصدر والعجز من حيث الاسمية والفعلية. والمقصود بالجملة الكبرى ذات الوجهين، الجملة التى يختلف صدرها عن عجزها فيكون صدرها جملة اسمية وعجزها جملة فعلية مثل: "زيد يقوم أبوه"، أو يكون صدرها جملة فعلية وعجزها جملة اسمية مثل "ظننتُ زيداً يقوم أبوه" (١).

وعلى هذا فالجملة الكبرى هى جملة أشمل وأطول تحوى جملة صغرى، أو أكثر داخل بنيتها حتى تؤدى معنى يحسن السكوت عليه. والجملة الصغرى هى جملة لا تعطى معنى يحسن السكوت عليه، أى ليست قائمة بذاتها دلالياً، بل هى مرتبطة بعنصر أو أكثر داخل الجملة الكبرى ولهذا فقد تحوى الجملة الكبرى جملة صغرى، أو أكثر حتى تعطى المعنى التام. والأمثلة التى أتى بها ابن هشام هى مجرد أمثلة للجملة الكبرى تؤدى بعض أنواعها وليس كل أنواعها؛ وهذا ما سيتضح عند الحديث عن التراكيب.

ومن ثم فإن الجملة تعد أساسية (نواة) إذا اكتفى بعنصريها الأساسيين فحسب، فيكتفى حينئذ فى الجملة الاسمية بالمبتدأ والخبر المفرد. وفى الجملة الفعلية يكتفى بالفعل والفاعل كى يتوافر الحد الأدنى لجعل الجملة كلاماً مفيداً يحمل معنى تاماً، غير أنه قد تطول الجملة الأساسية بعناصر غير أساسية وهى التى سماها النحاة "فضلة" فإنها إذاً تشابك عناصرها مكونة بنية أكبر وأكثر تعقيداً فتخرج الجملة من نطاق البساطة إلى نطاق التركيب والتعقد ويكون هذا سبباً فى طولها وامتدادها.

وطول الجملة أو قصرها ما هو إلا نتاج لنظم الكاتب (ناثراً كان أو شاعراً) ؛ وهذا النظم يُقصد به كما قال عبد القاهر " لا نظم فى الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك ... تعتمد إلى اسم فتجعله فاعلاً لفعل أو مفعولاً، أو تعتمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبراً عن الآخر، أو تتبع الاسم اسماً على أن يكون الثانى صفة للأول أو تأكيداً له أو بدلاً منه، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون صفة

(١) معنى اللبيب، ج٢، ص ٣٨٠.

أو حالاً أو تمييزاً، أو تتوخى في كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفياً أو استفهاماً أو تمنياً فتدخل عليه الحروف الموضوعة لذلك، أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطاً في الآخر، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى أو بعد اسم من الأسماء التي ضمنت معنى ذلك الحرف" (١).

يوضح عبد القاهر في النص السابق وسائل تركيب الكلام، ويوضح أيضاً بعض العناصر اللغوية التي تسمى "فضلة" فتضاف إلى الجملة المستوفية لعنصرها الأساسيين من مسند + مسند إليه في الجملة الفعلية، أو من المسند إليه + المسند في الجملة الاسمية - هذه العناصر التي تسمى "العمد". وهذه العناصر اللغوية إما أن ترتبط مباشرة بعناصر الإسناد، مثل ارتباطها بالمسند الفعل فتسمى متعلقات الفعل كالمفعول المطلق، والمفعول لأجله، والمفعول فيه، والمفعول الحرفي، وإما أن تأتي لفائدة عنصر من عناصر التركيب كما يأتي الحال والتمييز (٢) لزيادة الفهم والإفهام؛ إذ إن كل زيادة في مبنى الجملة (وليس في مبنى المفردة فقط) يتبعه زيادة في المعنى. فكلما (٣) أنشأ المتكلم علاقات ارتباط وعلاقات ربط في الجملة زيادة على نواة الإسناد كان ذلك زيادة في الفائدة المستقاة من الإسناد بل إنه قد يتغير معنى الجملة عما كان عليه قبل إنشاء العلاقة الجديدة وفي هذا التغير إفادة جديدة.

وفي تقسيم ابن هشام الجملة على حسب موقعها الإعرابي تحديد للعناصر اللغوية والوظائف النحوية التي تمثل بنى لغوية إضافية في الجملة الأساسية القصيرة فتصبح ممتدة .

(١) دلائل الإعجاز: ص ٥٥.

(٢) الألسنية العربية: الألسنية ٢، النحو، الجملة، الأسلوب : ريمون طحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٢ ، ١٩٨١، ص ٧٢.

(٣) الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط ٢، ١٩٩٧، ص ١٦١.

مفهوم الجملة عند اللغويين المحدثين:

من الدراسات الحديثة التي عنيت بالجملة دراسة الدكتور إبراهيم أنيس الذي عنى بدراسة الجملة العربية . وهو يقسم فى كتابه "من أسرار اللغة" الجمل إلى: بسيطة (قصيرة) ومعقدة (طويلة) فيقول: "... حين نحلل الكلام فى كل لغة نرى أنه يمكن أن ينقسم إلى كتل يفيد كل منها معنى قد يكتفى به السامع ويضمن إليه، وتشتمل كل كتلة منها فى غالب الأحيان على ما يسمى بالمسند والمسند إليه وحدهما وتلك هى الجملة القصيرة التى اكتفى فيها بركنيتها الأساسيين مثل قول إبراهيم حين رأى القمر بازغا "هذا ربي"، ولكن الجملة تتضمن فى الأعم الأغلب أموراً أخرى تطول بها الجملة وتتعدد مثل قوله تعالى : "والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً" (النساء : ٥٧) ؛ فالمسند إليه هنا قوم معينون من الناس، وقد أسند إليهم ما يستحقونه من دخول الجنة والخلود فيها وقد جاء هذا الإسناد فى صورة من الكلام مطولة معقدة " (١).

وهناك دراسة أخرى قام بها ريمون طحان حيث فرق بين الكلام والجملة، فيعرف الكلام بأنه "ما تركيب من مجموعة متناسقة من المفردات لها معنى مفيد" (٢). ويعرف الجملة بأنها "الصورة اللفظية الصغرى أو الوحدة الكتابية الدنيا للقول أو للكلام الموضوع للفهم والإفهام وهى تبين أن صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها فى ذهن المتكلم الذى سعى فى نقلها، على حسب قواعد معينة وأساليب شائعة إلى ذهن السامع . ولا يكون الكلام تاماً والجملة مفيدة إلا إذا روعيت فيهما شروط خاصة منها ما يعود إلى المنطق، ومنها ما يعود إلى متطلبات اللغة وقيودها" (٣). والجملة "من ناحية الدلالة هى أقل كمية من الكلام وهى من ناحية البنية تركيب يتألف من ثلاثة عناصر أساسية : المسند والمسند إليه والإسناد (٤)، وقد تضاف إليها عناصر أخرى حين لا تكتفى العملية الاسنادية بذاتها" (٥). وهو يقسم الجملة إلى بسيطة، ومركبة ومعقدة وهى وحدة أكبر من الجملة المركبة وسلسلة طويلة من الكلام المتتابع الذى يعبر عن المعنى المقصود ويؤدى المراد (٦).

(١) من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٥، ١٩٧٥، ص ٢٧٧.

(٢) الألسنية ٢: ص ٤٤.

(٣) نفسه.

(٤) الذى يمثل الرابطة بين المسند والمسند إليه وهى، كما هو معلوم، فى الجملة العربية تصور عقلى لا يتحقق على مستوى البنية الشكلية.

(٥) الألسنية ٢، ص ٥٤.

(٦) المرجع السابق، ص ٩٦ ، ص ١١١.

مفهوم الجملة عند الغربيين:

الاتجاه التقليدي:-

ويعتمد هذا الاتجاه على إفادة الجملة معنى كاملاً مستقلاً وقد وضع اللغويون الغربيون تعريفات شتى للجملة، ويضع فرايز Fries فصلاً بعنوان "ما الجملة؟" في دراسة له عن التركيب في اللغة الإنجليزية ويذكر أن هناك أكثر من مائتي تعريف مختلف للجملة وضعه المهتمون بدراسة منطوقات Utterances اللغة الإنجليزية . ولكن التعريف المعتاد هو أن الجملة هي مجموعة من الكلمات تعبر عن فكرة (معنى) كاملة^(١).

ويعرفها جسبرسن Jespersen بأنها منطوق بشرى يعبر عن معنى تام ومستقل نسبياً، ويتضح تمام المعنى واستقلاله من خلال إفادته^(٢).

وهناك تعريفات أخرى التي تتفق في إفادة الجملة المعنى المفيد المستقل واشتراط توافر الإسناد بين عناصرها^(٣).

الاتجاه البنيوي، والاتجاه التوليدي التحويلي:

قامت دراسة اللغة ومحاولة ضبطها بوصفها علماً في القرن السابع عشر والثامن عشر على أساس أن هذا العلم يلقي الضوء على طبيعة التفكير الإنساني أو طبيعة العقل ذاته، ومن ثم يمكن اكتشاف حقيقة أن هناك منطقاً جامعاً يتمثل في قوانين العقل. وقد نبع ذلك من التأثير بفلسفة هذا العصر التي أسسها الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت الذي قال بحقيقة أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمتلك القدرة على اللغة بوصفها رموزاً منطوقة أو مكتوبة للتعبير عن أفكاره. هذه الرموز هي التي تعد وعاء لهذا المحتوى الفكري. وانطلاقاً من تشابه نظم التفكير والقدرات الأساسية للعقل عند جميع البشر، فقد انبثق عن ربط اللغة بالفكر اتجاه عرف باسم النحو العالمي العقلية the port royal grammar متأثراً بالفلسفة العقلية لدى ديكارت وكان مدخلاً للنظر إلى اللغة على أنها وصف دقيق للتفكير وصورة له، وعُدَّ كتاب "النحو العام والقياس"

(١) The structure of English: Charles Fries, New York, 1952, p. 9.

(٢) The Philosophy of Grammar: Otto Jespersen, London, p. 307 .

(٣) Essentials of Grammar and Composition: Glenn Legyet, C. David and William Charvat, p.495.

A. Arnould ، ولانسيلوت Cl. Lancelot من أهم المؤلفات التي مثلت هذا الاتجاه لتأسيس نظرية نحوية عالمية في هذا القرن، تجمع القواعد العامة المتشابهة لكل اللغات بغض النظر عن التفاصيل التي تميز لغة عن أخرى، عن طريق تقديم تفسير عقلاني لأجزاء الكلام والأشكال النحوية.

ذهب علماء القرن الثامن عشر إلى أن تأسيس نحو منطقي عالمي لن يكون كافياً لفهم الفكر بعيداً عن الأخذ في الحسبان نمو الأفكار، إذ كان هذا النوع من النحو الذي حاول تأسيسه علماء القرن السابع عشر بمعزل عن الزمن، وكان ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار نمو الأفكار فنظروا إلى عنصر الزمن، ولكن بطريقة مفترضة وخيالية فتجاوز علماء القرن الثامن عشر القول بأن اللغة صورة للتفكير بناءً على تلك النظرة.

اتجه البحث لمعرفة أصل اللغة وطبيعتها لمعرفة طبيعة التفكير، كما أشرنا، ومن هنا جاءت محاولة شرح العلامات والأفكار المجردة عن طريق تخيل أصولها في الإيمان والحركة والشعور، فاصطبغت الدراسة بالصبغة الفلسفية. وقد أدت الرغبة في دراسة آلية عمل العقل من خلال اللغة إلى البحث في الجذور البدائية، أي العناصر الأساسية الكامنة في قلب كل العلامات التي تطورت عنها وتخيّل أسسها العقلانية، فكان الجذر بمثابة وحدة تمثيل أو وحدة معنى ثم أمكن التفكير في التطورات اللاحقة بوصفها امتدادات استعارية أو إضافات خارجية لهذه العلامات الأساسية فراح المحللون يبررون العلامات ويدرسون أصولها على أساس اشتقاقها المفترض من الجذر الذي يعد الأساس الطبيعي لكل العلامات المتعلقة به؛ فلم تكن الكلمات لديهم علامات اعتباطية ولكن لها أساس معقول، وذهبوا إلى أن الشبه بينها وبين العلامة الأولية / الجذر يبرر وجودها، فتم الربط بين العقل واللغة من خلال المفاهيم الطبيعية التي مثلتها الجذور اللغوية المفردة. وهكذا قامت دراسة اللغة على أساس نظرية التمثيل حيث جُمع بين الكلمات على أساس وحدة التمثيل، أو وحدة المعنى وكانوا يلتزمون مادتهم في اللغات المكتوبة التي تمثلت آنذاك في النصوص الدينية والأدبية الراقية.

لم ينبع عن التفات علماء القرن الثامن عشر إلى عنصر الزمن دراسة تاريخية صحيحة للتطور اللغوي ، وذلك ما تميز به القرن التاسع عشر الذى اتخذت فيه الدراسة اللغوية منهجاً تاريخياً التمس الحقائق والإثبات والتفسير ، وفصل دراسة اللغة عن دراسة العقل، ولم يصبح الاهتمام بالكلمة بوصفها علامة أو تمثيلاً أولاً يُستكشف أساسه العقلى، ولكن بوصفها إحدى الصيغ أو الأشكال التى يمكن مقارنتها مع الأشكال الأخرى لإقامة العلاقات.

وهكذا وقع التأكيد على النظم الصرفية للغة بعيداً عن تعلقها بالعقل وكان ذلك بداية لتناول اللغة بوصفها موضوعاً فى ذاتها، فأصبح يُنظر إليها على أنها شكل يجب اقتفاء أثر تطوره . ومن هنا اتصفت الدراسة اللغوية فى القرن التاسع عشر بالمنهجين: التاريخي، والمقارن. وانبثق هذا المنهج الأخير فى الدراسة اللغوية بعد اكتشاف علماء اللغة الأوربيين للغة السنسكريتية واكتشاف صلات بينها وبين اللغات الأوربية المبكرة، وتعد فكرة المقارنة بين اللغات على أساس الأشكال والصيغ التى تترايط والتفريق بينها – وليس على أساس الجذور التى تستخدمها اللغات للتعبير عن التصورات الأساسية كما كان من قبل – خطوة نحو نظرية فى اللغة بوصفها نظاماً شكلياً ومستقلاً.

وعندما جاء سوسير ربط بين نظرتى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر على مستوى مختلف؛ فقد فكر فى اللغة بوصفها نظاماً من التمثيل، أى أن الأشكال اللغوية أو الصيغ اللغوية تعد علامات حتى يمكن تحديدها، وتلك العلامة لا تتشكل إلا بعلاقاتها بالعلامات الأخرى، فأعاد تأسيس العلاقة بين دراسة اللغة ودراسة العقل الذى ينشئ المعنى عن طريق التمييز بين الأشياء، وهى قدرة لا تتعلق باللغة فقط ولكن بالممارسة الإنسانية العامة، فربط بين اللغة والعقل فى سياق منهجى مختلف، همه تحديد موضوع اللغة. هذا السياق يكمن فى عمليات البناء والتفريق أى التمييز والتخالف التى تصبح الكلمات دالة من خلالها، لا من خلال خصائصها الذاتية.

ومن هنا جاءت فكرة دى سوسير أن اللغة نسق من العلاقات، وأن عناصرها لا تتحدد إلا فى ضوء العلاقات القائمة بين بعضها البعض داخل النسق. ونتيجة لتأمل سوسير فى طبيعة التماثل والاختلاف بين عناصر اللغة، أكد أن اللغة صيغة وشكل وليست مادة، فهى نظام من

العلامات التي هي اتحاد بين شكل هو الدال، وفكرة هي المدلول، والعلاقة بين وجهي العلامة (الدال / المدلول) علاقة اعتباطية أى ليست هناك رابطة طبيعية أو إلزامية بينهما ولكن الرابط بينهما هو العرف الاجتماعي، وأن عناصر اللغة تمثل نظاماً من الاختلافات والتميزات. ومن هنا كانت المهمة المنوطة بعالم اللغة عند سوسير هي تحليل اللغة بوصفها منظومة من الوحدات والعلاقات.

وبهذا التصور البنائي للغة، الذي يتضح في التعارض والتمايز بين العناصر وقابليتها للانتظام في مستويات، حلت النظرة الوصفية محل النظرة التاريخية في الدرس اللغوي، وكان ذلك بداية لاستقلال علم اللغة بوصفه علماً مستقلاً يدرس اللغة ذاتها.

وتعلقت نظرية اللغة عند سوسير بمجموعة من المبادئ كان أولها اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول؛ وهذا المبدأ كان الأساس لإدراك المفاهيم الأخرى لنظريته في اللغة، فقد أكد على التمييز بين ما يسمى اللغة Language (النظام المنطقي للغة ما) والكلام Speech (التحقق الفعلي لهذا النظام على جميع مستوياته). وجاء التمييز بين الدراسة الوصفية synchronic، وبين الدراسة التاريخية diachronic نتيجة للمبدأ الأول وهو اعتباطية العلامة، ونبع هذا من إدراكه الفرق بين الحقائق المتعلقة بالنظام اللغوي نفسه وبين الحقائق المتعلقة بالتطور اللغوي، ومن هنا جاء تأكيده على أولوية الوصف التزامني synchronic description لتحليل اللغة^(١). وقد اتسعت الدراسة الوصفية للغة وأخذت تتعدد اتجاهاتها، وبرزت في هذه الاتجاهات ثلاث مدارس لغوية: مدرسة براغ، ومدرسة كوبنهاجن، والمدرسة الأمريكية.

(١) فرديناند دي سوسير، أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات: جوناثان كلر، ترجمة عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ١١٣ - ١٢٦، ص ٧١ - ١٠٣. وهناك ترجمة أخرى للكتاب نفسه قام بها محمود حمدي عبد الغنى، راجعها محمود فهمي حجازي، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م.

كذلك اتجاهات البحث اللساني: ميكا إفيثش، ترجمة سعد مصلوح، ووفاء كامل، المجلس الأعلى للثقافة، ط ٢، ٢٠٠٠م، ص ٣٧ - ٥٢، ص ٢١٥، ص ٢٢٠.

كذلك أصول تراثية في علم اللغة: كريم زكي حسام الدين، الأنجلو المصرية، ط ٣، ١٩٩٣م، ص ٤٣ - ٥٤.

مدرسة براغ:

ظهرت مدرسة براغ عام ١٩٢٦ بعد ظهور محاضرات سوسير (١٩١٦) ، إذ كونت جماعة من علماء اللغة التشيكوسلوفاكية حلقة دراسية كان رائدها العالم البولندي جاكوبسون Jackabson وزميله الروسيان تروبتسكوى Troubetzkoy وكارسفسكى Karcevsky وقد صاغوا منهجهم لدراسة اللغة مستخدمين المنهج البنائي Structural method الذى أسسه سوسير، واهتموا بالدراسات الصوتية، وكان لهم الفضل فى نشأة نظرية الفونولوجيا Phonology التى ميزت بين علم Phonetics بوصفه الدراسة الطبيعية لأصوات اللغة دون النظر لوظيفتها داخل سياقها (الكلمة)، وبين علم Phonology الذى يدرس تلك الوظيفة من خلال التقابلات فى نظام هذه العناصر، ودورها فى تحديد دلالة الكلمات بإحلال إحداها محل الأخرى^(١).

مدرسة كوبنهاجن :

قامت فى شمال أوربا وكان رائدها جسبرسن Jespersen ثم تبلورت أفكارها حين أنشأت الحلقة الدانماركية للعلوم اللسانية على غرار حلقة براغ. وقد أسسها الدانمركيان هيلمسليف Hjelmslev وبروندال Brondal عام ١٩٣١ وسميت هذه المدرسة بالحلقة الدانماركية. واعتمدت تلك الحلقة على فكرة سوسير بأن اللغة شكل وليست مادة، هذا الشكل يخضع لنسق من العلاقات الداخلية . ولكنهم تأثروا بعلم المنطق الرمزي رأوا أن اللغة كيان صوري مجرد يمكن دراسته على أنه تركيب رياضى بعيدا عن الدلالة. وسمى علماء تلك الحلقة بالجلوسماتيك Glossary لغلبة التجريد والنزعة المنطقية والرياضية فى الدراسة ، على نحو قد لا يتناسب مع كل لغة.

وتأكيدا على فكرة سوسير بأن اللغة نظام أو نسق من العلامات، اتخذت تلك المدرسة المنهج البنائي، ورأى هيمسلف أنه بالإضافة إلى أن الوحدة اللغوية لا تعرف إلا بغيرها من الوحدات فهي مكونة من مجموع علاقاتها بباقي الوحدات فى سلسلة الكلام، وهذه العلاقات التى يعتمد بعضها على بعض داخل المجموع أو داخل التوليفة هى القابلة للوصف^(١).

(١) أصول تراثية، ص ٥٦ - ٥٨ . كذلك اتجاهات البحث اللساني، ص ١٩٥.

(١) اتجاهات البحث اللساني ، ص ١٩٦، ص ١٩٧، ص ٣١٧ - ٣٣٦. كذلك أصول تراثية ص ٥٩-٦١.

المدرسة الأمريكية:

ذاع اتجاه المدرسة الأمريكية التى نشأت فى النصف الأول من القرن العشرين مرتبطة بالدراسة الأنثروبولوجية، لوصف لغات الهنود الحمر فى أمريكا، وتحليلها حيث لم يكن لهذه اللغات تاريخ مدون. وقد نظر بعض أعلام هذه المدرسة إلى اللغة على أساس أنها مجموعة من العادات السلوكية. وكان على رأسهم العالم اللغوى بلومفيلد Blomfield الذى تأثر بالمذهب السلوكى، على نحو كان له أثر كبير فى الدراسة اللغوية .

وتقول الفكرة التى تهتم بها السلوكية Behaviorism إن الفروق بين البشر محكومة بالبيئة التى يعيشون فيها، وإن أى سلوك هو رد فعل، أى أنه يحدث بوصفه استجابة لمثير خارجى تقدمه البيئة المحيطة بالكائن الحى. وسلوك المرء يكشف كذلك عن نفسيته التى تشكل بيئته، لذلك ينبغى على الدراسات النفسية أن تتوفر على فحص السلوك، لأن ذلك الفحص هو الذى يسمح بالدراسة المنضبطة. ويشمل سلوك الشخص استخدامه لأداة تواصله مع بيئته، أى اللغة. وينبغى على الفحص اللسانى عندهم أن يكون موضوعياً ومنضبطاً؛ وذلك وفقاً لرؤيتهم بأن اللغة نظام من العادات السلوكية المكتسبة كغيرها من العادات. وعلى هذا فقد اتخذ بلومفيلد سبيلاً مشابهاً فى اللسانيات، حيث رفض الاعتماد على المادة غير القابلة للملاحظة المباشرة والقياس المادى. ولأن الجانب الفيزيائى من اللغة هو الصوت الذى يعد أكثر الجوانب ملائمة لفحص الموضوعى المنضبط، فقد ركز بلومفيلد انتباهه على الدراسة الوصفية الموضوعية للكلام المسموع - بصرف النظر عما تقوله كتب النحو من قواعد- بوصفه سلوكاً يمكن ملاحظته، ولذلك فقد استبعد جانب المعنى من التحليل اللسانى لأن احتواءه قد يتضمن خطر إفساح المجال للذاتية فى التحليل^(١)؛ حيث إن "التحديد الدقيق لدلالة الكلمات يتطلب أولاً وصفاً علمياً كاملاً للأشياء والحالات والعمليات التى ترمز إليها الكلمات، أى التى تحل الكلمات محلها وتصبح بديلاً عنها؛ وهذا أمر يسير بالنسبة لعدد ضئيل من الكلمات مثل بعض أسماء النبات أو الحيوان أو بعض المواد الطبيعية... إلخ حيث نستطيع تحديدها وتعريفها بدقة بواسطة

(١) اتجاهات البحث اللسانى ، ص ٢٧٨، ص ٢٧٩. كذلك مقدمة فى نظرية القواعد التوليدية، مرتضى جواد باقر، دار الشروق ، ٢٠٠٢، ص ١٧، ص ١٨. كذلك النحو العربى والدرس الحديث، بحث فى المنهج، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨، ص ٤١، ص ١١١.

المصطلحات العلمية الخاصة بكل فرع من فروع العلم مثل علم النبات وعلم الحيوان والكيمياء... إلخ غير أن ذلك ليس يسيراً بالنسبة للغالبية العظمى من الكلمات وقد ضرب "بلومفيلد" مثلاً على ذلك بكلمتى الحب والكراهية. وكان موقفه هذا مثبطاً لهمة علماء اللغة فى دراسة المعنى" ^(٢)، فى حين أن بلومفيلد لم ينح المعنى جانباً إلا على نحو إجرائي من أجل تأسيس منهج لسانى كفاء ، من وجهة نظره، يحول دون إدخال معايير ذاتية فى التحليل يمكن عن طريقه الكشف عن قوانين النفس الإنسانية ، فكانت الدراسة الوصفية الموضوعية للظواهر الحادثة بالفعل ، بوجه عام ، هى الطريق إلى هذا الهدف . ولذلك وضع بلومفيلد هذا التحديد لمجال التحليل اللسانى، فاستبعد بذلك النزعة الذهنية عند تأسيس منهجه اللسانى الذى قام على أساس من الوصف المستوعب لسلوك الوحدات اللغوية ومعالجة جميع المواقع التى يمكن أن تحتلها الوحدات فى نظام لغة بعينها معالجة مبنية على الملاحظة والوصف ^(٣).

وقد أرسى تلاميذ "بلومفيلد" هذا المنهج القائم على الاهتمام بالجانب الشكلى واستبعاد المعنى من التحليل اللغوى ووضع المعايير بحيث تكون موضوعية وآلية بطريقة صارمة. وكان جوهر اهتمامهم هو توزيع الوحدات اللغوية، وهو التوزيع الذى جرى اختباره باستخدام منهج التوزيع distribution المبنى على علاقة التعويض، والذى يهدف إلى تحديد مركبات الجمل دون النظر إلى وظائفها. ويتألف هذا المنهج من محاولة لإحلال الوحدة موضوع الفحص مكان وحدة أخرى معروفة فى السياق نفسه، وإذا أمكن لهذا الإحلال أن يتم دون حدوث تغيير أساسى فى السياق فإنه حينئذ تكون هاتان الوحدتان منتميتين إلى فئة واحدة، أى أن لهما خصائص نحوية واحدة. ومثال ذلك كلمات برنامج، اختبار، إنسان، فإنها تنتمى إلى فئة واحدة أى إلى فئة الأسماء حيث إن من الممكن أن يحتل أى منهم الموقع نفسه فى هيكل الاختبار الذى يتمثل فى الجملة التى تشتمل على فراغ مثل "ذلك الـ ... خيب أملى" ^(١).

الجملة عند بلومفيلد:

حقق أصحاب "بلومفيلد" نجاحاً أكبر فى مجال البحث الصرفى وكانوا لا يضعون فصلاً حاسماً بين الدراسة الصرفية والنحوية ويرون أن استخدام الصيغ ذو صبغة صرفية فى الأساس.

(٢) نظرية تشومسكى اللغوية: جون ليونز، ترجمة حلمى خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ١، ١٩٨٥ م. ص ٧٠.

(٣) اتجاهات البحث اللسانى ، ص ٢٧٩ .

(١) اتجاهات البحث اللسانى: ص ٢٧٩، ص ٢٨٧. كذلك معرفة اللغة، جورج يول ، ترجمة محمود فراج عبد الحافظ ، دار الوفاء ، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٠٥، ص ١٠٦.

ثم تجاوزوا درسه في البحث الصرفي والاهتمام بصياغة وجوه التمييز بين العلاقات التي تحدث على المستوى الصرفي والتمييز بين المستويات المتنوعة للمباني اللغوية (مثل ذلك أن الواو في كلمة وقت هي صوتيم أما في كلمة "معلمون" فهي صرفيم يعبر عن علاقة جمع)-تجاوزوه إلى ضرورة وصف كل إمكانات التأليف في سلسلة الكلام، وهو ما يعني تجاوز الحدود الصرفية إلى مجال الظواهر التركيبية.

ولهذا فقد انبثقت الدراسات التركيبية لديهم من هذا النوع من البحث الصرفي، إذ يبدأ التحليل اللغوي في هذا النوع من الدراسة الوصفية من الوحدة الصوتية بوصفها أصغر وحدة لغوية، ثم الكلمات التي تتألف من تلك الأصوات، منتهيا بالجملة التي تتألف من هذه الكلمات، مهملا جانب المعنى . وجاء تعريف "بلومفيلد" للجملة البسيطة في كتابة "اللغة" بأنها شكل لغوي لا يدخل في تركيب مع أي شكل لغوي آخر أكبر منه . وهذا يعني أنه يعد الجملة هي الوحدة الكبرى للوصف اللغوي^(٢).

وكانت أعظم الإسهامات أهمية في نظرية التركيب هو تحليلهم للمكونات المباشرة Immediate constitutes (IC) وهي أجزاء المنطوق التي يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً نحوياً مباشراً، فيتم تحليل الجملة أو غيرها من البنى التركيبية إلى مكوناتها على أساس أنها مكونة من طبقات بعضها أكبر من بعض وليس على أنها سلسلة متتابعة من العناصر، فالجملة تحلل إلى مكونين أساسيين مباشرين: المركب الاسمي ويعني به المسند إليه (الفاعل أو نائبه أو المبتدأ) مع توابعه (أدوات تعريف وتحديد ونعوت) ، والمركب الفعلي ويعني به المسند (الفعل أو الخبر) مع توابعه من المفعولات والجار والمجرور، فجملة مثل " التلميذ المجتهد نجح في الامتحان" يمكن تقسيمها إلى مكونين مباشرين رئيسيين كل منهما يعد بنية أساسية في الجملة الأصلية السابقة ، التي ليست جزءا في بناء لغوي أكبر كما عرفها بلومفيلد: المسند إليه وتوابعه (التلميذ المجتهد)، والمسند وتوابعه (نجح في الامتحان) ويمكن تقسيم كل مكون رئيسي سابق إلى مكونين آخرين غير مباشرين فتحلل الجملة إلى:

(التلميذ المجتهد) (نجح في الامتحان) ثم تحلل إلى:

(التلميذ) (المجتهد) (نجح) (في الامتحان) ثم تحلل إلى:

(ال) (تلميذ) (ال) (مجتهد) (نجح) (في) (الامتحان) ثم تحلل إلى:

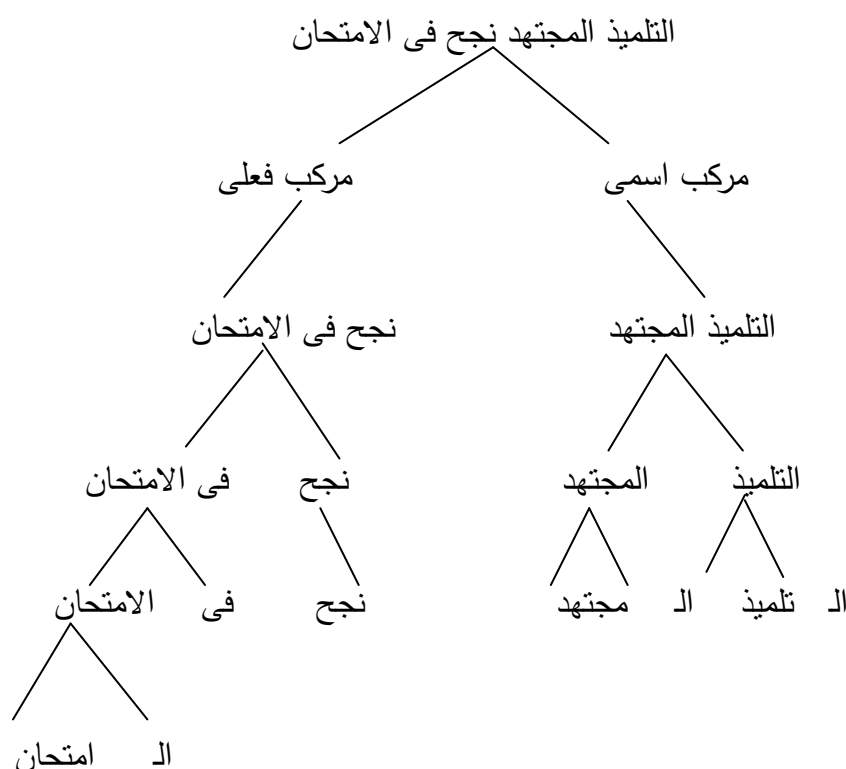
(ال) (تلميذ) (ال) (مجتهد) (نجح) (في) (ال) (امتحان)

(٢) اتجاهات البحث اللساني: ص ٢٨٨، ص ٢٨٩، ص ٣٧٨. كذلك نظام الجملة في شعر المعلقات، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠م، ص ١٥.

حتى نصل إلى أول صور البناء اللغوي على مستوى التحليل التركيبي من الكلمات والمورفيمات. واستخدم في هذا النوع من التحليل وسائل تقنية خاصة في صورة رسوم وجداول منها طريقة استعمال الأقواس واستعمال المشجر فيمكن تقسيم الجملة السابقة بطريقة الأقواس على النحو الآتي :

(((ال) (تلميذ)) (ال) (مجتهد)) ((نجح) (في) (ال) (امتحان)))

فتعبر الأقواس عن مستويات التحليل من المستوى الأكبر إلى المستوى الأصغر. ويمكن تمثيلها شجريا كالاتي:



ويمكن أن نضيف عناصر جديدة لكل مؤلف مباشر فتصبح الجملة "الولد المجتهد القاطن في الشارع الخلفي نجح في الامتحان الصعب"، وهكذا^(١).

لكن هناك من العيوب التي التصقت بهذا المنهج في التحليل، برغم أنه قد نجح في تحليل أنماط لتراكيب مختلفة في اللغة وتصنيفها، إلا أنه كان ما يزال مجرد تصنيف شكلي، لا يعين على فهم هذه التراكيب، هذا بالإضافة إلى أنه كان يقوم على أساس وصف المادة اللغوية

(١) المعرفة اللغوية: طبيعتها، وأصولها، واستخدامها، نعوم تشومسكي، ترجمة محمد فتوح، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٩٣م، ص١١، ص١٢. كذلك اللسانيات العامة وقضايا العربية، مصطفى حركات، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨، ص٩٧. كذلك المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧، ص١٨٦. كذلك معرفة اللغة، ص١٠٦ - ١٠٨.

القائمة على الاستعمال اللغوى، فلم يفرقوا بين ما هو لغة (نظام) وبين ما هو كلام (أداء)، والمادة اللغوية عرضة للخطأ والتحريف . ولم يُجدِ هذا المنهج أحيانا فى فهم العلاقة بين عناصر التركيب، وذلك كما فى جمل مثل "الطالب المجتهد أخوه ناجح" ، و"انتظر عند باب المسجد الجديد". كذلك لم يستطع منهج التحليل إلى المكونات المباشرة إدراك العلاقة بين بعض التراكيب مثل: تركيب الجملة الفعلية ذات الفعل المبني للمعلوم والجملة الفعلية ذات الفعل المبني لغير فاعله، فهو قاصر عن توضيح التغير الذى حدث فى مثل هاتين الجملتين كما أنه لا يهتم بالوظائف النحوية لمكونات الجملة^(٢).

المنهج التوليدي التحويلي Transformational Generative method :

الجملة عند تشومسكى Noam Chomsky:

ظهر المنهج التوليدي التحويلي فى النصف الثانى من القرن العشرين فى الوقت الذى سادت فيه آراء المدرسة الوصفية السلوكية البنيوية ومفاهيمها فى أوربا وأمريكا، فتغير عندئذ اتجاه الدرس اللغوى من المنهج الوصفى المحض إلى منهج آخر هو النحو التحويلي، وذلك حين أصدر تشومسكى كتابه الأول التراكيب النحوية syntactic structures عام ١٩٥٧، حيث عبر عن نظريته لطبيعة اللغة التى تختلف عن النظرة الوصفية الشكلية؛ فقد رفض تشومسكى النظر

(٢) الجملة العربية مكوناتها، أنواعها، تحليلها، محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م، ص ١٧٨-١٨٠. كذلك: أصول تراثية، ص ٢٤١، ص ٢٤٢. كذلك: نظام الجملة، ص ٣١، ص ٣٢.

إلى اللغة بوصفها مجموعة من العادات الكلامية أو السلوك اللغوي القائم على المثير أو المنبه، ثم الاستجابة، ومن ثم رفض تشومسكى الوصف السطحي الشكلي للغة. فالإنسان يتميز بقدرته اللغوية التي هم أهم الجوانب الحيوية في النشاط الإنساني، وهو بهذا يقيم نظريته على أساس عقلى متأثراً بأراء ديكايرت عما يميز الإنسان عن الحيوان، ويؤكد تلك الخصيصة، ألا وهي القدرة اللغوية لدى الإنسان، فبلغت الاهتمام إلى الأطفال على وجه الخصوص إذ يستطيعون أن ينطقوا مئات من الجمل لم ينطقوها من قبل، ويستطيعون أن يفهموا ما يقال لهم من كلام لم يسبق لهم أن سمعوه ومعنى ذلك أن هناك أصولاً عميقة في التركيب الإنساني تجعله يتميز بهذه القدرة فالطفل لا يستخدم كتاباً في النحو من أجل تنظيم قواعد حديثه وإنما تنمو في ذهنه بوصفها إدراكاً لملكة اللغة. فاكْتساب اللغة ليس أمراً يفعلُه الطفل بقدر ما هو أمر يحدث للطفل، فيولد وتولد معه العموميات التي تشكل حدود ملكة اللغة البشرية وخصائصها في حالتها الأولى. أما ما تختلف به لغة بشرية عن أخرى فهو الذي يتعلمه الطفل في سنى اكتسابه^(١). ومن هنا فإن معرفة اللغة هي قدرة وملكة واستعداد نفسى وفطرى^(٢).

وعلى اللغوى أن يلتفت إلى قدرة الإنسان على استخدام اللغة؛ إذ يمتلك بفطرته عدة قواعد أولية يثيرها من كمونها ما اكتسبه وتعلمه من قواعد النحو وتركيب الجمل الصحيحة. فكل لغة تتكون من مجموعة محدودة من الأصوات، ومع ذلك فإنها تنتج أو تولد جملاً لا نهاية لها؛ لأن كل متكلم يستطيع كما سبق أن ينطق جملاً لم يسبق أن نطقها أحد من قبل، ويستطيع أن يفهم جملاً لم يسبق أن سمعها من قبل. فنظرية النحو لدى "تشومسكى" تحاول أن تعرف كيف تنتج اللغة (تولد) جملاً لا حد لها من عناصر صوتية محدودة. وهذه الخصيصة هي ما أطلق عليها "تشومسكى" بالقدرة أو الكفاءة اللغوية Competence^(٣).

ومن هنا تطلع "التحويليون" إلى أن يقدموا صياغة للعمليات التي تمت خلال التكلم والاستماع بوصفها حقائق آنية، فهم... يقترحون نظرية تقدم وصفاً للعمليات التي يتم بها صياغة

(١) آفاق جديدة في اللغة والذهن: نعوم تشومسكى، ترجمة حمزة بن قبلان المازينى، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥، ص ٩٠. كذلك النحو العربى والدرس الحديث، ص ١٠٩-١١٣. كذلك نظرية تشومسكى اللغوية، ص ٣٢، ص ٣٦، ص ٣٧.

(٢) وهو ما قاله "دى سوسير" راند الوصفية البنوية فى اللغة. مناهج البحث فى اللغة، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٦م. ص ٤١، ص ٤٢.

(٣) النحو العربى والدرس الحديث، ص ١١٤. كذلك أصول تراثية، ص ٢٤٦، ص ٢٤٩.

الجملة^(١) ، والتي تفسر مصادر التركيبات النحوية؛ وذلك للوصول إلى "الواقع العميق أو التركيب العميق الخفى أو القواعد الأولية الكامنة فى العقل الإنسانى بفطرته التى بدونها لا نفهم التركيب الظاهر فى أدائنا اللغوى"^(٢). وقد تأثر تشومسكى بفكرة إخضاع كل اللغات لقواعد نحوية تكون عالمية وذلك هو الأساس الذى رآه أصحاب نحو بورت رويال فى القرن السابع عشر وتبلورت لديه فيما عُرف بالعالمية اللغوية Linguistic Universals .

وللتوصل إلى تأسيس هذا النوع من النحو يرفض "تشومسكى" النحو الوصفى الذى يقف عند الوقائع اللغوية، إذ إنه يجب الاهتمام بجانبين معاً لفهم اللغة الإنسانية الجانب الأول هو الأداء اللغوى الفعلى Actual linguistic performance وهو يمثل ما ينطقه صاحب اللغة فعلاً مكوناً ما يسمى بالبنية السطحية surface structure ، والجانب الثانى هو الكفاءة التحتية Underlying Competence وهى التى تمثل البنية العميقة للكلام Deep structure غير الظاهرة والقائمة فى العقل الإنسانى بفطرته. ومن ثم فإن النظرية التوليدية التحويلية أرادت إقامة نسق أساسى لقواعد بناء الجمل فى اللغات الطبيعية وهو نسق تفسره القواعد النحوية التى يتلقنها الطفل فى النحو المدرسى.

وقد أفاد "تشومسكى" من تقسيم "دى سوسير" للغة إلى اللغة language وكلام Speech فقابل المصطلح الأول عند سوسير بمصطلح الكفاءة Competence وقابل المصطلح الثانى بمصطلح الأداء Performance ويعنى بمصطلح الكفاءة المعرفة الضمنية باللغة أى النظام المعرفى الذى يملك ناصيته أبناء اللغة ومتحدثوها الأصليون، ويعنى بالأداء الكلام والاستعمال الآئى للغة ضمن سياق معين أى الكيفية الفعلية التى تستخدم بها اللغة^(٣). مع الأخذ فى الاعتبار أن سوسير كان يرى فى صياغة الجملة مسألة أخرى أن تتعلق بالكلام منها باللغة ، وبالإبداع الحر والإرادى منها بالقاعدة المنتظمة، أى أنه كان يفتقر إلى فكرة كون الإبداع الفردى ممكناً عن طريق منظومة من القواعد، كما أنه لم يدرك خاصة الإبداع الكامن فى القواعد المحدودة والمتمثل فى توليد صور من الوصف البنىوى لعدد غير محدود من الجمل والمتمثل أيضاً فى إمكانية تكرار أحدها لصياغة الجملة^(١).

(١) اتجاهات البحث اللسانى: ص ٣٨١.

(٢) فى فلسفة اللغة: محمود فهمى زيدان ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، ٢٠٠٢م، ص ١٤٦.

(٣) المدخل إلى علم اللغة، ص ١٩١.

(١) أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، تحقيق عز الدين إسماعيل، ص ١٤٩، ص ١٥٠.

والنظرية اللغوية لدى "تشومسكى" تسعى إلى أن تفهم كيف يستطيع المتكلم أن ينتج جملاً لا حصر لها من عناصر لغوية محدودة، وأن تميز بين ما هو مقبول نحويًا وبين ما هو ليس مقبولاً وهو ما يسميه بالنحوية grammatically فى اللغة أى القواعد التى على أساسها تتكون جملة مقبولة لدى صاحب اللغة فينبغى أن يكون النحو صالحاً بعملياته وقواعده المحدودة لتوليد عدد لا نهائى من الجمل المقبولة نحويًا، فينتج أو يولد قواعد تمثل هذا النظام المعرفى وتصفه؛ وذلك لتعطى كل تعبير لغوى بنيته المحددة وبهذا تكمن إنتاجية اللغة فى النحو، أى إبداع الجديد من الجمل الصحيحة وقد عرف هذا النحو الذى يقوم بتلك المهمة باسم النحو التوليدي

Generative grammar وهذا ما يشكل نقطة تمايز بالنسبة للمدرسة البنيوية السلوكية، التى كان ينصب وصفها وتحليلها على المادة اللغوية المعطاة وهو ما سمي بإجراءات الكشف، التى كانت تقصر عن تقديم وصف لنظام القواعد الذى يمثل معرفة المتكلم بلغته^(٢).

والنحو التوليدي هو مجموعة القواعد النحوية التى تشكل اللغة فتولد أكبر مجموعة من الجمل اللامتناهية Infinite . وعلى هذا فقد عرّف تشومسكى الجملة بأنها كل سلسلة مكونة من مجموعة من الكلمات المتعاقبة التى تخلفها ميكانيكية القواعد فى النموذج التوليدي شريطة أن تكون صحيحة البناء^(٣).

ويجب ألا نتصور أن تلك القواعد تتصف بالآلية نظراً لاستعمال تشومسكى لفظ "توليد"، وذلك لأن الجانب الإبداعى خصيصة من خصائصها، فقد استعمل تشومسكى مصطلح "التوليد" المأخوذ من الاستعمال الرياضى؛ لأنه يحمل فى طياته الدلالة على التحديد الصارم ؛ هذا التحديد هو الذى قصده بالنسبة للقواعد النحوية حيث شبهها بالقواعد الرياضية القائمة على فكرة الثوابت والمتغيرات، ولتصور دلالة التوليد ننظر إلى معادلة جبرية مثل: $2س + 3ص = ز$ فهى معادلة تحوى متغيرات هى س، ص، ز. وبافتراض قيم مختلفة لكل متغير نحصل على نتائج مختلفة لتلك المعادلة أى تصبح قيمتها غير محددة لوجود تلك العناصر المتغيرة القيمة فى حين أن علاقات الجمع والطرح والضرب التى تنتهى بالمعادلة إلى قيمة ما هى علاقات ثابتة، وبالمثل فإن القواعد النحوية ينبغى أن تولد جميع الجمل الصحيحة نحويًا عن طريق العلاقات الثابتة مثل علاقة الإسناد فى صورتها البسيطة (مسند إليه + مسند) فى جملة مثل: الصدق فضيلة فهى

(٢) نظرية "تشومسكى" اللغوية، ص ٨٤. كذلك مقدمة فى القواعد التوليدية، ص ٥٦. كذلك معرفة اللغة،

ص ١١٣. كذلك النحو العربى والدرس الحديث، ص ١١٦، ص ١١٧.

(٣) نظام الجملة، ص ١٥. كذلك: نظرية تشومسكى اللغوية، ص ٩٩، ص ٨٣.

علاقة ثابتة ويمكن توليد جمل لا نهاية لها تتضمن تلك العلاقة الثابتة (القانون) مثل: التلميذ مجتهد، الطائر جميل، المقالة مؤثرة... إلخ. ويمكن تكرار تلك العلاقة الثابتة عن طريق العطف الذى هو من الثوابت أيضا فينتج لدينا جمل مركبة مثل: جاء زيد وذهب عمرو، الورد جميل والنسيم عليل... إلخ. وعلى هذا فإن العلاقات النحوية هي ثوابت بينما المتغير هو المحتوى^(١).

ولأن النحو يتألف من عدد محدود من القواعد التى تولد عدداً غير محدود من الجمل، فإن بعضاً من هذه القواعد لابد أن يصلح للتطبيق أكثر من مرة لتوليد ما يسمى بالتراكيب المتكررة التى تطول بها الجملة عن طريق تكرار القاعدة . وفكرة القاعدة المتكررة تفسر جانباً من القدرة الإبداعية والخلقة فى اللغة الإنسانية ، التى أشار تشومسكى إليها. ففى بناء جملة مثل التى وردت فى "الإشارات" : " أما تستحى أن تستخدم عقلك الذى هو أشرف منح الله عندك لشهوتك التى هى أفضح الأشياء لك!"^(٢)، نجد أن جملة الصلة الأولى وهى "هو أشرف" تشبه جملة الصلة الثانية "هى أفضح" من حيث إن كلا منهما جملة اسمية تتكون من مبتدأ وخبر. ومعنى هذا أن القاعدة قد تكررت فينتج لدينا هذا النوع من الجمل الطويلة. ومن أسس هذا النحو أن يميز بين نوعين من الجمل البسيطة والمركبة، حيث تنشأ الأخيرة من سياق متتابع من الجمل البسيطة، ونجد أننا نطبق فى الغالب قواعد الجملة الاسمية أو الجملة الفعلية أكثر من مرة داخل الجملة الأصلية أو التابعة لها لكى تطول تلك الجملة الأصلية^(٣)؛ أى أن القواعد النحوية المحدودة يمكن فى الحقيقة أن تمنح مستخدم اللغة طاقة غير محدودة فى التعبير.

طرق توليد الجملة:

طرح تشومسكى ثلاث طرق لتوليد الجمل. أولى الطرق التى طرحها تشومسكى وأبسطها هى الطريقة التى أطلق عليها نموذج القواعد المحدودة Finite state grammar؛ وهى القواعد القادرة على توليد عدد غير محدود من الجمل بواسطة عدد محدود من القواعد المتكررة التى تعمل من خلال عدد محدود من المفردات. ويعمل هذا النموذج على مبدأ أن الجمل تولد عن طريق سلسلة من الاختيارات تبدأ من اليسار إلى اليمين (فى اللغة الإنجليزية). وبعد تحديد اختيار العنصر الأول فى الجملة فإن كل اختيار يأتى عقب ذلك يرتبط بالعناصر التى سبقته، وقد يكون هذا الاختيار فى الحقيقة اختياراً إجبارياً على حسب ما تقتضيه القاعدة النحوية، فجملة مثل: The cat has drunk milk تم توليدها كالاتى:

(١) نظرية تشومسكى اللغوية: ص ٨٤-٩٠. وهامش ص ٨٦. كذلك فى علم اللغة، صلاح حسنين كلية

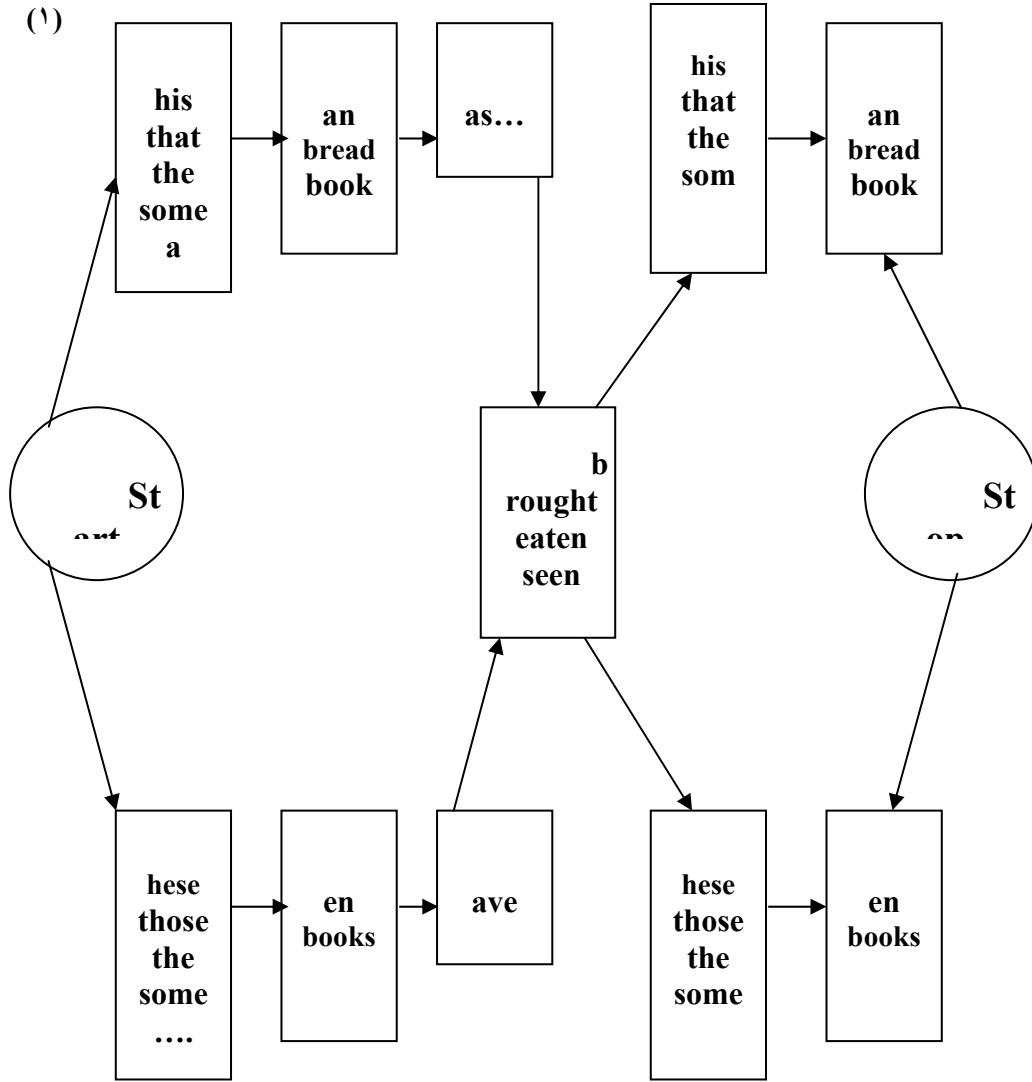
الآداب ، جامعة القاهرة، فرع بنى سويف ٢٠٠٣-٢٠٠٤ ص ٩٥، ص ٩٦.

(٢) الإشارات: ص ١٦٢.

(٣) نظرية تشومسكى اللغوية، ص ٩٦، ٩٧. كذلك هامش ص ٩٧. كذلك نظرية النحو العربى، ص ٥٦.

اخترنا كلمة the لتكون بداية الجملة من بين مجموعة من الكلمات يمكن الابتداء بها، ثم اخترنا كلمة cat من بين اختيارات أخرى تجوز أن تردف كلمة the ، ولكن اضطررنا إلى اختيار كلمة has من بين عائلة فعل have لأنها تناسب cat، ثم اخترنا الفعل تشرب، وتبعا للقاعدة فقد جاء فى حالته الثالثة drunk ولجعل الجملة أكثر إفادة أتينا بالمفعول به الذى يتناسب مع الفعل drunk وفى الوقت ذاته يتناسب مع الفاعل the cat فكانت كلمة milk أما لو اخترنا كلمة cats وهى يمكن أن تأتى بعد the ، لكان لزاماً أن نضع بعدها have، أما لو اخترنا كلمة these لتكون فى صدر الجملة، لوجب وضع cats وامتنع اختيار cat بعدها...وهكذا.

ويمكن التعبير عن سلسلة الاختيارات المتتالية التى يتوقف بعضها على بعض لجملة مثل: The man has brought some bread بالرسم البيانى الآتى الذى خطه تشومسكى:



وإذا أتينا بجملة عربية لنرى كيف تولدت مثل جملة: هذه الفتاة مهذبة، نجد أننا بدأنا باسم الإشارة هذه للمؤنث، وهذا ألزمنا أن نختار اسماً بدلاً مؤنثاً لكي تحدث المطابقة، ثم نتمم الجملة بخبر اسم مفرد مؤنث أيضاً. أما إذا بدأنا الجملة باسم الإشارة هؤلاء فنحن بين أمرين لا ثالث لهما، إما أن نردفه بجمع مذكر أو مؤنث، ولا يصح أن نأتي بمفرد، أو بمثنى فنقول هؤلاء الفتيات مهذبات، أو نقول هؤلاء الصبية مهذبون، ولا يصح هؤلاء الفتاة، ولا يصح هؤلاء الصبي لأنه يناقض القاعدة. وإذا بدأنا باسم الإشارة هاتان، فليس أمامنا إلا أن نتلوه باسم مثنى مؤنث هاتان الفتاتان. وإذا بدأنا باسم الإشارة هذان، وجب أن يتلوه مثنى مذكر وهكذا تتحدد العناصر في الجملة على أساس من اعتماد بعضها على بعض بالاحتكام إلى القاعدة في البعض وبالاختيار في البعض الآخر.

(١) نظرية تشومسكي اللغوية، ص ١٠٣-١٠٥.

ويمكن توسيع الجملة بإضافة عناصر أخرى^(١) مثل: هذه الفتاة الجميلة القابعة تحت المظلة مرافقة صديقتها...مهذبة.

وفى هذه الطريقة من التوليد يشبه تشومسكى النحو بأنه آلة تتحرك من خلال عدد محدود Finite number من الحالات الداخلية التى تبدأ من الحالة الأولى وهى البداية start حتى الحالة النهائية وهى النهاية stop، وذلك أثناء توليد هذه الآلة للجملة التى تعد حينئذ صحيحة طبقاً للقواعد النحوية.

غير أن هذه الجملة التى تتولد عن طريق هذا النموذج لا تزال بسيطة التركيب، وهى لذلك فتكون غير كافية لوصف اللغة التى تتميز بتعدد تراكيبيها^(٢)؛ فوجب التفكير فى طريقة أخرى أشمل.

الطريقة الثانية من طرق التحليل والوصف التى اقترحها تشومسكى هى ما أسماه بقواعد تركيب أركان الجملة phrase structure grammar^(٣). وفى هذا النموذج حل تشومسكى الجملة إلى المكونات المجردة التى تتفق فيها اللغات المختلفة، فهى على اختلافها تحتوى على أسماء وأفعال فى صورتها المجردة؛ فاتباع فكرة التحليل إلى المكونات المباشرة التى اتبعتها مدرسة بلومفيلد، وقد أفادت المدرسة التوليدية التحويلية من هذا السلوك البنىوى فى تحليل تراكيب اللغة وجملها، وأضافت إليها، حيث عمدت إلى تحديد عناصرها والعلاقات الوظيفية بينها، ووضعت رموزاً معينة لتسمية أجزاء هذا التحليل البنىوى، وذلك كمقولة المركب الاسمى Noun phrase الذى يشار إليه بالرمز (N.P)، ومقولة المركب الفعلى Verb phrase الذى يشار إليه بالرمز (V.P)، ومقولة المركب الوصفى Adjective phrase الذى يشار إليه بالرمز (Adj.P)^(٤).

فجملة مثل الولد أكل الطعام تحلل إلى مكوناتها المباشرة إلى مركب اسمى NP (الـ+ولد)، ومركب فعلى VP (أكل الطعام) والمركب الفعلى يحلل كذلك إلى فعل (أكل) + مركب اسمى (الـ+ طعام).

(١) نظرية تشومسكى اللغوية، ص ١٠٨، ص ١٠٩.

(٢) نظرية تشومسكى اللغوية، ص ١٠٩، ص ١١٠.

(٣) هكذا ترجمها دكتور حلمى خليل، بينما هناك ترجمة أخرى هى "قواعد تركيب العبارة" عند دارسين آخرين.

(٤) المعرفة اللغوية، ص ١٢.

ومن خلال هذا النموذج لوصف اللغة ودراستها، وضع تشومسكى قواعد تركيب الجملة فى كتابه التراكييب النحوية syntactic structures ، وهى:

- ١- الجملة $\rightarrow$ المركب الاسمى + المركب الفعلى.
 $S. \rightarrow N.P. + V.P.$
- ٢- المركب الاسمى $\rightarrow$ أداة تعريف + اسم.
 $N.P. \rightarrow Art.(T) + N.$
- ٣- المركب الفعلى $\rightarrow$ الفعل + المركب الاسمى المتعلق به.
 $V.P. \rightarrow V. + N.P.$
- ٤- أداة $\rightarrow$ the, ...
 $Art.(T) \rightarrow the....$
- ٥- الاسم (رجل، كرة، ...).
 $N. (man, ball, ...).$
- ٦- الفعل (ضرب، أخذ...).
 $V. (hit, took....).$

نلاحظ أن السهم ($\rightarrow$) يرمز إلى إعادة كتابة ما قبل السهم لبيان العلاقة القائمة بين مكونات الجملة للحصول على أركانها. ونلاحظ أن القواعد الثلاث الأخيرة تحوى عناصر معجمية.

ونبدأ بالقاعدة الأولى للتوليد فنطبقها على NP+VP.

ثم نجد أنه يمكن أن نختار القاعدة رقم (٢) فنطبقها مرتين أو القاعدة رقم (٣) .

عند تطبيق القاعدة رقم (٣) على القاعدة رقم (١) نحصل على NP+V+NP. مع ملاحظة أنه اذا اخترنا تطبيق القاعدة رقم (٢) قبل تطبيق القاعدة رقم (٣) ، يجب أن تسبق القاعدة رقم (٣) أحد تطبيقات القاعدة رقم (٢) .

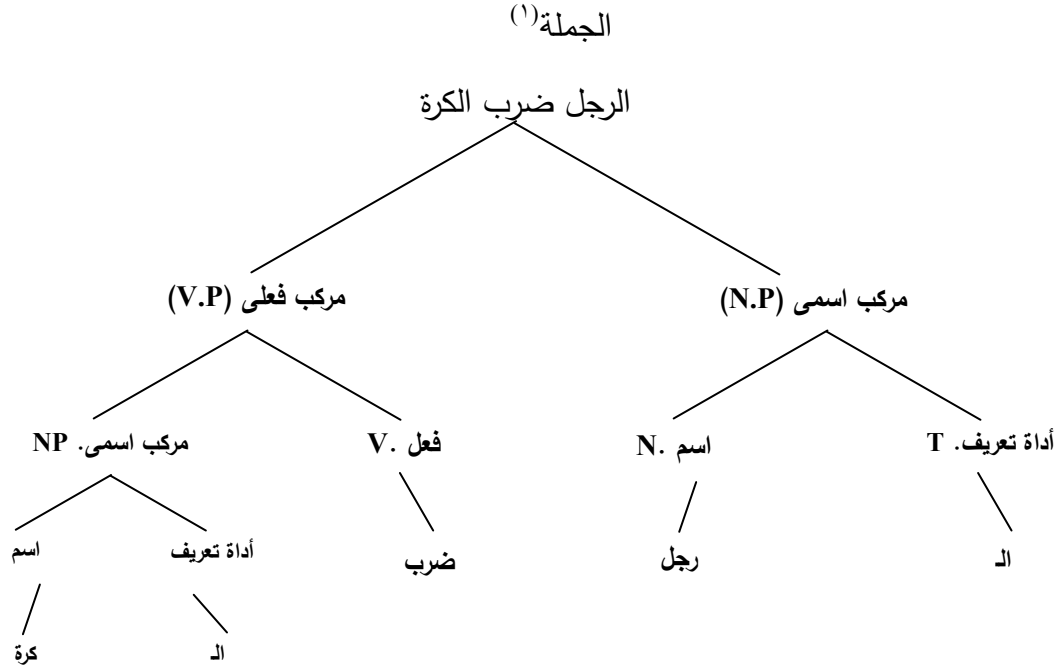
ثم نطبق القاعدة رقم ٢ مرتين فنحصل على T+N+V+T+N.

ثم نطبق القاعدة رقم ٤ فنحصل على The +N+V+the+N

ثم نطبق القاعدة رقم ٦ فنحصل على The+N+hit+the+N

ثم نطبق القاعدة رقم ٥ مرتين فنحصل على The+man+hit+the+ball. التى تمثل السلسلة النهائية لعناصر الجملة The man hit the ball.

ويمكن تمثيل بنية الجملة العربية المماثلة للسابقة بالرسم الشجري كما يأتي :



ويمكن أن يتسع النموذج البسيط لقواعد تركيب أركان الجملة ويمتد ، بحيث نجعله قادراً على توليد جمل أكثر اتساعاً، وذلك بإضافة القواعد الآتية:

$$S \longrightarrow N.P + V.P$$

والمركب الفعلي يمكن أن يتكون من:

- | | | |
|---|----------------|-----------------------------------|
| { | V. | - فعل. |
| | V.P. V. + N.P. | أو - فعل + مركب اسمي (مفعول به). |
| | V. + Prep. P. | أو - فعل + مركب جري (مفعول حرفي). |

والمركب الجري يتكون بدوره من:

- | | | |
|---|--------------|--------------------------|
| { | Prep. + N. | - حرف جر + اسم. |
| | Prep. + N.P. | أو - حرف جر + مركب اسمي. |

(١) نظرية تشومسكي اللغوية، ص ١٢١ - ١٢٣ . كذلك النحو العربي والدرس الحديث، ص ١٣٤-١٣٦.

والمركب الاسمي يتكون من:

N.P. { N.
أو - أداة تعريف + اسم.
أو - أداة تعريف + اسم + مركب وصفي.
والمركب الوصفي يتكون أيضاً من^(١) :
Art.(T)+N.
Art.(T)+N.+Adj.

Adj.P { Adj.
أو - أداة تعريف + وصف
Art.(T) + Adj .

وتولد هذه القواعد جملاً أكثر امتداداً. ولنأخذ جملة مثل: الولد الصغير وضع الكتاب على المنضدة . نجد أنها تتكون من مسند إليه (مركب اسمي)، ومسند (مركب فعلي) .

مركب اسمي + مركب فعلي

الولد الصغير + وضع الكتاب على المنضدة

والمركب الاسمي يتكون من: أداة تعريف + اسم + مركب وصفي

ال + ولد + الصغير

والمركب الوصفي يتكون من: أداة تعريف + وصف

ال + صغير

والمركب الفعلي الجملة يتكون من: فعل + مركب اسمي (مفعول به) + مركب جري (مفعول حرفي)

+ على المنضدة

وضع + الكتاب

والمركب الاسمي يتكون من: أداة تعريف + اسم

ال + كتاب

والمركب الجري يتكون من: حرف جر + مركب اسمي

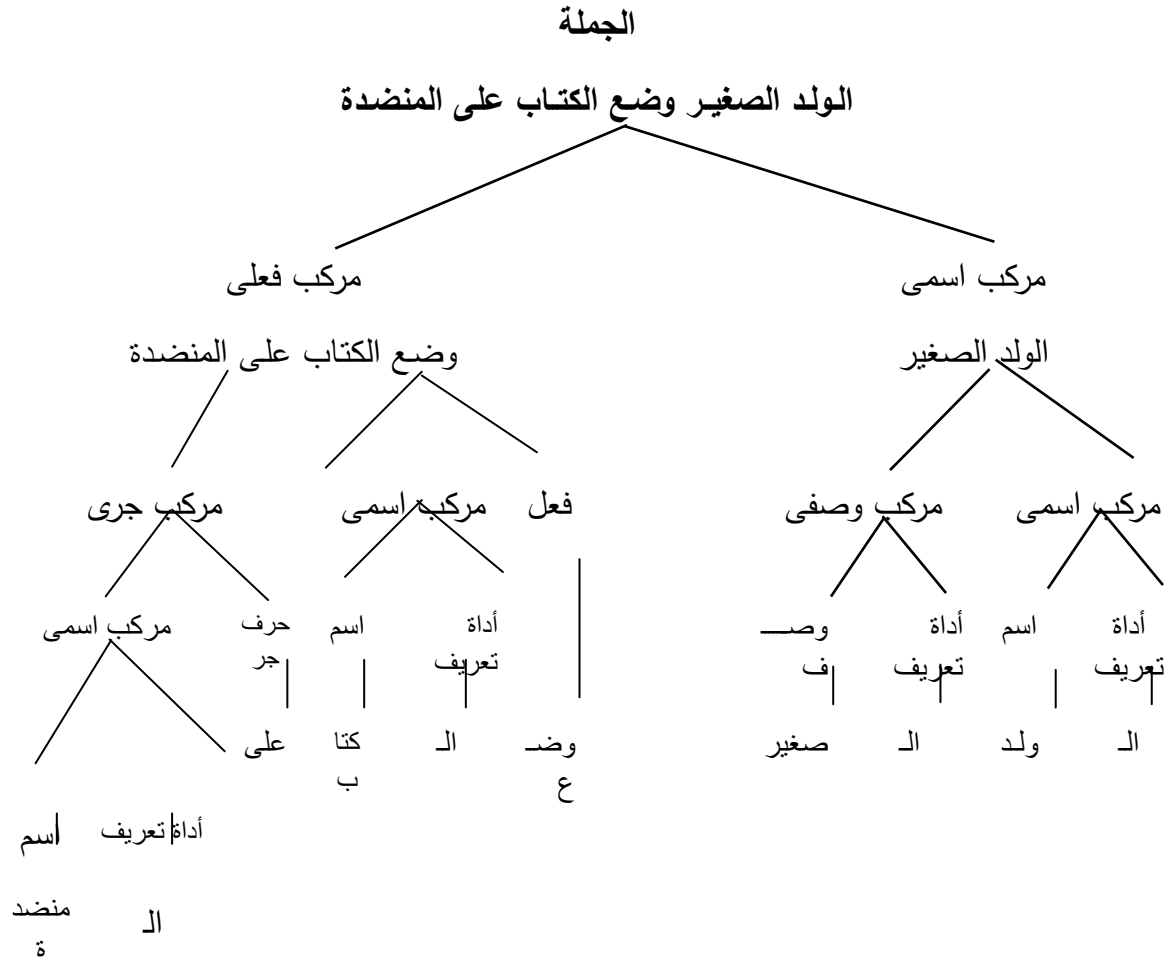
على + المنضدة

والمركب الاسمي يتكون من: أداة تعريف + اسم

ال + منضدة

ويمكن تمثيل بنية الجملة بالرسم الشجري الآتي:

(١) في علم اللغة التقابلي، أحمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، سنة ١٩٩٢، ص ٥٣، ص ٥٩. كذلك في علم اللغة، صلاح حسنين، ٢٠٠٣-٢٠٠٤، ص ٨٩، ص ٩٠.



وقد ذكر الدكتور محمد فتيح في مقدمة ترجمته لكتاب المعرفة اللغوية لتشومسكي أن القواعد الأساسية التوليدية تتمثل لديه فيما يأتي:

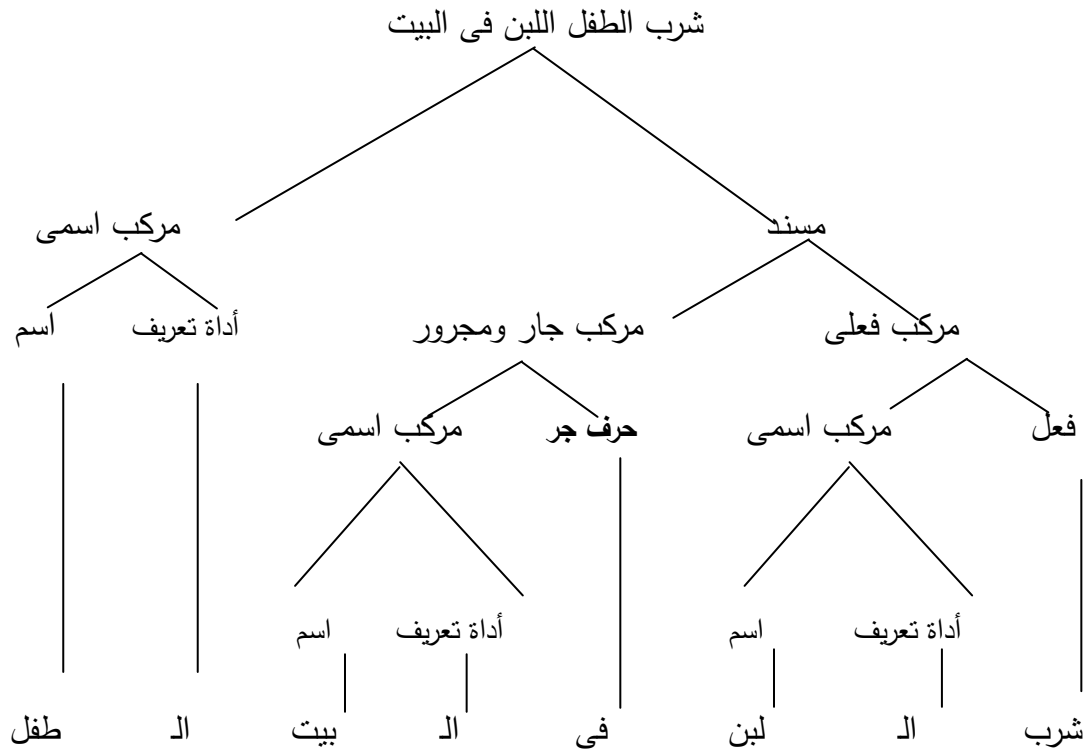
جملة	←	مسند	+	مركب اسمي
مسند	←	مركب فعلي	+	مركب جار ومجرور
مركب فعلي	←	فعل	+	مركب اسمي
مركب جار ومجرور	←	حرف جر	+	مركب اسمي
مركب اسمي	←	أداة تعريف	+	اسم

وذلك للتواءم مع الجمل في العربية التي تبدأ بفعل. وتستطيع هذه القواعد أن تولد عدداً لا نهائياً من الجمل^(١). ولنأخذ جملة مثل: "شرب الطفل اللبن في البيت" فنقسم إلى:

مركب فعلي: شرب... اللبن في البيت

(١) المعرفة اللغوية، ص ٢٧.

مركب اسمى: ... الطفل ...
ويمثل تحليلها الرسم الشجرى الآتى:
جملة^(٢)



حيث إن مقولة المركب الفعلى تعنى فى إطار النظرية التحويلية الفعل ومفعوله أو مفعولاته (متعلقاته) والمفعول به هو المركب الاسمى الذى يشرف عليه المركب الفعلى إشرافاً مكونياً مباشراً، أى أن المفعول به هو المركب الاسمى للمركب الفعلى^(٣).

وبسبب هذا التعدد فى فرضيات التركيب الأساسى يطلق على قوانين هذا النموذج التوليدى القوانين حرة السياق Context-free phrase structure grammar، أى أن تطبيقها غير مشروط بسياق لغوى معين، أى أنها أكثر تعميمياً بحيث تدخل تحتها عينات من كل اللغات؛ ومن ثم يمكن جعلها عالمية universal صالحة لتوليد جمل كل اللغات. وبذلك تنوعت الفرضيات التى وضعها التحويليون فى قوانين التركيب الأساسى أو قوانين تركيب أركان الجملة التى تولد البنى العميقة للجمل حتى تصير أوسع وأشمل لعناصر لغة ما بالإضافة إلى عناصر اللغات الأخرى. وبذلك أفسح تشومسكى يفسح المجال لقدر أكبر من القواعد التوليدية فى نموذج النحو التحويلي^(١).

(٢) نفسه .

(٣) المرجع السابق: ص ١٤، ص ١٦. كذلك اللسانيات العامة وقضايا العربية، ص ١٣٣ وما بعدها.

(١) فى علم اللغة التقابلى، ص ٥٩. انظر أيضا: نظرية تشومسكى اللغوية، ص ١٣٢.

وبرغم أن هذا النسق من القوانين يتسم بالكفاءة مقارنة بنموذج القواعد النحوية المحدودة؛ إذ يولد بنى أكثر وجعلا صحيحة نحويًا، إلا أن هذا النموذج يرتبط بالمبنى دون المعنى، وهو ما كان يعاب على البلومفيلديين، هذا بالإضافة إلى أنه قاصر عن توليد بعض الجمل التي يكون بينها علاقة دلالية، بالإضافة إلى أنه قاصر عن تفسير بعض الجمل التي يكون بينها علاقة دلالية على مستوى العمق ولكنها تختلف على مستوى السطح، مثل الجملة المبنية للمعلوم والجملة المبنية لغير فاعلها، والجمل التي يختلف فيها ترتيب العناصر، أو تضاف إليها بعض الزيادة مثل:

- زيد عريض الجبين.
- جبين زيد عريض.
- إن زيدا هو الذى جبينه عريض.
-

فهى جمل تشترك فى المعنى برغم الاختلاف الواضح على مستوى البنية الشكلية .
وللكشف عن هذه الوقائع اللغوية وتفسيرها وجه تشومسكى اهتمامه نحو التوصل إلى القوانين التى تحكم الارتباط بين المنظومة النحوية المنطقية وبين نطق ما؛ فوضع قواعد أطلق عليها القواعد التحويلية كانت هى المنوطة بتفسير مثل تلك الجمل وتوضيحها^(٢).

وقد اعتمد تشومسكى على ما جاء به أستاذه هاريس Harris الذى ميز بين مجموعتين من الجمل النحوية: الجملة النواة kernel sentence والجملة غير النواة non kernel sentence التى تشتق من الجملة الأساسية (النواة) وذلك عن طريق قواعد من شأنها أن تحدث هذا التحويل، أطلق عليها القواعد التحويلية Transformational rules. هذه القواعد استطاعت أن تفسر العلاقة بين جملتين إحداها مبنية للمعلوم، والأخرى مبنية لغير فاعلها على النحو الآتى:

فعل متعد مبنى للمعلوم + مورفيم المعلوم + اسم (١) + اسم (٢) ← قواعد التحويل فعل مبنى لغير فاعله + مورفيم البناء لغير فاعله + اسم (٢). فقد استبدل فى أثناء عملية التحويل بمورفيم البناء للمعلوم مورفيم البناء لغير فاعله، كما حذف الفاعل (اسم ١) من الجملة النواة وتحول المفعول

(٢) نظرية تشومسكى اللغوية، ص ١٣٠. انظر أيضا: نظرية النحو العربى ص ٦١، ص ٧٣. أيضا: اتجاهات البحث اللسانى، ص ٣٨١.

به (اسم ٢) إلى نائب فاعل وأخذ موقعه . وهكذا نرى أن التحويل قد تم عن طريق الحذف والاستبدال وإعادة ترتيب المكونات.

ومن شأن هذه القواعد أيضاً أن تفسر العلاقة بين الجمل التي تحتل معنيين مختلفين دون أن يميز الشكل الخارجى بينهما، وهى التى أطلق عليها تشومسكى الجمل الغامضة الأمر الذى يؤكد أن للجمل معنى ظاهراً سطحياً surface structure وهو الذى ينطق أو يكتب بالفعل، ومعنى مقصوداً عميقاً deep structure يحمل المضمون الدلالى للجملة المستقر فى ذهن. وعلى ذلك يمكننا أن نحصل على كل الجمل فى اللغة عن طريق تحويل أو أكثر فى الجمل الأساسية، أى أنه يتم فى الحقيقة اشتقاق كل الجمل الأخرى من مجموعة محددة من الجمل الأساسية بواسطة قواعد محددة من التحويلات^(١) . وكانت تلك الفكرة بمثابة الجانب المتكامل مع التوليدية لتكوين النظرية لدى تشومسكى، و من هنا انبثقت الطريقة الثالثة من طرق التحليل والدراسة لتكوين نظرية لغوية عامة.

الطريقة الثالثة: وهى التى عرفت بالنحو التحولى transformational grammar الذى ميز -كما سبق- بين نوعين من الجمل، الجملة النواة الأساسية وهى الجملة التوليدية أو المنتجة التى تتكون من الحد الأدنى من الكلمات التى تحمل معنى يحسن السكون عليه، وتوضح الصورة الأولى والبسيطة للمعنى الذى فى ذهن المتكلم، وبين الجملة غير النواة وهى الجملة التى تشتق من الجملة النواة، وذلك عن طريق قواعد التحويل التى تُمارس على البنية الأساسية فتصبح الجملة الأساسية النواة جملة تحويلية غير نواة تكون أكثر تعبيراً عما فى نفس الكاتب أو القائل، وذلك بتغيير الترتيب بين عناصر الجملة أو بحذف عنصر أو أكثر أو زيادة عنصر أو أكثر أو...إلخ. وهذا النحو التحولى يتكون من مجموعة القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة بالإضافة إلى القواعد التحويلية التى من شأنها دراسة الجملة فى شكلها الظاهر (البنية السطحية)، وبذلك تدرس كيفية تحويل تركيب ما إلى تركيب آخر مختلف وهى تعتمد فى المقام الأول إلى تطبيق قواعد أركان الجملة مع بعض الإضافات كما يأتى :-

- | | |
|--------------------------------------|---------------------------|
| ١- الجملة ← مركب اسمى + مركب فعلى | 1- Sentence → N.P. + V.P. |
| ٢- المركب الفعلى ← الفعل + مركب اسمى | 2- V.P → V. + N.P. |

(١) المدخل إلى علم اللغة، ص ١٨٩، ص ١٩٠. كذلك فى علم اللغة، صلاح حسنين، ص ١٣. كذلك نظام الجملة، ص ٤٢-٤٤.

- 3- N.P. N.P. (sing.).
N.P. (plu.).
3- مركب اسمى
مركب اسمى (مفرد)
مركب اسمى (جمع)
- 4- N.P. sing. → Art.(T)+ N.
4- مركب اسمى (مفرد) ← أداة تعريف + اسم
- 5- N.P. plu. → Art.(T)+ N. + S.
5- مركب اسمى (جمع) ← أداة تعريف + اسم
+ علامة الجمع
- 6- Art.(T) → The
6- أداة تعريف ← الـ
- 7- N. (man, ball, door, book,...)
7- الاسم ← (رجل، كرة، باب، كتاب...)
- 8- Verb → Aux. + V
8- الفعل ← فعل مساعد + الفعل
- 9- Verb → (hit, take, eat, open,...)
9- الفعل (ضرب، أخذ، حصل، أكل، فتح...)
- 10- الفعل المساعد ← إشارات الزمن التى تدل مثلاً على الاستمرار والتمام
→ 10- Aux. Tense (+M.) (+ have + en) (+ be + ing)
- 11- Tense → Present, past
11- زمن الفعل ← مضارع، ماضى
- 12- M. [will, may, Shall, must]
12- صيغ الفعل

نلاحظ أن هذه المجموعة من القواعد حوت بعض الإضافات، التى لم توجد فى قواعد النموذج الثانى فأعطت قدراً أكبر من الاختيار والتوليد مثل إضافة العناصر الدالة على الأفراد والجمع، وإضافة عنصر الفعل المساعد، وعنصر زمن الفعل وصيغته. وبذلك تقسح هذه المجموعة من القواعد مجالا لقدر أكبر من الاختيار لتوليد الجمل^(١).

هذا النموذج قادر على وصف العلاقات بين أنماط من الجمل وهى علاقات يعرفها صاحب اللغة معرفة حدسية، إذ تختلف فى الظاهر بعض الجمل على حين يكون بينها صلة وعلاقة . فعلى سبيل المثال: الجملة المبنية للمعلوم هى أساس الجملة المبنية لغير فاعلها، إذ يتطابق الفاعل المنطوقى مع المسند إليه النحوى فى الجملة المبنية للمعلوم، بينما لا يتوافر ذلك التطابق فى الجملة المبنية لغير فاعلها، أى أن الفرق بينهما هو اختلاف فى البنية السطحية لكل منهما. وهذا الاختلاف الظاهرى يخفى تماثلاً على "المستوى الباطنى حيث يمكن تمثيل المكونات

(١) نظرية تشومسكى اللغوية، ص ١٣٦.

الأساسية المشتركة بين الجملتين ويطلق عليه البنية العميقة التى هى المستوى التجريدى لهيئة التركيب الذى تتمثل فيه كل العناصر المحددة لتأويل التركيب. ولهذا ينبغى أن يكون النحو قادراً على بيان كيف لتمثيل تجريدى تحتى مفرد أن يصبح بنى سطحية مختلفة" (١) . وإثباتات العلاقة بينهما من شأن القواعد التحويلية التى أضافها تشومسكى للقواعد النحوية لتركيب أركان الجملة، فانطبق بذلك هذا النموذج للتحليل والوصف؛ ليكون من شأنه أن يرجع مجموعة من الجمل إلى معنى عميق واحد فالجملة "حفظ الولد الدرس" تمثل معنى عميقاً ناتجاً عن تركيب أساسى هو فعل + فاعل + مفعول من الممكن أن تتحول إلى "الولد حفظ الدرس"، و "الولد هو الذى حفظ الدرس"، و "الدرس هو الذى حفظه الولد"، و "الذى حفظ الدرس هو الولد"، ... كل هذه الجمل تمثل البنية السطحية للتركيب الباطنى وهو علاقة الفاعلية من الولد على المفعولية الواقعة على الدرس بواسطة الحدث "حفظ".

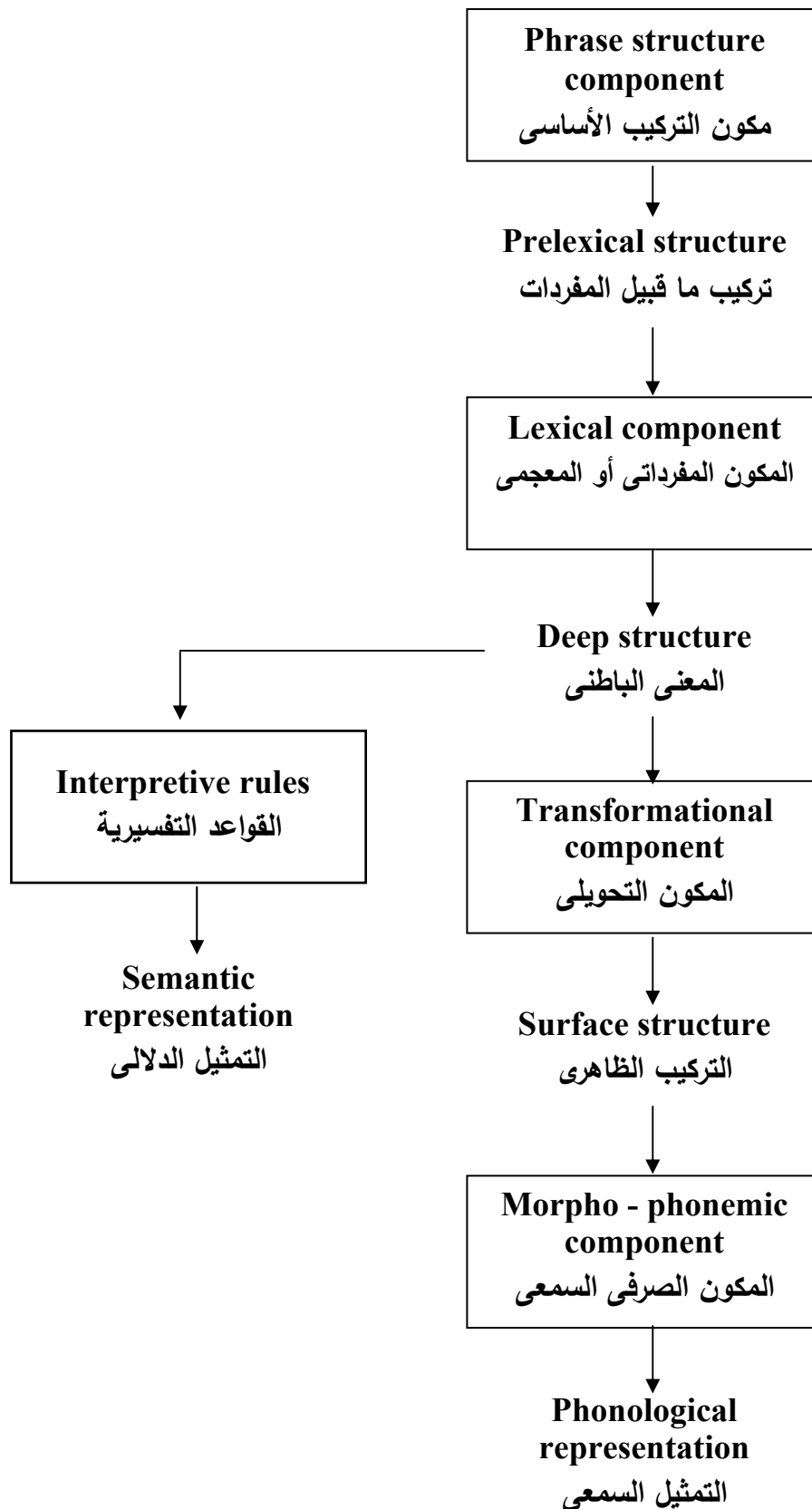
وهذه القواعد التحويلية تسعى أيضاً إلى الكشف عن العلاقة المتبادلة بين الإثبات والنفى وبين الخبر والاستفهام... وهكذا. كما أنها ترجع جملة واحدة تمثل البنية السطحية لجمل أخرى تمثل البنية العميقة، وقد مثل تشومسكى لذلك بجملة "خلق الله غير المنظور العالم المنظور". هذه الجملة تمثل البنية السطحية للبنى العميقة التى تتمثل فى العقل وهى "الله لا يمكن إدراكه، الله خلق العالم، العالم يمكن إدراكه" (٢).

إن يستخدم تشومسكى فى هذه المرحلة مصطلح البنية العميقة Deep structure التى تحدد التفسير الدلالى للجملة حيث تعبر عن الفكر، ويستخدم مصطلح البنية السطحية Surface structure التى تحدد التفسير الصوتى ، والصورة الفيزيائية للجملة.

(١) معرفة اللغة: ص ١١٤.

(٢) فى فلسفة اللغة، ص ١٤٤. كذلك فى علم اللغة التقابلى، ص ٣٤، ص ٤٤.

ويمكن تصوير توليد القواعد فى البنية العميقة ثم تحويلها إلى البنية السطحية بالرسم
الآتى كما وضعه تشومسكى:



هذا النموذج تمثله أربع عمليات فكرية. فيمثل المستطيل الأول بالرسم التركيب الأساسى الذى يحتوى على قوانين تركيب أركان الجملة phrase structure ، إذ يقدم لنا صورة البناء الأصلى للجملة. وتأتى مرحلة التفكير فى المفردات التى تغلف التركيب الأساسى ، ثم تأتى مرحلة المكون المفرداتى (المعجم)، أى المفردات التى تحل محل الرموز فى التركيب الأساسى، فينتج التركيب الباطنى أو العميق الذى يعطى مع قواعد التفسير الذى اصطلح عليها التمثيل الدلالى حيث يؤكد تشومسكى أن فهم العلاقات فى البنية العميقة ضرورى لتفسير الجملة تفسيراً دلالياً صحيحاً ثم تتحول البنية الباطنية بواسطة القواعد التحويلية إلى التركيب الظاهر^(١).

والمراحل التى يمر بها هذا النموذج هى^(٢) :

- ١- مرحلة التركيب الأساسى: وهى تتصل بالكفاءة أو بالقدرة على استخدام اللغة ، ويحكمها قانون المكون الأساسى phrase structure rule ، أى قواعد تركيب أركان الجملة.
- ٢- مرحلة القواعد المفرداتية: وفيها تحل المفردات محل الرموز فى التركيب الأساسى، ويحكمها قانون المكون المفرداتى، فيزودنا بالمفردات المناسبة والمختارة على أساس الفصيطة النحوية (اسم، فعل، حرف...) ، والسمات الانتقائية، أى الملامح الدلالية للكلمة التى تجعل الجملة مقبولة وسليمة دلالياً.
- ٣- مرحلة القواعد التحويلية: التى تعمل على البنية العميقة التى ولدتها قوانين تركيب أركان الجملة والمعجم.

فحينذاك يكون هناك مستويان لتمثيل بنية الجملة فى النحوى التحويلي مستوى أركان الجملة والمعجم (التركيب الأساسى) والمستوى التحويلي ؛ فينتج لدينا مستويان للوصف مستوى وصف تركيب أركان الجملة ويمثل البنية العميقة ، ومستوى وصف التحويل ويمثل البنية السطحية.

الجملة ← تركيب أساسى ومفردات $\longleftrightarrow$ القواعد التحويلية ← التركيب السطحى.

(١) فى علم اللغة التقابلى، ص ٥٠، ص ٥١. كذلك اتجاهات البحث اللسانى، ص ٣٨٣. كذلك النحو العربى والدرس الحديث، ص ١٤٠. كذلك فى علم اللغة، صلاح حسنين، ص ٩٧، ص ١٠٣.

(٢) فى علم اللغة التقابلى، ص ٤٩، ص ٥٢ وما بعدها، وكذلك ص ٦٧، ص ٦٨.

فجملته مثل: "أكل الولد البرتقال" هي بنية عميقة قانونها هو القاعدة فعل + فاعل + مفعول به يمكن تحويلها إلى عدد من الجمل التي تمثل كل منها بنية سطحية لها: الولد أكل البرتقال، البرتقال أكله الولد، أكل البرتقال الولد، ...

وهكذا يتم تحويل السلسلة اللغوية التي ولدتها القاعدة التركيبية الأساسية إلى سلسلة مشتقة عن طريق قواعد التحويل مع ملاحظة أن التحولات تأتي على صنفين مختلفين: جوازية optional ، ووجوبية obligatory ، فالتحولات الجوازية هي التي يجوز تطبيقها وعدم تطبيقها عند صياغة تشقيق ما، ويظل الناتج في الحالين جملة ؛ وذلك مثل تطبيق تحويل النفي، وتحولات الطلب (الأمر - النهي - الاستفهام ...)، وتحويل البناء لغير فاعله... أما التحولات الوجوبية فإنها إن لم تطبق لا يكون الناتج جملة أبداً لأنها تتضمن الأساسيات الواجبة لكل جملة كقواعد الزمن والملحقات^(١).

وتختلف القواعد التحويلية عند النحاة التحويليين. فيرى باتش^(٢) أن هذه القواعد هي

- قاعدة الحذف deletion ويمثل لها $a + b \implies a + \phi$

حيث يشير الرمز $\implies$ السهم المزدوج إلى نتائج القواعد التحويلية، ويشير الرمز ϕ ، وهو رمز رياضي، إلى خلو الموقع من عنصره.

- قاعدة الإحلال أو التعويض Replacement $a \implies b$

أي إحلال عنصر محل آخر.

- قاعدة التوسع والامتداد Expansion $a \implies b+c$

- قاعدة التقلص أو الاختصار Reduction $a+b \implies c$

- قاعدة الإضافة أو الزيادة Addition $a \implies a+b$

- قاعدة إعادة الترتيب Permutation $a+b \implies b+a$

(١) اتجاهات البحث اللساني، ص ٣٨٤. كذلك نظرية تشومسكي اللغوية، ص ١٣٩، ص ١٥٢.

(٢) النحو العربي والدرس الحديث، ص ١٤٠، ص ١٤١. كذلك في علم اللغة التقابلي، ص ٦٩، ص ٧٠.

ويضيف فيلمور قاعدة تحويلية إضافية هي النسخ copying بمعنى تكرار العنصر اللغوى أو كتابته مرة أخرى، ويمثلها $a + b \implies a + b + a$. ويمكن أن ترد تلك القاعدة إلى قاعدة التوسع والامتداد .

ومن المعلوم أن هناك تشابها بين ما أطلق عليه تشومسكى القواعد التحويلية التى تُمارس على البنية العميقة وبين ما أطلق عليه اللغويون العرب أعراض الجملة، أو عوارض الجملة.

- القواعد المورفونيمية: وهى المرحلة الرابعة والنهائية فى هذا النموذج التحويلى ويشمل القوانين الصرفية ، والصوتية التى تعطى الجملة الشكل النهائى المكتوب أو المنطوق ^(١).

(١) فى علم اللغة التقابلى، ص ٤٩، ص ٧٤.

المبحث الثانى

التراكيب فى نص الإشارات:-

لما كانت الجملة بناء لغوياً يفيد معنى كاملاً، ومستقلاً، ولا يعد جزءاً من بناء لغوى أكبر منه، فإن هذا البناء قد يأتى تركيباً يفيد معنى تاماً، مستقلاً، أو أكثر من تركيب حتى يصل المعنى إلى تمامه واستقلاله. ولذا يعد التركيب بناء لغوياً دون مستوى الجملة؛ إذ يكون متضمناً فيها. التركيب: وحدة لغوية تتكون من مسند ومسند إليه ، أى يتكون من كلمتين أو أكثر بينهما علاقة إسناد^(١).

ويصنف التركيب إلى نوعين^(٢):

- تركيب مستقل، أو رئيسى (Independent or main clause) وهو الذى يؤدي معنى تاماً بنفسه ولا يمكن أن يحل محل المفرد.
- تركيب غير مستقل، أو تابع (Dependent or subordinate clause) وهو الذى لا يؤدي معنى تاماً بنفسه، ولكنه يعتمد على التركيب المستقل مكوناً جملة صغرى، بتسمية ابن هشام، أو جملة فرعية^(٣) تابعة لكلمة فى التركيب المستقل^(٤)، وذلك مثل قول التوحيدى "العجب من رُوح تصر على هذا العذاب الأليم"^(٥) فجملة " تصر على هذا العذاب..." جملة تكميلية فرعية وقعت موقع النعت من كلمة "روح" فى التركيب المستقل ، وهى فى الحقيقة تركيب غير مستقل.

(١) -Essentials of Grammar and Composition:Glenn Legyett,C.David Mead, and Willam Charvat p. 486 and 492.

كذلك -English Grammar composition and correspondence M.Alderton Pink, and S.E. Thomas B.Com, London, 1979, p.18.

(٢) -Ipid

(٣) كما أطلق عليها الدكتور تمام حسان. اللغة العربية معناها، ومبناها، ص ٢١٨، ص ٢٢٠.

(٤) يتفق هذا مع إشارة بعض النحاة العرب القدامى من أن هناك إسناداً مقصوداً لذاته، وإسناداً غير مقصود لذاته. (ص ٩، ص ١٠ من هذه الدراسة).

(٥) الإشارات: ص ٢٢٨.

وعلى ذلك فإن التركيب غير المستقل الذى يكون الجملة الصغرى يمكن أن يشغل مواقع محددة بالنسبة لكلمة فى التركيب المستقل المستعمل معه، وهى المواقع التى يمكن أن يشغلها المفرد:

فيقع موقع:

- النعت، كما فى المثال السابق.
- الحال، كما فى قول التوحيدى: "الوعد يشوقك، وأنت ساه"^(١).
- المفعول به، كما فى قول التوحيدى: "أشهد أنك غيبين الرأى"^(٢).
- فعل الشرط حيث يترتب عليه جواب الشرط (التركيب المستقل)، وذلك من نحو قول التوحيدى: "إذا زخر بك وادى الدعاء، فاعلم أنك مراد بالإجابة"^(٣).
- يقع موقع الصلة كما فى قوله: "... لم يبق منها إلا الآثار التى تُذكر"^(٤).

وعلى هذا فإن الجملة يمكن تصنيفها على حسب ما تحوى من تراكيب إلى:

أ - **الجملة الكبرى:** وهى التى تتمُّ بها الفائدة، وقد يكون ذلك بتركيب واحد مستقل فتكون الجملة الكبرى حينئذ جملة بسيطة، أو يكون بترابط أكثر من تركيب مستقل فتكون الجملة الكبرى جملة مركبة، أو يكون ذلك بترابط تركيب مستقل مع تركيب غير مستقل أو أكثر فتكون الجملة الكبرى حينئذ جملة تركيبية، أو يكون ذلك بترابط تركيب مستقل أو أكثر مع تركيب غير مستقل أو أكثر فتكون الجملة الكبرى جملة تركيبية مركبة.

ب - **الجملة الصغرى:** وهى التى تتكون من تركيب غير مستقل ولا تتمُّ بها الفائدة وحدها، وتكون متضمنة فى الجملة الكبرى التركيبية، والجملة الكبرى التركيبية المركبة.

ويمكن على ذلك تقسيم الجملة الكبرى على أساس بنائها الداخلى ثلاثة أقسام: الجملة البسيطة، والجملة المركبة، والجملة التركيبية، ويضاف إليها قسم رابع هو الجملة التركيبية المركبة.

(١) الإشارات: ص ١٤٨.

(٢) الإشارات: ص ٤.

(٣) الإشارات: ص ٢.

(٤) الإشارات: ص ٤٤٤.

- **الجملة البسيطة (Simple):** تتكون من تركيب مستقل واحد إما فعليا فتسمى الجملة فعلية وإما اسميا فتسمى الجملة اسمية.

- **الجملة المركبة (Double and Mutiple):** تتكون من اثنين من التراكيب المستقلة (الرئيسة) أو أكثر، ويتم الربط بأداة من أدوات العطف، أو يكون الربط سياقياً بدون أداة، وقد يجمع بين نوعي الربط في الجملة الواحدة. وقد يتم الربط بين التراكيب المتجانسة، أى يتم الربط بين التركيب الفعلي والفعلى، وبين التركيب الاسمى والاسمى، وقد يُربط بين التراكيب غير المتجانسة.

- **الجملة التركيبية (المعقدة Complex):** تتكون من تركيب مستقل واحد، وتركيب غير مستقل واحد أو أكثر، وقد يتم الربط بين التركيب المستقل وغير المستقل بأداة ربط تركيبية^(١)، وقد يتم الربط سياقياً بدون أداة ربط^(٢).

ومن اللغويين من وضع قسماً رابعاً يأتي عليه البناء الداخلى للجملة الكبرى ويسمى **الجملة التركيبية المركبة (Compound-Complex)** . وهى الجملة التى تتكون من اثنين من التراكيب المستقلة، أو أكثر، وتركيب غير مستقل أو أكثر^(٣)، ويتم الربط بين التراكيب المستقلة بأداة من أدوات العطف، ويتم الربط بين ما هو مستقل وبين ما هو غير مستقل بأداة من أدوات الربط التركيبية، وقد أطلق الدكتور محمد إبراهيم عبادة على هذا النوع من الجمل الجملة المتشابهة^(٤). وهذه الجملة التركيبية المركبة تعد تداخلاً بين خصائص الجملة المركبة والجملة التركيبية.

(١) أدوات الربط التركيبية: تربط بين تركيب مستقل وبين آخر غير مستقل ولا تربط بين تراكيب مستقلة: وهى نوعان: مفردة مثل: أدوات الشرط ولام التعليل، والفاء واللام الواقعتين فى جواب الشرط، وبينما، واو الحال. ومركبة مثل: إما + ...إما، لا...إلا، لا...حتى، ما...إلا (لغة أبى العلاء المعرى فى رسالة الغفران فاطمة الجامعى الحبابى، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٨م، ص ١٤٥).

(٢) -English Grammar, Composition and Correspondence. p. 12 & p.19
-Essentials of Grammar and Composition, p. 495.
-A university Grammar of English: Randolph Quirk and Sidney Greenhaum, Longman, 1983, p.166 & p.309.
-The structure of English, p. 30
- Essentials of Grammer: p. 495

(٣) الجملة العربية، مكوناتها، أنواعها، تحليلها، ص ١٤٨.

وعلى هذا فإن الجملة المحولة عن الجملة التوليدية تنقسم:

- جملة بسيطة تشمل المكملات (التي تؤدي إلى اتساع الجملة وامتدادها) لزيادة معنى ما، ولكنها تظل في حيز الجملة البسيطة؛ إذ يكون المفهوم من مجموع الكلام معنى واحداً لا عدة معان^(١).

- جملة مركبة تنتج عن العطف بين التراكيب المستقلة، وتكرر القاعدة^(٢).

- جملة تركيبية تنتج عن الاندماج بين نوعي التركيب^(٣).

- جملة تركيبية مركبة تجمع بين خصائص النوعين السابقين.

من قراءة نص الإشارات يتضح أن الجمل البسيطة التوليدية النواة هي أقل أنواع الجمل وروداً، وقد تحققت أكثر ما تحققت في الجمل الاعتراضية، ولاسيما الدعائية منها مثل: "فديتك"، "هداك الله"، "عافاك الله"، "أكرمك الله"، أطال الله طولك" "أنار الله صدرك"... وغيرها.

نماذج الجملة المركبة:

نلاحظ أن التوحيد لا يكتفى في جملته المركبة بتركيبين مستقلين أو بثلاثة تراكيب مستقلة، بل يتعدى هذا بشكل واضح ولافت. وتتضح الجملة المركبة ذات التراكيب المستقلة المتعددة أكثر ما تتضح في سياق الدعاء وهذا الثراء في تراكيب الجملة المركبة يتناسب مع هذا السياق. ومن ذلك دعاؤه إلى ربه:

"اللهم، قدنا بعزيمة الراجعين إلى بابك،/ وبيض وجوهنا عند مناجاتك،/ واغمرنا بمواد مواهبك ومنحك،/ وآونا إلى كنف أمنك بالأمن منك،/ وأمطر علينا سحائب جودك وعطفك،/ ووفقنا لأقصد السبل إليك،/ وخفف علينا في كل الأمور التوكل عليك،/ وسهل علينا طلاب ما أعددت لأوليائك لديك،/ واسلبنا منا،/ وشردنا عنا،/ وخذ لنا،/ وبقنا علينا،/ ولا توالنا بالنعم استدراجاً،/ ولا تمهلنا بالتطاول احتجاجاً،/ ولا تؤاخذنا ببياتنا"^(٤).

ويقول في موضع آخر مخاطباً "هذا":

"ظاهرك أعيث من باطنك،/ وباطنك أخبث من ظاهرك،/ وإشاراتك أنكد من عبارتك،/ وعبارتك أفسد من إشارتك،/ وكلك مستغيث من بعضك،/ وبعضك هارب من كلك،/ وليلك يضح من نهارك،/ ونهارك يبرأ إلى الله من ليلك"^(٥).

(١) دلائل الإعجاز، ص ٤١٣.

(٢) نظرية تشومسكي اللغوية، ص ٩٦، ص ٩٧، ص ١٥٣.

(٣) نفسه.

(٤) الإشارات: ص ١٩٦.

(٥) الإشارات: ص ١٩٩، ص ٢٠٠.

نلاحظ أن الواو هي أكثر أدوات الربط استعمالاً بين تراكيب الجملة المركبة وقد يربط بينها بأدوات متنوعة كالفاء والواو كما قوله:

"يا هذا: لقد قصصت أثرى منك،/ فضللت خبرى عنى،/ وُصَلْتُ بما صحبني على،/ فما ازددت إلا نفوراً إلى" (١).

وقد يكون الربط ببل كما فى قوله:

"الغريب من أخبر عن الله بأنباء الغيب داعياً إليه،/ بل الغريب من تهالك فى ذكر الله متوكلاً عليه،/ بل الغريب من توجه إلى الله قالياً لكل من سواه،/ بل الغريب من وهب نفسه لله متعرضاً لجدواه" (٢).

ومن الربط أيضاً بأدوات متنوعة بين التراكيب المستقلة، قوله:

"...هى أن تجرد العزيمة فى نفسك من قاذورات هذه الدنيا،/ ثم تصل العزيمة بالصريمة فى الصبر على واردات البلوى،/ ثم تظهر بباطنك نفسك،/ ثم تتستر بباطنك لظاهرك،/ ثم تعتمد إلى الحق معتقداً،/ وتثابر على العمل معتمداً،/ وتظلف نفسك عن شهوات المرأى والمسمع مجتهداً،/ وتجعل الهمة كله هما واحداً،/ فإن صاحب الهموم الكثيرة مشئت البال... (٣).

وقد يتم الربط بين تراكيب الجملة ربطاً سياقياً بدون أداة كما فى قوله:

"يا هذا ارفع طرفك،/ أجل فكرك،/ أطل اعتبارك،/ اصدق نفسك،/ اعبد ربك،/ اهجر غاشك،/ أطلع نصيحتك،/ طهر سرك،/ ارقب رسولك،/ أصلح فاسدك،/ المم شعثك،/ جدد خلقك،/ جرد نيتك،/ هاجر إلى مولاك،/ باين شهوتك،/ عاد شيطانك،/ أجب داعيك،/ ارع راعيك،/ قدم زادك،/ كنز عتادك،/ ثبت أياديك،/ وثّر وطاءك،/ كنّف غطاءك،/..." (٤).

-الجملة المركبة التى يتم الربط فيها بين تراكيب متجانسة :

جاءت تراكيب معظم الجمل المركبة فى نص الإشارات متجانسة وهذا ما توضحه الأمثلة السابقة، والتجانس بين التراكيب يتجلى فى كونها إما أن تأتى اسمية، وإما أن تأتى فعلية. وإذا

(١) الإشارات: ص ٢٢٤.

(٢) الإشارات: ص ٨٥.

(٣) الإشارات: ص ٢٣٤.

(٤) الإشارات: ص ٢٤١.

وردت فعلية فإنها تكون متجانسة فى الزمن النحوى فيتم الربط بين تراكيب فعلية ذات فعل ماض، ويتم الربط بين تراكيب فعلية ذات فعل مضارع، ويتم الربط بين تراكيب فعلية ذات فعل أمر.

- الجملة المركبة التى تم الربط فيها بين تراكيب فعلية:

أ- فعلها ماض، وذلك من نحو قوله:

"هاجت الأسرار،/ وماجت الأحوال بين الإيراد والإصدار،/ ووُزِن كل شىء بالاختيار والاضطرار"^(١).

ب- فعلها مضارع، مثل قوله:

"يا هذا لا تَكْذِبَنَّ نفسك/ ولا تحملنَّها على أن تكذبك"^(٢).

ج- فعلها أمر، مثل قوله:

"يا هذا: نَزَّ طرفك عن النظر إلى غير الله،/ شَرَّفَ فكرك بالفكر فى عظمة الله،/ بيَّض وجهك بالصبر على عبادة الله،/ أخلص عملك من الشرك بالله،/ اطرب نفسك بأغاني ملكوت الله،/ اقرع صباح مساء باب جود الله،/ تعرَّض لوَيْل المواهب الهائلة من الله"^(٣).

- الجملة المركبة التى يتم الربط فيها بين تراكيب اسمية:

يقول التوحيدى :

"يا هذا: الضلوع مشوية بالأسى والحزن،/ والأكباد متهرئة بأنواع الآفات والسقم،/ والأرواح ذائبة بضروب الحيرة واليأس،/ فلا إلى الخلوة معاج،/ ولا بالمجالس ابتهاج"^(٤).

- الجملة المركبة التى يتم الربط فيها بين تراكيب غير متجانسة :

أما عن الجمل المركبة التى تحتوى على تراكيب غير متجانسة فكانت قليلة الورد، وقد اتضحت من خلال جمل مركبة تحوى تراكيب فعلية غير متجانسة فى الزمن النحوى، وجمل مركبة تحوى تراكيب غير متجانسة من حيث الاسمية والفعلية وكانت كالاتى:

-تركيب أو تراكيب فعلية فعلها أمر+تركيب أو تراكيب فعلية فعلها ماض، مثل قوله:

"اقتص من نفسك،/ فقد قتلتك،/ ثم أقصَّها منك بعد قتلها،/ قتلتك بالتسويل،/ وقتلتها بالتعويل"^(٥).

(١) الإشارات: ص ٢٤٢.

(٢) الإشارات: ص ٢٩٢.

(٣) الإشارات: ص ١٨١.

(٤) الإشارات: ص ٢٩٣.

(٥) الإشارات: ص ٢٤٤.

-تركيب أو تراكيب فعلية فعلها ماض + تركيب أو تراكيب فعلية فعلها أمر، مثل قوله:
"يا هذا: ذهب اللفظ المنمَّق،/ فهات الآن المعنى المُحقَّق" ^(١).

تركيب أو تراكيب فعلية فعلها ماض + تركيب أو تراكيب فعلية فعلها مضارع، مثل قوله:
"صانوك،/ فلا تبتذل" ^(٢).

تراكيب اسمية + تراكيب فعلية، مثل قوله:
"إنه كريم،/ فصدِّق" ^(٣).

تراكيب فعلية + تراكيب اسمية، مثل قوله:
"يا هذا: أرود،/ فالأمر غريب" ^(٤).

وقوله أيضا:

"ألهاهم الأمن،/ فهم ساهون" ^(٥).

نماذج الجملة التركيبية:

سبق القول بأن الجمل التركيبية هي ما تكونت من تركيب مستقل، وتركيب أو أكثر غير مستقل وقد يتم الربط بين هذين النوعين من التراكيب بأداة ربط تركيبية مفردة، أو مركبة، أو بالربط السياقي بدون أداة.

ويلاحظ من الاستقراء العام لنص الإشارات أن أكثر جملة جمل تركيبية.

- الجمل التركيبية التي تم الربط بين تراكيبها بأداة ربط تركيبية مفردة:

وهي الأكثر شيوعا في الإشارات، مثل الربط بـ "إن" في مثل قوله:

"إن التفت إلى نصيبك من الله،/ أقبل الله عليك" ^(٦).

والربط بـ "إن" و "الفاء" ، مثل قوله:

"إن جهل،/ فالواجب" ^(٧).

الربط بـ "إذا" ، مثل قوله مثنيا على الله:

"إذا وجدتني متهاكاً في الوعد،/ عدلتني بالوعد" ^(٨).

^(١) الإشارات: ص ٢٢٧.

^(٢) الإشارات: ص ٣.

^(٣) الإشارات: ص ٩٢.

^(٤) الإشارات: ص ٢٤١.

^(٥) الإشارات: ص ٣١١.

^(٦) الإشارات: ص ٣٧.

^(٧) الإشارات: ص ١٠.

^(٨) الإشارات: ص ٢٣٢.

الربط بـ"إذا" و"الفاء"، مثل قوله:

"إذا أمرتني بأمر،/ فاستعمل الزَّفَق" ^(١) .

الربط بـ"لو"، مثل قوله:

"لو وفينا الحياء منك حقه،/ لم نواجهك متلوثين بلطائخ الدنيا" ^(٢) .

الربط بـ"لو" + "اللام"، مثل قوله:

"لو كنت غريرا،/ لعذرتك" ^(٣) .

الربط بـ"لولا"، مثل قوله:

"ولولا أنك اشتقت إليه،/ ماتها لكتّ عليه" ^(٤) .

الربط بـ"لولا" و"اللام"، مثل قوله:

"لولا هذا العجز،/ لكان لى مجال فى القول" ^(٥) .

الربط بـ"مَنْ"، مثل قوله:

"من قرع باب الله،/ ولج" ^(٦) .

الربط بـ"مَنْ" و"الفاء"، مثل قوله:

"مَنْ لزم حدود العبيد فى صبره وشكره،/ فقد أَمِن من استدارجه ومكره" ^(٧) .

الربط بـ"متى" و"الفاء"، مثل قوله:

"متى اتهمتني فى هذه النصيحة،/ فشاور عقلك" ^(٨) .

الربط بـ"لما"، مثل قوله:

"فلما جاءت الحقيقة،/ بادت رسومك وصفاتك" ^(٩) .

(١) الإشارات: ص ٢٣١ .

(٢) الإشارات: ص ١٣٨ .

(٣) الإشارات: ص ٣٦٠ .

(٤) الإشارات: ص ١٦٣ .

(٥) الإشارات: ص ٣١٥ .

(٦) نفسه .

(٧) الإشارات: ص ٣١٣ .

(٨) الإشارات: ص ٩ .

(٩) الإشارات: ص ١٤٩ .

الربط بواو الحال، مثل قوله:

"مَنْ مِثْلَكَ، /و/ نفسك بريئة من الشرك" ^(١).

الربط بلام التعليل، مثل قوله:

"إلهي: إني قد لاطفت عبدك /ل/ يفىء إليك" ^(٢).

وقوله أيضاً:

"... فنحن هالكون بها/ل/ أنا متهاكون فيها..." ^(٣).

- الجمل التركيبية التي تم الربط بين تراكيبها بأداة ربط تركيبية مركبة:

الربط بـ "ما + ...إلا"، وذلك كما في قوله:

"إلهنا: مالنا ذنب إليهم، /إلا أنا ذكرناك لهم" ^(٤).

الربط بـ "لن + ... حتى"، مثل قوله:

"... لن تتال مُناك في هواك، /حتى تُرى بحبل الصبر مربوطاً" ^(٥).

الربط بـ "لا+... حتى"، مثل قوله:

"ولا يُبسط لك هذا البساط، /حتى تصحب كونك بفراق كونك" ^(٦).

الربط بـ "لا+... إلا"، مثل قوله:

"لا سرّ، /إلا وهو متهم" ^(٧).

وقد يربط بين تراكيب الجملة التركيبية بثلاث أدوات ربط تركيبية، كما في قوله:

"فإن كنت أنت أيضاً ممتحناً بالسماح، ففخر خسرنا جميعاً، لئلا قد خلونا في حالتى القول والسماع مما يملأ الصاع" ^(٨).

^(١) الإشارات: ص ٢٦٨.

^(٢) الإشارات: ص ٣٠٧.

^(٣) الإشارات: ص ٢١٩.

^(٤) الإشارات: ص ١٣٦.

^(٥) الإشارات: ص ٤٢٧.

^(٦) الإشارات: ص ١١٢.

^(٧) الإشارات: ص ٢٣.

^(٨) الإشارات: ص ١٣٥.

حيث ربط بـ"إن" الشرطية، وبـ"الفاء" التى تصدرت جواب الشرط، وبـ"اللام التعليلية".

هناك من الجمل التركيبية التى يتم فيها الربط بين تراكيبها (مستقلة وغير مستقلة) بالربط السياقى، وذلك عندما يقع التركيب غير المستقل، على سبيل المثال:
نعنا لكلمة فى التركيب غير المستقل وذلك من مثل قوله:
"يا هذا: عد بنا إلى ذكر قوم،/ قطعوا أيام حياتهم بالصبر المر"^(١).
أو يقع مفعولاً به كما فى قوله:

"استيقن/ أن محبة النفس فى معرفة النفس"^(٢).

- التجانس بين تراكيب الجملة التركيبية وعدمه :

يتحقق التجانس بين تراكيب الجملة التركيبية فى مواضع ليست بالقليلة، نجد أن معظمها قد ورد متجانساً من حيث الفعلية، ولا سيما فى الجمل التى يتم الربط فيها بأدوات الشرط، وهذا يتضح من الأمثلة السابقة الذكر، وكذلك من الأمثلة التى سترد فى مبحث الترتب، إن شاء الله، ويتحقق عدم التجانس بين التراكيب فى مواضع أخرى، وذلك من نحو قوله:
"يا هذا إن صعبت عليك الوصف،/ فهو صعب"^(٣).

تركيب غير مستقل فعلى / تركيب مستقل اسمى

وقد اتضح التجانس من حيث الفعلية والاسمية فى معظم المواضع التى وردت فيها الجملة التركيبية ذات التراكيب المرتبطة بأدوات الربط التركيبية غير أدوات الشرط وذلك كما فى قوله:
"... لا تعور عين اليقين/ وقد شربت منه"^(٤).

تركيب مستقل فعلى / تركيب غير مستقل فعلى.

وقوله:

"الوعد يشوقك ، / وأنت ساه"^(٥).

تركيب مستقل اسمى / تركيب غير مستقل اسمى

أما عن الجمل التركيبية التى ارتبطت تراكيبها ارتباطاً سياقياً، فلم يشع التجانس بين التراكيب من حيث الاسمية والفعلية، من ذلك قوله :
"ولكل سكوت حد،/ يُبلغ إليه"^(٦).

تركيب مستقل اسمى / تركيب غير مستقل فعلى

وقوله:

(١) الإشارات: ص ٢٧٢.

(٢) الإشارات: ص ٣٣٨.

(٣) الإشارات: ص ١٨٦.

(٤) الإشارات: ص ١٧٨.

(٥) الإشارات: ص ١٤٨.

(٦) الإشارات: ص ٢٦٣.

"هذا وصف رجل،/ لحقته الغربة" ^(١).

تركيب مستقل اسمي / تركيب غير مستقل فعلي

وتتميز الجملة التركيبية التي ترتبط تراكيبيها بأدوات الشرط ، أو بأدوات الربط التركيبية المركبة بكونها تؤدي عددا من الوظائف النحوية إذا اكتنفها كلام سابق عليها، وقد احتلت الجملة التركيبية التي من هذا النوع المواقع الآتية:

- وردت نعتا كما في قول التوحیدی:

"كنفٌ، (ما أوى إليه أحد ، إلا وجد أمانا من البؤس)" ^(٢).

وقوله:

"قد اخترط الحق لسانا، (لا يمر بصدع، إلا شعبه)" ^(٣).

وقوله:

"فهل رأيت قولا، (كلما بان، غمض)" ^(٤).

فقد جاءت الجملة التركيبية نعتا للخبر "كنف" وللمفعولين "لسانا"، و"قولا".

- ووردت خبرا للناسخ كما في قوله مثنيا على الله:

"إنه (ما أقبل إليه أحد، إلا قبله)" ^(٥).

وقوله أيضا:

"فإنه (إن رأى فقرك، رحمك)" ^(٦).

وقوله:

"خلت العراض من ناس كانوا (إذا تنفسوا، أحرقوا الحجب بينهم وبين الله)" ^(٧).

- ووردت صلة الموصول كما في قوله:

"يا هذا: الغريب من (إذا ذكر الحق، هُجر)" ^(٨).

- ووردت نائب فاعل في مثل قوله:

"... قيل لك: (لو كنت من أصحاب الخرق والخرق، لم يُشكَل عليك ما يمر في هذه الطرق)" ^(٩).

- ووردت مقول القول، كما في قوله:

(١) الإشارات: ص ٨٢.

(٢) الإشارات: ص ٤٥.

(٣) الإشارات: ص ٩.

(٤) الإشارات: ص ٢٣.

(٥) الإشارات: ص ٣٣٢.

(٦) الإشارات: ص ١٢٤.

(٧) الإشارات: ص ٩٥.

(٨) الإشارات: ص ٨٣.

(٩) الإشارات: ص ٤١٢.

"فإن قلت لى: (لو بدأت فى قولك بالتحقيق، لحصلت فى سماعى على التصديق)، كان لك ذلك" (١).

ومن اللافت للنظر أن الجمل التركيبية التى ربط بين تراكيبيها بأدوات الشرط تترادف فى مواضع متعددة مع تكرار أداة الربط نفسها، وذلك من نحو قوله:

"يا هذا: إن كنتَ وَجِعا فأين تأوهك؟ وإن كنتَ مريضاً فأين أنينك؟ وإن كنتَ مهجوراً فأين استيحاك؟ وإن كنتَ موصولاً فأين استئناسك؟ وإن كنتَ قريباً فأين علامتك؟ وإن كنتَ بعيداً فأين حزنك وحسرتك؟ وإن كنتَ مُريداً فأين اجتهداك؟ وإن كنتَ مراداً فأين استقلالك؟ وإن كنتَ عارفاً فأين انبساطك؟ وإن كنتَ غريباً فأين انقباضك؟ وإن كنتَ متواجداً فأين سكرتك؟ وإن كنتَ تائباً فأين إخلاصك؟ وإن كنتَ متوكلاً فأين تفويضك؟ وإن كنتَ مدعياً فأين شاهدك؟ وإن كنتَ شاهداً فأين حزنك؟ وإن كنتَ آمناً فأين طمأنينتك؟ وإن كنتَ خائفاً فأين خفقانك؟ وإن كنتَ زاهداً فأين عفافك؟ وإن كنتَ راغباً فأين مبدولك؟ وإن كنتَ مترنماً فأين لحنك؟" (٢).

ويتضح هذا التوالى للجمل التركيبية ذات الأداة نفسها من قوله أيضاً:

"من قرع باب الله ولج، ومن طلب ما عند الله ادلج، ومن توجه إلى الله استسلم، ومن طلب المكانة العلية عند الله استعصم، ومن ذاق ما لدى الله استحلاه، ومن اشتاق إلى ما وعد به استجلاه" (٣).

ويتوالى هذا النوع من الجمل التركيبية، وقد رُبط بين بعضها وبعض ربطاً لفظياً بأداة عطف كما اتضح من الأمثلة السابقة. وقد تتوالى، وقد ربط بينها ربطاً سياقياً، وذلك كما فى قوله مسترسلاً أشد الاسترسال فى الفكرة التى يريد التعبير عنها.

"يا هذا: ... إذا سارك بغيبه، فقد صانك عن علانية غيره، إذا قربك المعشوق، فاحتجب عن تقريب المعشوق، إذا غشيك المذكور ببادى ذكره إياك، فزل عن ذكرك اذكار المذكر لك، إذا استكمتك الملك سر المملكة، فلا تشافه فى طيه من يعرضك للهلكة، إذا فاجأك الحبيب بمحاسنه فآله عن الرقيب مستمتعا باللحظ، إذا ناجاك الحق بما يدق عن الفهم، فلا تحاكمه إلى نقص العقل، إذا عدا عليك الحس بالاستحالة، فاعد عليه بسلطان الحق، إذا فتتك العقل بدقائق البحث، فاستقبله بحقائق التسليم، إذا أعجبتك النفس فى الطاعة، فعرفها استحقاق المطاع، إذا خدعك الشكر برؤية

(١) الإشارات: ص ١٣٥.

(٢) الإشارات: ص ٢٩١، ص ٢٩٢.

(٣) الإشارات: ص ٣١٥.

النعم عن طلب المزيد ، فانتف بذلك عن رؤية المُنعم، إذا حدّثتك نفسك بالوصول، فكن على حذر من مكر المُوصل، إذا سما بك الرجاء إلى الطمأنينة، فاهبط إلى ساحة الخوف بالقلق، إذا رصدك الهوى بتسويله، فاجبئه سائله بالرد، وعامل غريمه بالتسويق، إذا لاح لك شاهد الحق منك ، فواصله بشاهده فيك، إذا استعجمت عليك مراسم الظاهر، فأيدّها بحجج الباطن، إذا ساعدك الوقت بخوادم اللذات، فخفّ توابع التبعات، ...إذا زخرفت لك العين شاهد الوجدان، فاستند أنت إلى ركن العرفان، إذا نغم لك بألحان التوحيد، فاطرب عليه بأصناف التمجيد، إذا عكسك حاضر الأمانى فى مدارج التوانى، فاطرد أنت بثابت المعانى، إذا ادّعى عليك المحال بشواهد التمويه فابرز أنت بحقائق التعريف والتنزيه، إذا أضلّوك بأوائل الإحساس، فاهتد أنت بثوانى العقول، إذا كدّوك بمطالب التعريض، فاسترح أنت بحقائق التقويض، إذا أراحوك من لوازم الظاهر، فاكدد نفسك أنت ببوادي الباطن، إذا حرموك على وجه الاختيار، فتلق ذلك بشدائد الاضطرار " (١).

أما عن الجمل التركيبية التى ربط بين تراكيب كل منها بأدوات ربط تركيبية مركبة فكان تواليها قليل الشيع وذلك من نحو قوله:

"إنه ما أقبل إليه أحد إلا قبله، ولا قبل أحد إلا خصه، ولا خصّ أحد إلا اجتباه، ولا اجتبى أحد إلا اصطفاه، ولا اصطفاه إلا ولّاه، ولا ولّى أحدًا إلا تولاه، ولا تولّى أحدًا إلا كفاه، ولا كفى أحدًا إلا ملأ قلبه وجدا به" (٢).

وقوله فى موضع آخر :

"قلا ذكرَ إلا وقد خانه النسيان، ولا عشقَ إلا وقد شعثه السلو، ولا وجدَ إلا وقد قدح فيه النقص، ولا فؤادَ إلا وقد كُدر بالريب، ولا طرفَ إلا وقد ازور بالملل، ولا أذنَ إلا وقد برمت بالإصغاء، ولا لسانَ إلا وقد كلّ من الإسهاب ، ولا صبرَ إلا وقد عزّب عن المساعدة، ولا صاحبَ إلا وقد ملّ من المجاملة ، ولا عينَ إلا وقد جمدت من البكاء ، ولا بدنَ إلا وقد فُتّر من العناء، ولاخاطرَ إلا وقد وقف عن السُّنوح ، ولا وجهَ إلا وقد سُمج بالكلوح ، ولا بالَ إلا وقد كسف بالقنوط ، ولا حالَ إلا وقد ثبت على الهبوط، ولا عزَ إلا وقد انتهى إلى الذل، ولا قولَ إلا وقد عيب بالتكرار، ولا صدرَ إلا وقد امتلأ بالوجيب، ولا أمرَ إلا وقد استمر على وصف عجيب " (٣).

وكان توالى الجمل التركيبية التى كان الربط بين تراكيب كل منها ربطا سياقيا قليلا أيضاً، وذلك من مثل قوله:

(١) الإشارات: ص ١٧٠، ص ١٧١.

(٢) الإشارات: ص ٢٣٢.

(٣) الإشارات: ص ١٤، ص ١٥.

"أفدى والله عينا، باتت تدمع من خشية الله، بل أفدى والله نفسا، ظلت خاضعة مهينة هيبة لله، بل أفدى والله لسانا، تلجلج بالاعتذار إلى الله، بل أفدى والله قلبا، ما يزال خافقا حياء من الله، بل أفدى والله قدما، زلت على الحركة في سخط الله، بل أفدى والله يدا، كفت بنانها عن تناول ما لم يبحه الله، بل أفدى روحا، تهالكت وجدا على أولياء الله، بل أفدى والله نعمة، أدبت بها حقوق الله، بل أفدى والله عقلا، اشتاق إلى موعود الله، بل أفدى والله كبدًا، أوتر على الراحة لوجه الله، بل أفدى والله خاطرا، يسنح مبشرا بذكر الله" (٢).

نماذج الجملة التركيبية المركبة:

الجملة التركيبية المركبة - كما سبق القول - هي الجملة التي تتكون من اثنين من التراكيب المستقلة أو أكثر، وتركيب غير مستقل أو أكثر.

وقد ورد هذا النوع من الجمل في الإشارات، وقد ربط بين التراكيب المستقلة وبين التراكيب غير المستقلة بأداة من أدوات الشرط التي لها الصدارة وبالفاء التي تنصدر جواب الشرط، وارتبطت التراكيب المستقلة فيما بينها ربطا لفظيا بأحد أدوات العطف، وارتبطت التراكيب غير المستقلة فيما بينها ربطا لفظيا أيضا بأحد أدوات العطف. وقد توافر التجانس بين التراكيب. تلك الخصائص للجملة التركيبية المركبة نلاحظها في مثل قول التوحیدی:

"متى انفتح بصرك لطلب حياة نفسك،/ وانشرح صدرك في تعرف كمالك وفضلك،/ وانجابت عنك غيابتك،/ فبدت لروحك منك غايتك،/ وحن فؤادك إلى الفحص عنك بما يحقق يقينك، وجمع لك صفتك، ويحرس عليك سمتك، ويوجدك بك، ويصفيك منك، ويهيئك لمن هو أولى بتصرفك وأملك لتصرفك، وأعلم بصرفك ومُتصرفك،/ فقابل ذلك كله بالقبول،/ واستعن عليه بالصبر،/ وصل الصبر بالاستسلام،/ وامزج الاستسلام بالتوكل،/ وحلّ التوكل بالمحبة،/ وثبت المحبة بالصدق،/ وجُلّ في أثناء الصدق بالإخلاص،/ ومُجّ في الإخلاص بالوجد،/ وجُدّ في الوجد بالموجود" (١).

هكذا يتضح لنا الامتداد الداخلي للجملة لدى التوحیدی حيث تتميز، كما اتضح، بترايط تراكيب متعددة: مستقلة وغير مستقلة، ولهذا فإنه يصعب في كثير من المواضع التفرقة بين الجملة المركبة والجملة التركيبية في لغة الإشارات حيث يكون بينهما تداخل كبير؛ إذ يمكن أن يبدأ أبو حيان بجملة مركبة، ثم يفرع عن أحد تراكيبها المستقلة تركيبا أو تراكيب أخرى غير مستقلة فينتهي إلى جملة تركيبية وذلك مثل قوله:

(٢) الإشارات: ص ١١٤.

(١) الإشارات: ص ٦٦.

"يا هذا:// ذرت الشمس بحقائق الوجدان الطاعن من عرصۃ القلب المقيم فى ساحة الروح،//
فضاقت الأرض بما رحبت، // واشربأت الأبصار نحو الغاية المحمودۃ، // فثابت خاسئة حسيرة
ل/ما دهمها من عز مَن (أ)/ له العز حقا (ب) " (٢).

فقد تفرع من آخر تركيب مستقل لتلك الجملة المركبة تركيب آخر غير مستقل (أ)، وربط بينهما
بلام التعليل، ثم تفرع عن هذا التركيب غير المستقل (أ) تركيب آخر غير مستقل (ب).

وقد يبدأ بجملة تركيبية ثم يتفرع عن أحد تراكيبها المستقلة أو غير المستقلة تراكيب أخرى
مستقلة تُعطى على ما يسبقها فينتهى إلى جملة مركبة، وذلك من مثل قوله:

"... فإن أغضيت عنها (يقصد الحياة) أنفأ منها،// ولم تحلم بها عائفاً لها،// ولم تكمد عليها
مستغيثاً بما فوقها،// رفعوك إلى حظيرة القدس/وتجوك بتاج الروح والأنس (أ)/ وردوك برداء
المخصوصين (ب)/ وأنسوك جميع ما قاسيته بين العالمين، (ج)/ وخاطبوك بلفظ التشريف (د)/
وأعفوك من كل توقيف وتعنيف (هـ)/ وقيل لك... (و)" (٣).

فقد عطف تراكيب مستقلة أخرى (أ، ب، ج، د، هـ، و) على التركيب المستقل "رفعوك..." فتداخلت
خصائص الجملة المركبة مع خصائص الجملة التركيبية. وهذا ما يميز الجملة لدى التوحيدى فى
نص الإشارات، فالاستطراد سمتها، والامتداد، والتفريع، خصيصة لها.

(٢) الإشارات: ص ١٣٢.

(٣) الإشارات: ص ٢٠٧.

الفصل الثانى

وسائل اتساع الجملة

تمهيد

وسائل اتساع الجملة Sentence expansion

حصر أحد الباحثين المحدثين^(١) أهم الوسائل التي تتسع بها بنية الجملة التوليدية النواة فتصبح جملة محولة غير نواة. هذه الوسائل هي:

الاتساع عن طريق العناصر الإسنادية وغير الإسنادية.

الاتساع عن طريق تقييد الفعل.

الاتساع عن طريق التبعية.

الاتساع عن طريق التعدد.

الاتساع عن طريق التعاقب.

الاتساع عن طريق الترتب.

وقد تجتمع في الجملة نفسها أكثر من وسيلة فتزداد تعقداً وامتداداً.

"طول التقييد" هو أحد طرق إطالة الجملة عن طريق العناصر غير الإسنادية أي غير المؤسسة^(٢) وهو "يقع .. في الأفعال والأسماء المشتقة التي تتضمن الحدث الفعلي فتحتاج إلى ما يحتاج إليه الفعل ... والفعل يستطيل عن طريق المقيدات وهي ما يسميه النحويون المعمولات وهذه المقيدات تعمل على تخصيص جهات الفعل المختلفة من حيث وقوع الحدث المتضمن فيه على جهة معينة"^(٣).

وطول التبعية ينتج من تقييد التبعية: تقييد يخص الاسم وحده وهو تبعية النعت وتقييد يخص الاسم وغير الاسم وهو تبعية التوكيد وتبعية البدل وتبعية العطف^(٤).

والنوع الثالث من أنواع طول الجملة هو طول التعاقب والمقصود به هو إمكانية إحلال الجملة محل المفرد فتقوم مقامه وهي الجملة التي لها محل من الإعراب وقد حددها ابن هشام،

(١) بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م.

(٢) قد تطول الجملة من خلال عناصرها الإسنادية المؤسسة لها، وسيأتى تفصيل ذلك من خلال نص الإشارات إن شاء الله. بناء الجملة العربية، ص ٥٧ - ٥٩.

(٣) بناء الجملة العربية: ص ٦١.

(٤) المرجع السابق، ص ٦٥.

ويؤدي شغل الجملة الوظيفة النحوية المعينة للمفرد إلى إطالة الجملة فتصبح عنصراً في الجملة الكبرى، وتسمى الجملة الصغرى^(١).

وهناك طول التعدد وهو وسيلة واضحة من وسائل امتداد الجملة لدى التوحيدي، كما سيتضح، وهو يعنى تعدد الوظيفة النحوية الواحدة في الجملة نفسها. وشرط الحكم بالتعدد للوظيفة النحوية نفسها عدم الاقتران بحرف العطف ويعد المفعول به والخبر والنعت والحال وظائف نحوية يمكن تعددها، فتطول بها الجملة^(٢).

والنوع الخامس من أنواع إطالة الجملة هو الطول عن طريق الترتب، وهو توقف جملة على أخرى واحتياجها إليها، وتعليق حكم مفهوم من جملة على حكم آخر، كما في الجملة الشرطية، وجملة القسم، والجملة الفعلية التي يقع فعلها مجزوماً في جواب الطلب والفعل المنصوب بعد فاء السببية وواو المعية في جواب نفى محض أو في جواب طلب محض بأنواعه وهو الأمر، والنهي، والدعاء والاستفهام، والعرض، والتحضيض، والتمنى^(٣).

وسوف أعرض لهذه الوسائل التي تؤدي لاتساع الجملة في نص "الإشارات"، وسأضرب في البحث أمثلة، وسأشير في الهوامش إلى مزيد من مواضع الأمثلة الأخرى .

(١) بناء الجملة العربية ، ص ٧٠.

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٨.

(٣) المرجع السابق ، ص ٧٧ - ٨١.

المبحث الأول

اتساع الجملة عن طريق العناصر الإسنادية وغير الإسنادية:-

قد تطول الجملة من خلال عناصرها الاسنادية المؤسسة لها وهى المبتدأ، والخبر والفاعل، ونائب الفاعل وذلك عندما يكون كل منها مركباً اسماً **Noun phrase** والمقصود^(١) به هنا مجموعة وظائف نحوية ترتبط ببعضها لتتضمن معنى واحداً يصلح أن يشغل وظيفة واحدة فى الجملة بحيث إذا كانت وحدها لا تكون جملة مستقلة، كأن يكون هذا العنصر المؤسس اسماً دالاً على الحدث يحتاج إلى ما يحتاج إليه فعله مثل المصدر أو الأسماء المشتقة، فجملة مثل: "منع ولئى الأمر حق اليتيم حرام" ورد المبتدأ فيها مركباً اسماً؛ لأنه مصدر يحتاج إلى ما يحتاج إليه الفعل فاحتاج إلى فاعل وهو المضاف إليه "ولئى" وهو من إضافة المصدر إلى فاعله ثم نصب مفعولاً به "حق"، والمصدر مع فاعله ومفعوله وظائف نحوية ارتبط بعضها ببعض عن غير طريق التبعية ولكن بعمل المصدر الذى يعمل عمل الفعل ولا تكون تلك الوظائف النحوية وحدها جملة مستقلة ذات معنى مفيد. وقد يكون اسماً من الأسماء المشتقة التى تعمل عمل الفعل كقوله تعالى: "وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ" (من الآية ١٨، سورة الكهف)، فالخبر "باسط" اسم فاعل عمل عمل الفعل فأضمر فيه الفاعل ونصب المفعول به "ذراعى". ويكون العنصر الإسنادى فى الجملة مركباً اسماً يطيل الجملة عندما يكون مصدراً مؤولاً من حرف مصدرى وصلته مثل قوله تعالى: "وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ" (من الآية ١٨٤، سورة البقرة)، والتقدير "صيامكم". وقد يأتى اسماً موصولاً يحتاج إلى ما يوضحه ويزيل إبهامه وهى جملة الصلة كقولنا: "الله الذى يهب" فالخبر هو الاسم الموصول الذى "وقد جاءت جملة الصلة "يهب" لتوضحه.

- اتساع الجملة عن طريق المسند إليه فى الجملة الاسمية (المبتدأ):

تتسع الجملة عن طريق المسند إليه فى الجملة الاسمية فى كثير من المواضع فى "الإشارات"، حيث ورد مصدراً مؤولاً من أن والفعل كما فى قوله:
"اللهم عزيز على أن أقول ما أقول، ونصيبى منه اللفظ المحبر" ^(٢).

(١) بناء الجملة العربية، ص ٥٧-٥٩.

(٢) الإشارات: ص ٣٥٨.

وقوله فى موضع آخر :

" حرام على قلب استتار بنور الله أن يفكر فى غير عظمة الله " (١).

وورد المسند إليه فى الجملة الاسمية مصدراً مؤولاً من "أنّ" ومعمولها من نحو قوله:

".... ولولا أنك عرفتَه (أى الله) ما وصفته ولولا أنك وصفته ما اشتقت إليه ، ولولا أنك اشتقت إليه ما تهالكت عليه" (٢).

فالمصدر المؤول من أنّ ومعمولها (ضمير الخطاب اسمها، والجملة الفعلية خبرها) مبتدأ واقع بعد "لولا" فى جملة الشرط .

ويقول معنفاً:

"إلى متى تُدبر وأنت عندك أنك مقبل؟ وإلى متى تُصم وأنت فى حسابك أنك تسمع؟ وإلى متى تعمى وفى تقديرك أنك مبصر؟" (٣).

فالمصدر المؤول من أنّ ومعمولها فى كل جملة مبتدأ مؤخر (أنك مقبل ، "أنك تسمع" أنك مبصر).

(١) الإشارات : ص ٣٨٠ . توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ٧٨ ، ١٢٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٧٢ ،

٣٢٩ ، ٣٦٥ ، ٣٧٧ ، ٤٠١ ، ٤٢٢ .

(٢) الإشارات: ص ٦٣ .

(٣) الإشارات: ص ١١٨ .

ويقول فى موضع آخر متعجباً من حال أسير الدنيا:

"ومن غريب شأنه أنك إن بشرته بالعتق، اغتم"^(١).

فالمصدر المؤول من أن ومعموليها (ضمير الخطاب اسمها، وجملة الشرط خبرها) مبتدأ مؤخر، وقد جاء المبتدأ على صورة: أن الناسخة + اسمها ضمير متصل + أداة شرط + جملة فعل الشرط (بشرته) + جملة جواب الشرط (اغتم).

وقد طالت الجملة عن طريق اسم الناسخ حيث ورد اسماً موصولاً يحتاج إلى جملة صلة توضحه وتزيل إبهامه. يقول التوحيدي:

"... ليت من طردنى عن بابهِ أهلى لعتابه .. ، أو ليت من جرّعنى مرّ فراقه أخطر على بالى حلاوة لقائه ، أو ليت من غمسنى فى بحر البلوى طرحنى إلى ساحل المنى..."^(٢).

وهكذا تتوالى الجمل الاسمية المبدوءة بناسخ، وقد ورد اسم كل منها اسماً موصولاً "من" احتاج لجملة صلة توضحه وتزيل إبهامه.

وورد اسم الناسخ مصدراً يعمل عمل الفعل من نحو قوله مناجياً الله:

"وليس مسئلتى إياهم لليأس منك .. ولكن لأن مواجعتى إياك بالافتراح مع إقامتى على مخالفتك افتضاح"^(٣).

فورد اسم الناسخ مركباً اسمياً مكوناً من مصدر يعمل عمل الفعل + مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله + مفعول به للمصدر ضمير منفصل.

(١) الإشارات: ص ٢٨٨. توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ٨٠ ، ١٥٤ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ٢٠١ ،

٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣١٦ ، ٣٥٣ ، ٤٥٥ .

(٢) الإشارات: ص ٢٠٥ ، توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ٢٧ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ١٢٨ ، ١٥٣ ، ١٦٤ ، ١٩٣ ،

٢١٧ ، ٢٢٤ ، ٢٦٥ ، ٣٢٣ ، ٣٥٢ ، ٤٢٨ ، ٤٥٥ .

(٣) الإشارات: ص ٣١ . توجد أمثلة أخرى فى صفحات ١٠٤ ، ١٣١ ، ٣٧١ .

- طول الجملة عن طريق المسند فى الجملة الاسمية (الخبر):

ورد خبر المبتدأ مركباً اسمياً حيث ورد مصدراً مؤولاً من أن والفعل كما فى قوله:
"... والوقت حاد فكن من حدته على حذر . والحذر هنا أن يوكل همك بالعلويات" ^(١).
حيث ورد خبر المبتدأ "الحذر" المصدر المؤول من أن والفعل "يوكل".
ويقول أيضاً:

"فاتحة مقاصد القوم أن يُقال: الحق خفى لكنه جلى" ^(٢).
فورد الخبر مصدراً مؤولاً من أن والفعل المبني لغير فاعله "يُقال".
وورد أيضاً من نحو قوله:

"أتدري ما الأهبة؟ هى أن تجرد العزيمة على نفسك من قاذورات هذه الدنيا" ^(٣).
فورد الخبر مصدراً مؤولاً من أن والفعل "تُجرد".

وورد خبر المبتدأ اسم فاعل كما فى قوله :
" إلهنا : نحن عبيدك ... آملون روادف عطفك " ^(٤).
حيث ورد الخبر "آملون" خبراً ثانياً للمبتدأ "نحن" عاملاً فيما بعده فنصب المفعول به "روادف".
وورد خبر المبتدأ اسماً موصولاً كما فى قوله عن الغريب :

"يا هذا: الغريب ... من كله حرقه ... الغريب من إذا دعا لم يُجب ... الغريب من إذا استوحش
استوحش منه..." ^(٥).

فوردت جملة الصلة لخبر الجملة الأولى جملة اسمية "كله حرقه"، ووردت جملة الصلة لخبر الجملة
الثانية والجملة الثالثة جملة شرطية "إذا دعا لم يُجب"، و"إذا استوحش استوحش منه".
وقد جاء خبر الناسخ اسماً مشتقاً يعمل عمل الفعل فورد اسم فاعل كما فى قوله يشكو
حاله:

^(١) الإشارات: ص ٤٩ .

^(٢) الإشارات: ص ٢٦٧ .

^(٣) الإشارات: ص ٢٣٤ . يوجد الكثير من الأمثلة الأخرى، وذلك كما فى صفحات ٢٨ ، ٧٧ ، ١٦٠ ، ١٧٢ ،
١٩٠ ، ٢٢٦ ، ٢٣٤ ، ٢٤٠ ، ٢٥٩ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣٢٥ ، ٣٣٨ ، ٣٨٦ ، ٤٤٥ .

^(٤) الإشارات: ص ٢٠٨ .

^(٥) الإشارات: ص ٨٤ . توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٨٥ ، ١٩٢ ،
٢٢٣ .

"... فلا وعده جالبٌ لى فرحاً، ولا وعيده صارفٌ عنى ترحاً، ولا سراره مهدٍ إلى رُوحاً، ولا جهاره ممسكٌ دونى نوحاً"^(١).

حيث ورد خبر لا النافية للجنس فى كل جملة اسم فاعل؛ فاحتاج إلى ما يحتاج إليه الفعل فأضمر فيه الفاعل ونصب مفعولاً به حيث كان على التوالى "فرحاً" ، "ترحاً" ، "روحاً" ، "نوحاً".

وورد خبر الناسخ مصدرًا عاملاً فيما بعده كما فى قوله:

"... ويكون الوجد به وجد السائحين فى أعماق الملكوت"^(٢).

حيث ورد خبر "يكون" مصدرًا أضيف إلى فاعله فى المعنى "السائحين".

وجاء خبر الناسخ اسماً موصولاً يحتاج إلى جملة توضحه وتزيل إبهامه، فتطول به الجملة. يقول التوحيدى مناجياً الله:

"إنك من توهل من تريد لما تريد"^(٣).

حيث ورد خبر الناسخ الاسم الموصول الأول "مَنْ" فاحتاج إلى جملة صلة توضحه.

- طول الجملة عن طريق المسند إليه فى الجملة الفعلية (الفاعل):

تطول الجملة عن طريق الفاعل الذى ورد مصدرًا مؤولاً من أن المصدرية والفعل فى مواضع متعددة من نحو قوله مستكراً من "هذا".

"أما أن لك آن تقلع عن هذا الإصرار؟ أما وجب عليك أن تستحيى من مخالفة الله فى الجهار والسرار"^(٤).

ورد الفاعل المصدر المؤول من أن المصدرية والفعل المضارع وهما على التوالى "أن تقلع" على تقدير الإقلاع ، و "أن تستحيى" على تقدير الاستحياء.

(١) الإشارات: ص ٢٠٨.

(٢) الإشارات: ص ١٥٤.

(٣) الإشارات: ص ١٧.

(٤) الإشارات: ص ١٤٨.

ويقول في موضع آخر:

"فقد آن لك الآن أن تتقطع حسرة على حظوظ فانتك من الله، وحسن بك أن تلطم خدك حزناً على أحوال من نالها سعد بتوفيق الله. وجب عليك أن تبكي دماً على ما صنعت بنفسك في إضاعة حق الله"^(١).

جاء فاعل كل جملة من الجمل السابقة مصدراً مؤولاً من أن والفعل "أن تتقطع"، و"أن تلطم"، و"أن تبكي" على الترتيب.

ورد الفاعل مصدراً مؤولاً من أن الناسخة ومعموليهما من نحو قوله:

"هل قام في نفسك أن الزلفة عند الحق هي البراءة من جميع الخلق؟"^(٢).

فجاء الفاعل مركباً اسمياً مكوناً من حرف ناسخ (أن) + اسمها + ظرف + مضاف إليه + ضمير منفصل مبتدأ + خبر المبتدأ والجملة من المبتدأ والخبر (هي البراءة) خبر أن والمصدر المؤول من أن ومعموليهما فاعل الفعل "قام".

وجاء الفاعل اسماً موصولاً يحتاج إلى جملة صلة تزيل إبهامه. يقول التوحيدي:

"... والإنسان نصفان: نصفه خلق ونصفه خلق، فإذا صلح نصفاه كمل ما هو به إنسان"^(٣). حيث ورد الفاعل اسماً موصولاً لغير العاقل احتاج لجملة صلة تزيل إبهامه.

وقد ورد الفاعل مصدراً في موضع واحد هو قوله:

"يا هذا: قد طال نشرى عليك مطوى هذه القصة"^(٤).

حيث ورد الفاعل مصدراً "نشرى" وقد احتاج إلى ما يحتاج إليه الفعل فرفع الفاعل معنى وهو الضمير المتصل الذي أضيف إليه وهو من إضافة المصدر لفاعله "نشرى" ثم نصب المفعول به "مطوى" وقد تعلق به الجار والمجرور "عليك".

(١) الإشارات: ص ٣٤. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ٦، ١٦، ٣٣، ٣٨، ٤٧، ٦٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٦، ١٧٥، ٢٠١، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٨١، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٤١٧، ٤٤٠، ٤٥٤.

(٢) الإشارات: ص ٣٦٥. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ١٥٧، ٢٥٥، ٢٧٩، ٤١٤، ٤٣٢.

(٣) الإشارات: ص ١٦٧. توجد أمثلة أخرى في صفحات ٢١٣، ٢٣٧، ٢٤٧، ٢٩٢، ٣٣٩، ٣٦٤.

(٤) الإشارات: ص ٢٣٦.

- طول الجملة عن طريق نائب الفاعل

وقد جاء نائب الفاعل مركباً اسمياً ؛ إذ ورد مصدراً مؤولاً من أن ومعموليهما وذلك كما فى قوله ناصحاً:

"ولم يُظن أن التوانى يعقب ظفراً؟"^(١).

فورد نائب الفاعل للفعل المبني لغير فاعله "يظن" مصدراً مؤولاً من أن الناسخة ومعموليهما (التوانى - جملة يعقب).

- طول الجملة عن طريق العناصر غير الإسنادية

وردت بعض العناصر غير الإسنادية مثل المفعول به - الحال - النعت - المضاف إليه - المفعول المطلق ... مركباً اسمياً فأسهم ذلك فى إطالة الجملة.

فقد يأتى المفعول به الثانى مصدراً مؤولاً من "أن، أو ما " المصدريتين والفعل كما فى قوله:

"سألتنى ... أن أذكر لك الغريب"^(٢).

فجاء المفعول به الثانى مصدراً مؤولاً من أن والفعل "أذكر " .

وقد يأتى المفعول به الثانى مصدراً مؤولاً من أن ومعموليهما كما فى قوله:

"أعلمك .. أن الجملة المأخوذة علينا المسوقة بالعقل والشرع إلينا الوقوف على المقاصد ..."^(٣).

فجاء المفعول به الثانى مصدراً مؤولاً من أن ومعموليهما (الجملة - الوقوف).

وقد يجىء المفعول به الأول مصدراً مؤولاً ساداً مسد المفعولين كما يقول سيبويه فى "باب الأفعال التى تُستعمل وتُلغى " : " فأما ظننت أنه منطلق فاستغنى بخبر أن " ^(٤) أى استغنى عن المفعول به الثانى لـ "ظن" إذ تمت الفائدة بخبر أن، وذلك مثل قول التوحيدى:

(١) الإشارات: ص ٤٣١ .

(٢) الإشارات: ص ٨٠ . توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ١ ، ٤١ ، ١٩٣ ، ١٢٢ ، ٢٧٦ ، ٣٢٨ ، ٤٥٨ .

(٣) الإشارات: ص ١٩٣ .

(٤) الكتاب: ج ١ ، ص ١٢٥ .

"واعلم أنَّ ما تتطوى عليه من الحق هو الذى ينتشر عنك عند الخلق" ^(١).

حيث ورد المفعول به الأول مصدرا مؤولا من أن ومعموليهما (ما - هو الذى) سادا مسد المفعولين

ويقول فى موضع آخر :

"إذا زخر بك وادى الدعاء ، فاعلم أنك مراد بالإجابة، وإذا تابع لك المزيد فى النعمة فاعلم أنك معرّض للشكر وإذا اكتتفك الكرب من كل ناحية فاعلم أنك مطالب بالتصفية" ^(٢).

فالمصدر المؤول من أن ومعموليهما (الضمير المتصل + خبر مفرد) فى كل تركيب مشار إليه مفعول به سد مسد المفعولين.

وتطول الجملة عن طريق المفعول المطلق كما فى قوله:

"... ونح على نفسك نوح الثكول، وكاشفها مكاشفة النصوص العقول" ^(٣).

حيث ورد المفعولان المطلقان المصدران (نوح - مكاشفة)، وأضيف كل منهما إلى فاعله فى المعنى (الثكول - النصوص).

وقوله أيضاً عن أحد الصوفية إذ فارقه التوحيدى "مستوحشاً منه، متعجباً" لتبدل أحواله وأخلاقه:

"... وما أدفعه دفع زاهدٍ فيه ولا أطلبه طلب من لاغنى به عنه" ^(٤).

حيث أضيف المفعولان المطلقان إلى فاعليهما (زاهد - من الاسم الموصول الذى يحتاج إلى جملة صلة تزيد من طول الجملة).

^(١) الإشارات : ص ٤٦ .

^(٢) الإشارات: ص ٢. وتوجد أمثلة عديدة كما فى صفحات ٢٠ ، ٢١ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٩٠ ، ٩٦ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٤٠ ، ١٣٠ ، ١٤٣ ، ١٤٨ ، ١٥٩ ، ١٧٠ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٩٢ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢٣٢ ، ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ، ٣٠٥ ، ٣٠٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٤ ، ٣٠٦ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٣٣٤ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٧٣ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٣ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٢١ ، ٤٢٨ ، ٤٤٥ ، ٤٥٤ .

^(٣) الإشارات: ص ١١٢ .

^(٤) الإشارات: ص ١٢٦ .

وتطول الجملة عن طريق الحال كما فى قوله ناصحاً:

"أما ترى فنون الإشارة إلى غايات الحقيقة؟ ... فجل فى أطرافها طالباً نفسك فيها"^(١).

حيث ورد الحال "طالباً" اسم فاعل يعمل عمل الفعل ؛ فرفع فاعلاً أضمر فيه تقديره "أنت"، ونصب المفعول به "نفس".

وتطول الجملة عن طريق الاسم المجرور كما فى قوله مناجياً الله:

"... فاجبر ما نقص من عملنا فى مرضاتك بأفضل من اجتهدنا فى دعائنا إياهم إليك"^(٢).

حيث ورد الاسم المجرور "دعاء" مصدراً أضيف إلى فاعله الضمير المتصل "نا"، ثم نصب الضمير البارز المنفصل "إياهم" وقد تعلق به الجار والمجرور "إليك" مثلاً يتعلق بالفعل.

وتطول الجملة عن طريق النعت ، إذ ورد اسماً موصولاً يحتاج إلى جملة صلة فى مواضع شتى ؟ فلا تكاد تخلو صفحتان متتابعتان من ذلك النوع من أنواع النعت. وسوف يرد توضيحه فى الجزء الخاص بطول تبعية النعت.

وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك الكثير من المواضع الأخرى^(٣) التى وردت فيها بعض العناصر غير المؤسسة مركباً اسماً كالمضاف إليه والاسم المجرور والاسم المعطوف والمفعول به ... كأن ترد اسماً مشتقاً يعمل عمل الفعل ، أو مصدراً مؤولاً ، أو اسماً موصولاً. يقول التوحيدي مثنياً على الله ومذكراً عبده:

"هو الذى أراك قبل أن تريده ، هو الذى أجابك قبل أن تدعوه ، هو الذى نظر لك قبل أن تسأله"^(٤).

حيث جاء المضاف إليه بعد الظرف "قبل"، فى كل جملة ، مصدراً مؤولاً من أن المصدرية والفعل المضارع.

(١) الإشارات: ص ٤٩.

(٢) الإشارات: ص ٣٥.

(٣) تلك المواضع كما فى صفحات ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٦ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٩ ، ٤٣ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ...

(٤) الإشارات: ص ٣٨.

هذا الامتداد والتنامى فى الجملة ، عن طريق عناصرها الإسنادية وغير الإسنادية يلفت النظر إلى القدرة على استخدام الإمكانيات التى أتاحتها اللغة لبيان ما يريده التوحيدي من معان وأفكار ، يحرص على تفصيلها وتوضيحها وتخصيص ألفاظها. وسوف يزداد وضوح تلك القدرة من خلال المباحث الآتية إن شاء الله.

المبحث الثانى

اتساع الجملة بالتحديد

"يقع طول التحديد فى الأفعال والأسماء المشتقة التى تتضمن الحدث الفعلى فتحتاج إلى ما يحتاج إليه الفعل. وعناصر التحديد مع الفعل تمثل عناصر جديدة فى بناء الجملة، وهى مع الأسماء عناصر متممة للاسم المشتق... ويستطيل الفعل عن طريق المقيدات، وهى ما يسميه النحويون المعمولات وهذه المقيدات تعمل على تخصيص جهات الفعل المختلفة من حيث وقوع الحدث المتضمن فيه على جهة معينة بأن يكون الفعل متعدياً فيكون "المفعول به" تحديداً لجهة وقوع الفعل ومن حيث تحديد زمان حدوث الفعل أو مكانه فيكون "المفعول فيه" وهو الطرف تحديداً لهذه الجهة.. ومن حيث بيان علة حدوثه فيكون "المفعول لأجله" تحديداً لهذه الجهة، ومن حيث بيان المصاحب لحدوثه فيكون "المفعول معه" تحديداً لهذه الجهة ومن حيث بيان عدد مرات حدوثه أو نوعه فيكون "المفعول المطلق" مقيداً لهذه الجهة... إذن المفاعيل كلها مقيدات للفعل كل منها يقيد جهة من جهاته وقد تذكر جميعها فى جملة وقد يذكر بعضها دون البعض الآخر، وهى جميعاً عناصر غير إسنادية أى ليست عناصر مكونة مؤسسة للجملة، بل هى عناصر تطيل الجملة فتعمل على التحديد والتحديد للفعل الذى تحدد جهته وتقيدها... وهناك عناصر أخرى غير المفعولات تكون تحديداً للفعل.. فيقال للحال هو مفعول مع قيد مضمونه... والتميز كذلك من المقيدات والمقصود بالتميز المقيد هنا هو ما يسميه نحائنا تميز النسبة... ويعد الاستثناء فى حالة المستثنى المنصوب تحديداً تطول به الجملة كذلك لأن المستثنى يمكن أن يقال له المفعول بشرط إخراجهم... ويبقى من أصناف تحديد الفعل ما يتعلق به من الجار والمجرور... إذا كان حرف الجر أصلياً أى غير زائد" (١).

كل هذه العناصر اللغوية السابقة المقيدة للفعل هى وسائل لاتساع الجملة التوليدية النواة فتصبح جملة محولة.

(١) بناء الجملة العربية: ص ٦١ - ٦٤.

أولاً: طول التقييد عن طريق المفعول به:

التعدية هي: "أن يجعل ما كان فاعلاً لل لازم مفعولاً لمعنى الجعل فاعلاً لأصل الحدث على ما كان. فمعنى "أذهبت زيدا" جعلت زيدا ذاهباً. فزيد مفعول لمعنى الجعل الذى استفيد من الهمزة، فاعل للذهاب كما كان فى ذهب زيد"^(١).

ومن تلك الأمثلة فى "الإشارات" قول التوحيدى:

"بأى صنع أزال استيحاشك؟"^(٢).

وقوله:

"...أنعمت بالنأ"^(٣).

وقوله:

"لأى أمر أعاشك؟"^(٤).

وقوله:

"...سكن جأشك"^(٥).

وقوله:

"صفى لك مشرباً"^(٦).

فتعدت الأفعال: أزال، أنعم، أعاش بالهمزة، وهى فى الأصل أفعال لازمة لا تتعدى إلى مفعول، وتعدى الفعلان سَكَّن، صَفَّى، بتضعيف العين. وزيادة الهمزة وتضعيف العين عناصر تحويل نقلت الفعل من حالة اللزوم إلى حالة التعدى^(٧).

(١) شرح شافية ابن الحاجب: رضى الدين الاسترأبأذى النحوى ، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ، محمد محى الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ج ١ ، ص ٨٦.

(٢) الإشارات : ص ٣٦.

(٣) الإشارات: ص ٨.

(٤) الإشارات: ص ٣٦.

(٥) نفسه.

(٦) نفسه.

(٧) شرح شافية ابن الحاجب، ص ٨٦، ص ٩٢، ص ٩٧.

ثانياً: تقييد الفعل عن طريق المفعول المطلق:

ومن مقيدات الفعل المفعول المطلق وهو "المصدر سمي بذلك لأن الفعل يصدر عنه ويسميه سيبويه الحدث والحدثان وربما سماه الفعل ... والمصدر يذكر لتأكيد الفعل نحو قمت قياماً وجلست جلوساً فليس في ذكر هذه المصادر زيادة على ما دل عليه الفعل أكثر من أنك أكدت فعلك ... ويذكر لزيادة فائدة على ما في الفعل نحو قولك ضربت ضربة وضريتين، فالمصدر هنا قد دل على الكمية لأن بذكره عرفت عدد الضربات ولم يكن ذلك معلوماً من الفعل، ومثله في زيادة الفائدة ضربته ضرباً شديداً وقمت قياماً طويلاً أفدت أن الضرب شديد والقيام طويل"^(١). وعلى هذا يؤدي المفعول المطلق إلى زيادة في مبنى الجملة النواة.

وقد ورد المفعول المطلق المؤكد لفعله (لعامله) كما في قول أبي حيان:

" يا هذا: القول في الجملة كثير مختلف منتشر مشتهر بقى أن يصادف قلباً علوقاً ونفساً عشوقاً حتى يعيش فيها تعشيشاً ويريشها تريشاً"^(٢).

اكتفى هنا في هذا السياق بالمفعول المطلق المؤكد للفعل ، حيث إن ما يرجوه أن تكون هناك اقتناع بقوله وبنصيحته من قَبْل قلب مضىء ونفس صافية، والاقتناع بالنصيحة ليس له وجوه، فاكتفى بتأكيد الفعل.

وورد في قوله محذراً من بطش الله:

"... فإنه متى شهد ذلك منك سامك خسفاً ، ونسفك نسفاً ، وقشرك قشراً ، ووشرک وشرراً"^(٣).

وقد استخدم المفعول المطلق المؤكد للفعل في هذا السياق أيضاً لتعظيم الحدث (نسفاً - قشراً - وشرراً) والتهويل منه فهو (أى الحدث) غنى عن توضيح نوعه فيخلق الخيال إلى مدى بطش الله بالظالمين.

وقد ورد النوع الثانى من المفعول المطلق وهو المبين لنوع فعله وروداً كثيراً ميلاً إلى الاستطراد فى المعنى بهدف توضيحه وفى توضيحه تأكيد أيضاً .

(١) شرح المفصل: ابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، ج ١ ، ص ١١٠ ، ص ١١١ .

(٢) الإشارات: ص ٤٧ .

(٣) الإشارات: ص ١٢٤ .

يقول مناجياً الله:

"ولولا رفئك بنا فى الدعاء إليك لكانا هالكين لأننا نصفك صفة العارفين ونعبدك عبادة الجاهلين ونذكرك ذكر الحاضرين وننساك نسى الغائبين وندعو إليك دعاء الناصحين ونستجيب لك استجابة الغاشين"^(١)

الأفعال (نصف ، نعبد ، نذكر ، ننسى ، ندعو ، نستجيب) قد تقيدت بمفعولاتها المطلقة أو بمصادرهما المشتقة منها وهى (صفة ، عبادة ، ذكر ، نسى ، دعاء ، استجابة) وقد أضيف إلى كل منها ما يبين نوعها فطالت الجملة.

ويقول أيضاً محدثاً أحبابه:

"... لأنى إذا ذكرتكم ذكرت بكم ما أخلق جديده، وإذا حننت إليكم حننت حنيناً ما ترعرع وليده، وإذا وجدت بكم وجدت وجدأ ما لان شديده، وإذا همت بكم همت هيماناً ما تناهى رديده، وإذا وصفتكم وصفت وصفاً لا يحصى عديده"^(٢).

نجد أن فعل جواب الشرط قد تقيد بالمفعول المطلق الذى نعت بما يبين نوعه (نعت جملة) وفى هذا توضيح للمعنى وتفصيل يطيل الجملة.

^(١) الإشارات: ص ٥٧.

^(٢) الإشارات: ص ٢٥ ، ص ٢٦. وقد وردت الكثير من الأمثلة كما فى ص ١٢٠، ١١٢، ١٩، ١٢٤، ١٣٠، ١٦٧، ١٧٢، ...

ثالثاً: تقييد الفعل عن طريق المفعول لأجله:

ومن المفاعيل التي تقيّد الفعل أيضاً المفعول له أو المفعول لأجله وهو بنية لغوية تؤدي إلى إطالة الجملة والمفعول لأجله "لا يكون إلا مصدراً ويكون العامل فيه من غير لفظه وهو الفعل الذي قبله وإنما يذكر علة وعذراً لوقوع الفعل .. لأنه يقع في جواب لِمَ فعلت" (١).
وقد ورد كما في قول أبي حيان:

"وهذه إشارات لا تدق عن أذهانكم ولا تقوت فطنكم فلماذا تلبست بها استعطافاً لكم وتكثر بذكرها تقريباً إليكم" (٢).

فقد طال التركيبان الفعليان "تلبست" ، و"تكثر" وجاء التركيب على صورة:
وورد أيضاً في قوله ثائراً على الإنسان الدنيوى يائساً من ترغيبه عن الدنيا ومطالبها: "ها أنا قد أعرضت عنك حياءً لك ، ها أنا قد استوحشت منك خوفاً عليك" (٣).

(١) شرح المفصل: ج ٢ ، ص ٥٣ .

(٢) الإشارات: ص ٣١ .

(٣) الإشارات: ص ٩١ . وتوجد أمثلة أخرى كما في ص ٦٣ ، ١٢٤ ، ١٥٠ ، ٢٦٤ ، ٤٠١ .

رابعاً: تقييد الفعل عن طريق الحال:

"شبه الحال بالمفعول من حيث إنها فضلة مثله جاءت بعد مضى الجملة ... ومجيئها لبيان هيئة الفاعل أو المفعول" ^(١) وقت وقوع الفعل. والحال، في الغالب، تكون مشتقة لأنها كما قال ابن مالك "الحال وصف" ، "والمقصود بالحال تقييد الحدث المذكور" ^(٢).

تكاد لا تخلو صفحتان متتابعتان في "الإشارات" من الحال سواء أكانت مفردة أم غير مفردة. وقد وردت الحال في أغلب مواضعها على صيغة اسم الفاعل، يقول التوحيدي شاكياً حاله: "... أجزع الغصص كاظما وأنفرد بالخلوة هائما" ^(٣).

ويقول في موضع آخر: "يا هذا : لا تذكره ناسيا" ^(٤) ولا تنسه ذاكرا فإنك ان ذكرته ناسيا ^(٥) حجبك، وإن نسيته ذاكرا عجبك منك" ^(٥).

ووردت الحال المفردة صفة مشبهة على وزن فعيل كما قوله:

"فسقيا لعيش مضى نضيرا في ظلال صحبتكم ، ورعيا لزمان تقضى حميدا في مجالس عشرتكم" ^(١).

^(١) شرح المفصل: ج ٢ ، ص ٥٥.

^(٢) شرح الرضى على الكافية: تحقيق يوسف حسن عمر، ج ٢ ، ص ١٥ ، جامعة قاريونس ، ١٩٧٨.

^(٣) الإشارات: ص ٢٩. وهناك كثير من الأمثلة الأخرى كما في صفحات ١٦، ٢١، ٣٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٩١، ٩٣، ٩٤، ١٠١، ١٠٢، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١٢١، ١٢٦، ١٢٧ ...

^(٤) تعد الحال هنا بمثابة العمدة وليست فضلة يستقل الكلام دونها لأن المعنى لا يتم إلا بها وإذا حذفت الحال هنا اختل المعنى. يقول الأشموني عند الحديث عن الحال "المراد بالفضلة ما يستغنى عنه من حيث هو هو وقد يجب ذكره لعارض كونه سادا مسد عمدة كضربى العبد مسينا أو لتوقف المعنى عليه كقوله:

إنما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء"

وقد علق الصبان على كلام الأشموني بقوله "... أنه لو قال ما يستغنى الكلام عنه من حيث هو كلام نحوى (وليس من حيث هو) لكان أوضح " حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية، ج ٢، ص ١٦٩. وعلى هذا فهناك فرق بين ما يفرضه النظام النحوى من اكتمال عنصرى الجملة الأساسيين وبين اكتمال المعنى للجملة الذى قد يحتاج إلى ما يعد فضلة فيصبح عنصرا أساسيا لسلامة الجملة دلاليا. توجد أمثلة الحال التى يتوقف عليها المعنى كما في صفحات ٥٩، ٨١، ١١٣، ١١٦، ٢٢١، ٢٤٦.

^(٥) الإشارات: ص ٢٦٣.

وقد وردت الحال المشتقة على صيغة اسم المفعول، كما فى قوله:

"... أطل الله بقاءك محسدا ... وأنعم عليك مرفها مسددا"^(٢) .

وقد وردت الحال جامدة مؤولة بالمشتق، إذ دلت على الترتيب بغية الاستيعاب^(٣) كما فى

قوله:

"أما تأخذ حذرک ممن إن شاء سلطک عليك فهتک عضوا عضوا وبددک شلوا شلوا"^(٤).

ووردت الحال جامدة مؤولة بالمشتق أيضا إذ وردت مصدرا صريحا^(٥) متضمنا معنى

الوصف كما فى قوله:

"عجيب لقلب سكنه عقل أو اطمأن به فهم كيف ركن إلى الدنيا جهلا"^(٦) أى جاهلا.

وقوله أيضا:

"لا ... وخذ حديثى إما جملة لا تشفيك شرحا وإما تقصيلا"^(٧) لا ينفى عنك برحا"^(٨). أى مجملا، مفصلا.

ووردت الحال "المصدر" أيضا فى قوله واصفا الجملة (القول) الصادرة من الفم واختلاف أحوالها وأغراضها باختلاف الخلق فهى "تضحى مصدوقة بلسان التزويق وتمسى مكذوبة بلغات التحقيق...". يقول التوحيدى:

^(١) الإشارات: ص ٢٦.

^(٢) الإشارات: ص ٣٨٨ . توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ١٠٤ ، ١٦٤ .

^(٣) انظر :النحو الوافى، عباس حسن، دار المعارف، ط ١٣ ، ١٩٩٩ ج ٢، ص ٣٧١.

^(٤) الإشارات: ص ٢٦١ . كذلك انظر مثلا آخر ص ٣٦١ . هذا التكرار دال على الترتيب بغية الاستيعاب لا مجرد الترتيب ، فيكون تحذيرا من الهلاك التام.

^(٥) الكتاب، ج ١، ص ٣٧٠.

^(٦) الإشارات: ص ٣٧١.

^(٧) يجب تعدد الحال إذا وقعت بعد "إما" الدالة على التفصيل، وذلك نحو قوله تعالى "إما شاكر وإما كفورا" (الإنسان آية ٣) ومع "لا" مثل: جاء زيد لا خائفا ولا أسفا. انظر حاشية الخضرى على ابن عقيل على ألفية الإمام ابن مالك، ج ١، ص ٢١٩ ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، د.ت. ولفظة "تقصيلا" هنا هى فى الأصل حال أخرى ، ولكنها تعرب اسما معطوفا على الحال الأولى "جملة".

^(٨) الإشارات: ص ١٦٣ . وردت الحال مصدرا صريحا متضمنا معنى الوصف فى مواضع أخرى كما فى صفحات

٥٩ ، ٨٩ ، ٩١ ، ١٠٨ ، ١٢٣ ، ١٥٤ ، ١٥٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٣٠٦ ، ٣٣٠ ، ٣٦٣ ، ٣٧٦ ، ...

"... إن نطقْتُ نطقْتُ تمويهاً، وإن سكنتُ سكنتُ تِيهاً، وإن أمنتُ أمنتُ اغتراراً، وإن خافتُ خافتُ اعتذاراً، وإن أبثُّ أبثُّ اقتداراً، وإن أجابْتُ أجابْتُ اضطراراً، وإن ألفتُ ألفتُ اعتلالاً وإن ملّْتُ ملّْتُ استلالاً"^(١).

كل هذه الأحوال التي وردت مصادراً صريحة متضمنة معنى الوصف على تقدير "مموهة، وتائهة وتياهة"^(٢)، ومغترة، ومعتذرة، ومقتدرة، ومضطرة، ومعتلة، ومستلة" على الترتيب.

نلاحظ في المثال السابق أن الحال جعلت معنى فعل جواب الشرط في كل جملة شرطية مختلفاً عن معنى فعل الشرط حيث تكرراً في كل جملة وهذا من باب احتياج الجملة (وإن اكتمل عنصرها الأساسيان فيها) إلى الحال لإتمام المعنى ، مثل ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء آية ١٣٠ "وإذا بطشتم بطشتم جبارين"^(٣) فقد تماثل فعل الشرط وجوابه لفظاً ، والشرط ينبغي أن يكون غير الجواب ولكن تعلق فعل الجواب بالحال "جبارين" جعل معناه غير معنى فعل الشرط؛ إذ لا نستطيع أن نقول مثلاً "إن قمتَ قمتَ" فلا بد أن يتعدى فعل الجواب إلى وظيفة نحوية تنتم المعنى وتوضحه^(٤).

وقد وردت الحال المفردة معرفة مضافة إلى ضمير^(٥) بينما الأصل أن تكون نكرة وذلك كما في بعض الألفاظ التي وردت سماعاً ولا يقاس عليها كما في قوله موبخاً:
"أندرى لِمَ أبعدوك عن فناء الحبيب ؟.... ولم نبذوك بالعراء وحداً"^(٦) . أى منفرداً.
وقوله:

"ولا زلت لحقك مراعيًا جهدي وطاقتي وإلى مرادك مسارعاً قوتي واستطاعتي"^(٧) . أى "جاهداً"، و "قويا" ، و "مستطيعاً".

^(١) الإشارات: ص ٥٩.

^(٢) وردت في لسان العرب ج ١ مادة تيه "ولا يقال في الكبر إلا تائه أو تياه".

^(٣) دلائل الإعجاز، ص ٥٣٤.

^(٤) توجد أمثلة ص ٢٢٩، ص ٢٩٠ من الإشارات ، إذ وردت أمثلة تماثل فيها فعل الشرط وفعل جواب الشرط لفظاً ، واختلفا معنى بما تعلق بفعل الجواب من جار ومجرور.

^(٥) الكتاب، ج ١، ص ٣٧٣.

^(٦) الإشارات: ص ٤٠٨.

^(٧) الإشارات: ص ١٩٥ . توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ٣٨، ٩١، ١٤٠، ٢٣٨، ٣٠٧، ٣٥٧، ٣٦٠ .

المبحث الثالث

اتساع الجملة بالتبعية

يتضمن هذا المبحث اتساع الجملة عن طريق التتابع (النعت - العطف بنوعيه - التوكيد بنوعيه - البذل)، "والتابع هو الاسم المشارك لما قبله في إعرابه مطلقا والتابع على خمسة أنواع: النعت والتوكيد وعطف البيان وعطف النسق والبذل" ^(١). والتابع من المكملات التي تضيف معنى جزئيا جديدا لعناصر التركيب.

تبعية النعت:

أما عن النعت فهو وظيفة نحوية مكملة لمتبوعها ببيان صفة من صفاته نحو مررت برجل كريم (وهذا هو النعت الحقيقي)، أو من صفات ما تعلق به وهو سببه نحو مررت برجل كريم أبوه ^(٢).

وعلى هذا يقسم النعت باعتبار معناه قسمين: حقيقي وسببي، ولم يرد النعت السببي في الإشارات ورودا يستحق الذكر ^(٣). بينما شاع ورود النعت الحقيقي شيوعا كبيرا حتى إنه لا تكاد تخلو صفحة من صفحات الإشارات منه.

ورد منعوت النعت المفرد نكرة، ومعرفا بالعلمية (وقد انحصر في ورود لفظ الجلالة) وبالألف واللام ، وبالإضافة، وورد اسما مبهما مثل اسم الإشارة.

وحيث إنه "لا ينعت إلا بمشتق لفظا أو تأويلا" ^(٤) ، فقد تنوعت صيغ النعت المفرد في نص الإشارات إلى :

أ- الأسماء المشتقة التي تعمل عمل الفعل:

ورد النعت المفرد على صيغة اسم الفاعل في مواضع كثيرة سواء أشتق اسم الفاعل من الفعل الثلاثي أم من غير الثلاثي . واشتقاقه من الثلاثي، وذلك مثل قوله في سياق استعطاف من هم أعلى منزلة عند الله كي يأخذوا بيده:

^(١) حاشية الخضرى ، ج ٢ ، ص ٥١ .

^(٢) نفسه .

^(٣) ورد النعت السببي في نص الإشارات في موضعين اثنين ص ١٥٥ ، وهي الصفحة الوحيدة في الغالب .

^(٤) حاشية الخضرى: ج ٢ ، ص ٥٢ .

"... اشتد دهشى من كلم دام" ^(١).

وقوله فى سياق الثناء على الله الحاكم المدير لكل مخلوقاته:

"ولولا أن الرب سبحانه يمسك العقول عن التهافت ... لتبدد منها الشمل الملموم ...، وتزايلت الأشياء عن سماتها القائمة عليها، وتعاندت عن صفاتها الثابتة بها" ^(٢).

وقوله أيضا موبخا:

"فيا أيها الساھى عما يرد، وبأىها اللاھى عما يرشح له " ^(٣).

واشتقاقه من غير الثلاثى كما فى قوله ناصحا:

"... واجتهد أن تكون من أولياء الله المخلصين ... وإلا فمن الذاكرين المستبشرين" ^(٤).

وقوله فى سياق الحديث عن أثر عناية الله عندما تُمنح:

"... استنارت الأشياء المظلمة" ^(٥).

وقد ورد النعت اسم فاعل وأريد به اسم المفعول من نحو قوله:

"أين العبرة الساكبة" ^(٦) أى المسكوبة.

وورد النعت المفرد اسم مفعول مشتقا من الفعل الثلاثى كما فى قوله مستفهما حيث خرج

الاستفهام إلى دلالة التحسر:

"... وأين الذيل المجروور فى هذه الأوطان، وأين الخد المخموش، ... وأين الكف المبسوطة" ^(٧).

وورد مشتقا من غير الثلاثى نحو قوله معنفا "هذا":

"... ما هذه المطالبة الشديدة وهذه الفضاظة المستعملة و هذه القسوة المتكلفة" ^(٨).

^(١) الإشارات: ص ٣٠.

^(٢) الإشارات: ص ١٥٤.

^(٣) الإشارات: ص ٤٢٤.

^(٤) الإشارات: ص ٤٢٦.

^(٥) الإشارات: ص ٥٥.

^(٦) الإشارات: ص ٤٢٤.

^(٧) الإشارات: ص ٥٦.

^(٨) الإشارات: ص ٦٤.

وورد على وزن فعيل بمعنى مفعول ، مثل قوله:

"فعليكم السلام من قلب قريح، وفؤاد جريح" ^(١) أى مقروح ، مجروح.

ورد النعت صفة مشبهة على وزن "فَعِيل" كما فى قوله:

" فلما تبشّشت هناك قليلا، فتحت بصرا قليلا، وجررت حبلا طويلا" ^(٢) .

وقد وردت تلك الصيغة بمعنى مفعول كما فى قوله:

"... إلا أنك... عبد ذليل" ^(٣) أى مذلول.

ووردت الصفة المشبهة على وزن "فَعِلَة" مؤنث "فَعِل" ومؤنثها من مثل قوله:

"اللهم فسرحننا من قيد هذه الحياة الكدرة" ^(٤) .

ووردت الصفة المشبهة على وزن "فعلاء" مؤنث "أفعل" من مثل قوله:

"... ولو ترجمت عنها بكلمة عوجاء ... لضاق بى الثقلان " ^(٥) .

وقوله إذ وردت على وزن أفعل:

"تسمع الحق بأذن مجّاجة ... وتقرأه بلسان ألكن" ^(٦) .

ووردت على صيغة "فَعْل" كما فى قوله:

"اللهم: إنا نرى الطريق سهلا" ^(٧) .

ووردت الصفة المشبهة على وزن "فَيَعِل" كما فى قوله:

"إنّ ذلك لشرف بيّن" ^(٨) .

^(١) الإشارات: ص ٢٦، توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ٢٢٩، ٤٠٣، ٤٠٥.

^(٢) الإشارات: ص ٦٠.

^(٣) الإشارات: ص ١٩٩ .

^(٤) الإشارات: ص ٢٥. توجد أمثلة أخرى كما فى ص ١٦٥ .

^(٥) الإشارات: ص ٤٣. توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ١٥٦، ٤١٤، ٤١٨.

^(٦) الإشارات: ص ٤٠.

^(٧) الإشارات: ص ٢٧٣. توجد أمثلة أخرى كما فى ص ١٩٢.

^(٨) الإشارات: ص ٢٠١.

ووردت الصفة المشبهة على صيغة "فعول" بمعنى فاعل من مثل قوله:
 "ومهما نشرت عليك صفاتك الدنية فاقمعها بسلطان النفس القوية" ^(١).
 وورد النعت المفرد صيغة مبالغة على وزن "فَعَالٍ" كما فى قوله:
 "... وما فى النفس من طيب محادثتك يتدفق كالعين الفؤارة " ^(٢).
 وعلى وزن فعول مثل قوله.
 "ولولا شرة النفس الكذوب... لكان اليقين تلو الإيمان" ^(٣).
 ووردت صيغة المبالغة على وزن "فَعَلٍ" ، يقول على سبيل المثال:
 ".... ثم أعوذ به عياذ الموتور الحنق" ^(٤).
 وعلى وزن "مِفْعَالٍ" من مثل قوله مُعْنِفَا نفسه:
 "فإذا أنصفت فأنا الضائع المضيع ... والألكن المهذار" ^(٥).
 وعلى وزن "مِفْعَلٍ" كما فى قوله:
 "وانقلب الفصيح المِقُول عيباً" ^(٦).
 ورد النعت المفرد أيضا على صيغة "أفعل تفضيل" فورد على صيغة "أفعل" للمفرد المذكر
 من مثل قوله ناصحا "هذا":
 "واجعل أساسك الأثبث ودعامتك الأرسخ ألا تكذب نفسك بالباطل" ^(٧).
 وعلى وزن "فُعْلَى" للمفرد المؤنث، كما فى قوله فى سياق الحديث عن أمارات قبول الله
 للعبد:
 "... يثبت محبتك فى صدور أهل الحجى ويبلغك الغاية القصوى متمسكا بالعروة الوثقى" ^(٨).

^(١) الإشارات: ص ٤٣٦.

^(٢) الإشارات: ص ١٢٨ ، توجد أمثلة أخرى كما فى ص ٤٠ ، ١٥٥ ، ٣٠٧.

^(٣) الإشارات: ص ٢٤٧.

^(٤) الإشارات: ص ١٥٥.

^(٥) الإشارات: ص ١٩٣.

^(٦) الإشارات: ص ١٥٦.

^(٧) الإشارات: ص ١٣٠ ، توجد أمثلة أخرى كما فى ص ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٣٦٥ ، ٣٤٠ ، ٤٣٥.

^(٨) الإشارات: ص ٢٦٠ وأمثلة أخرى كما فى ص ١٩٩ ، ٢٥٥ ، ٤٣٦.

ب – الأسماء المؤولة بالمشتق:

ورد النعت مفردا اسم إشارة ولا سيما "هذا" و "هذه" على تأويل "المشار إليه" كما فى قوله ناصحا:

"أقلع عن عادتك هذه"^(١).

وورد النعت المفرد اسما جامدا دالا على النسب قصدا كما فى قوله:

".... فإنك بذلك تقف على هذه الأغراض البعيدة المرامى، السحيقة المعامى لأنها إشارات إلهية وعبارات إنسية، إلا أن العبارات الإنسانية ليست مألوفة بالاستعمال الجارى"^(٢).

كذلك جاء النعت مصدرا نكرة كما فى قوله:

"فكيف ولى شهود فى محبتكم عدول"^(٣).

حيث جمع المصدر "عَدَل" ، ومن المعلوم أن النعت بالمصدر من باب المبالغة كما يعده البلاغيون.

وجاء النعت بالعدد نحو قوله ناصحا باللياذ إلى الله:

"ولست تكون هذا المذكور بهذا الوصف إلا بعد أن تطلق الدنيا ثلاثا"^(٤).

أى طلاقا ثلاثا.

وورد النعت بـ "ذو" المضافة بمعنى صاحب ومؤنثها "ذات" نحو قوله:

"لو اعتزيت إلى هذا المكان (يقصد حيث يجد نفسه غريبا) بهمة ذات صفاء ونية ذات نقاء ... لاستوحشت ممن كنت تألفه"^(٥).

وجاء النعت المفرد اسما موصولا مبدوءا بهمزة مثل: "الذى والتى" وقد شاع استعمالها كنعت مفرد مبهم يحتاج إلى جملة صلة تطيل الجملة فى مواضع كثيرة إذ لا تكاد تخلو صفحة من صفحات الإشارات من مَثَل أو أكثر وذلك من نحو قوله:

^(١) الإشارات: ص ٢٩٩ . توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٢١٣ ، ٢٨٨ ، ٤٢٨ ، ٤٣١ ، ٤٤٥ .

^(٢) الإشارات: ص ٢١٥ . توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٤٠ ، ٩٧ ، ١٣٣ ، ١٦٥ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٤٤٢ .

^(٣) الإشارات: ص ٢٨ .

^(٤) الإشارات: ص ٢١٣ . توجد أمثلة فى صفحات ١٦١ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ٢١٧ ، ٣٠٠ ، ٣٦١ .

^(٥) الإشارات: ص ٤١٢ . توجد أمثلة فى صفحات ٥٨ ، ٢٠٧ ، ٢٢٧ ، ٣٨٣ ، ٤٢٣ ، ٢٩٩ حيث وردت جمعا "ذوات".

"فلا يقظة لك بعد ذلك إلا عند الله الذى إليه طال شوقك" ^(١).

وقوله أيضا:

"أما تستحي أن تستخدم عقلك الذى هو أشرف منح الله عندك لشهوتك التي هي أفصح الأشياء لك" ^(٢).

وورد النعت ألفاظا جامدة مؤولة بالمشتق مثل "كل" كما في قوله على تأويل بلوغ الكمال.

"... وأنت العالم كل العالم والفاضل كل الفاضل" ^(٣).

ومثل "غير" من مثل قوله:

"سل - هداك الله - عن آفات الأعمال وعن وساوس الضمير وعن فلتات الجوارح، أعنى اللسان عند انطلاق لفظ واللحظ عند تسريح لحظ وما شاكل ذلك من جلسة غير لائقة بالعبد وتكأة غير مستحبة من ضعيف" ^(٤).

ومثل "سوى" نحو قوله:

"ليس لنا رب سواك" ^(٥).

^(١) الإشارات: ص ٢١٤.

^(٢) الإشارات: ص ١٦٢. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ٧٩، ٨٢، ١٣٤، ١٥٩، ١٣٠، ١٧٨، ١٨٨، ١٨٩، ٢١٩، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٥١، ٢٧١، ٢٥٥، ٢٨٨، ٢٨٦، ٢٩٧، ٣٣٨، ٣٠٢، ٣٦٠، ٤٢٨، ٤٦٤، ٤٦٥.

^(٣) الإشارات: ص ٣٩٤. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ٢٠٠، ٢١٥، ٢٨٩.

^(٤) الإشارات: ص ٦٤. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ٨٣، ١٢١، ١٩٨، ٢١١، ٣٨٠.

^(٥) الإشارات: ص ١٩٨.

تبعية العطف:

يعد العطف أحد وسائل الربط اللفظي ^(١). والمقصود بالعطف هنا هو عطف النسق وهو التابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد الحروف المعروفة للعطف. والنسق ... من نسقت الكلام أى عطف بعضه على بعض وأتبعته بسبب حرف ^(٢).

والربط بأحد حروف العطف يؤدي إلى إطالة الجملة ، وقد يكون العطف بين عناصر لغوية مفردة، وقد يكون بين تراكيب مستقلة وغير مستقلة داخل الجملة الكبرى التى تعطى معنى تاما.

ويعد العطف من أهم الوسائل التى استخدمها التوحيدى لتوسيع جملته، ومن أمثلة عطف عناصر لغوية مفردة قوله ، إذ تذكر الأيام الخوالى:
"... فما كان أنضره عيانا، وخبرا، ومشاهدة ، وأثرا" ^(٣).

حيث عطف على التمييز "عيانا" ثلاثة تمييزات أخرى ليفيد شمول نضارة ذلك العصر.

ويقول فى موضع آخر مستنكرا ويأثسا من فلاح منصوحه:

"أهكذا يكون من عرف الله سرا أو جهرا" ^(٤).

نجد العطف بين حالين بـ "أو" التى أفادت فى هذا السياق الجمع بين المتعاطفين كالواو، ^(٥) وهو معنى مغاير للمعنى الشائع وهو التخيير.

ويقول فى موضع آخر:

"فإنى خائف عليك أن تظن أن الغبطة فى شهوة تتال ، ونعمة تدرك ، ولين يلبس ، وحلو يتطعم، وبارد يشرب، وكأس تتعاطى، ونديم يضاحك، وعود يضرب، وصوت يقترح، ومجلس يغنى، ووجه ينظر إليه، وحديث يقهقه عليه" ^(٦).

(١) فى مقابل الربط السياقى وفيه تحذف أداة الربط اللفظى، ويعتمد فيه على الربط المعنوى الذى ينبع من الإطار الدلالى العام الذى يفهم من سياق الكلام.

(٢) انظر : حاشية الخضرى ، ج٢، ص ٦٠ ، ص ٦١.

(٣) الإشارات: ص ٤٠٦.

(٤) الإشارات: ص ٩١.

(٥) النحو الوافى ، ج٣، ص ٦٠٣.

(٦) الإشارات: ص ٣٥٨.

نجد أن جملة " إني خائف" البسيطة، القصيرة قد طالت وامتدت بالجار والمجرور "عليك" الذى تعلق بخبر الناسخ " خائف" وبالمفعول لأجله المصدر المؤول من (أن، تظن) حيث تقيد اسم الفاعل "خائف" به ثم تقيد الفعل " تظن" بالمفعول به الذى سد مسد المفعولين (المصدر المؤول من أن ومعموليهما الغبطة، فى شهوة)، ثم جاء دور العطف فى الإطالة حيث عطف على الاسم المجرور شهوة أسماء أخرى وصف كل منها بنعت جملة فعلية. وقد أراد التوحيدي حصر مجالات اللذة ومواضعها، إذ تتعدد وتكثر ، فكثر المفردات المعطوفة.

ومن عطف المفردات أيضا قوله:

"هيات ، أن يكون مخبراً بلسان ، أو مُصمراً بجنان، أو محوياً بعبارة، أو مَعْنياً بإشارة، أو معتمداً بحزم، أو معتقداً بعزم، أو مطوياً بقلب ، أو ملوياً بلب ، أو موهوماً بحدس ، أو مهموساً بهمس ، أو ملموساً بنفس، أو محسوساً بحس، أو معقولاً بعقل، أو موجوداً بعيان، أو مفقوداً من مكان، أو موسوماً بزمان، أو محرّفاً بنعت، أو معرفاً بوقت"^(١) .

وتمتد الجملة فتصبح مركبة إذ يعطف بين تراكيب اسمية مستقلة تتم الفائدة بكل منها على حدة ولكنها تتناغم مع بعضها البعض حيث يجمع بينهم إطار دلالي واحد:

"رحل ضعيف ، وهاجرة محرقة ، وبر قفر ، وعطش قديم، ورشاء قصير، وعمق بعيد" ^(٢).

ويقول أيضا:

"إرادة مشوبة، وحال مختلفة، وعلامات متهمة، وطمأنينة قلقة، ومعرفة مدخولة، ولغة عجماء، وعين طموح، ولفظ جريش، وخُلُق عسير، وبال خائر ، وقول كلما رام استنارة ازداد ظلاما، وقلب كلما حاول خمودا ازداد احتداما" ^(٣).

فتلك التراكيب المستقلة المحذوفة المبتدأ قد تضافرت بالعطف للكشف عن إطار دلالي عام يجمعها، إذ لن ينبىء التركيب الأول عن كل ما فى نفس التوحيدي فلجأ إلى عطف تراكيب مستقلة تكون فى النهاية جملة مركبة يجمع تراكيبها الإطار الدلالي نفسه، فليست الإرادة فقط هى المشوبة ، بل غيرها كثير مشوب ، فقد أصله وفطرته.

(١) الإشارات: ص ٧٠.

(٢) الإشارات: ص ٢١٣.

(٣) الإشارات: ص ١٣٢.

وغير هذا كثير ، فهو لا ينتهى من عطف التراكيب إلا بعد أن يفرغ الشحنة الانفعالية التى تسيطر عليه، فهى مستقلة من حيث تركيبها النحوى وغير مستقلة دلاليا، إذ ارتبطت بقريناتها وأصبح هناك خط شعوري واحد يؤلف بينها، فيصبح كل تركيب جزءا من المعنى أو الفكرة (الكل). ويأتى العطف بين تراكيب مستقلة يكتفى كل منها بعنصريها الإسناديين (المسند: الفعل – الخبر، والمسند إليه : الفاعل – المبتدأ) دون الارتباط بعلاقات تركيبية أخرى مستغنية عن المكملات أو متعلقات للفعل مبرزاً بذلك عدم ميله إلى الاستقصاء والتحليل والتفصيل، وذلك كما فى قوله حيث عطف بين تراكيب مستقلة فعلية:

"أخلق الدين ، وعمت الفحشاء ، وفسد العلماء، وفشا الجهل، وظهر الغى ، وتكاشف الناس ، وفقد الصدق، وغلب الجهل، وكثرت الجرأة" (١).

يمثل كل تركيب ومضة ما تلبث أن تخرج حتى تلحق بها أخرى لتعكس الصورة العظيمة للأمر الذى جاء التعبير عنه مقتضبا مركزا على قدر عظمتة وخطورته.

ويقول فى موضع آخر حيث عطف بين تراكيب مستقلة اسمية اكتفى كل منها بعنصريه الإسناديين:

"العلم بلاء ، والجهل عناء ، والعمل رياء، والقول داء، والسكوت هباء، والنظر عداء..." (٢)

وتمتد الجملة لدى التوحيدي بالعطف على التركيب غير المستقل فيها. يقول:

"فهات الآن حالا ليس للعلم فيها نسب، ولا للجهل فيها سبب ولا للعمل فيها بقية، ولا للقول فيها خبيّة ، ولا للسكوت معها علاوة ، ولا للنظر عندها علاقة، ولا لكله فيها استواء، ولا لبعضه منها التواء" (٣).

ويقول أيضا:

"هناك (يقصد "الحرم" الملاذ) غيث رذاذه وابل، وقليله كثير، وصعبه منقاد، وعدمه وجدان، ونقصانه رجحان، وبعضه كل ، ونثره نظم، ولحظه نطق، وعبدته سيد، وفقيره غنى، وكريهه شهى،

(١) الإشارات: ص ١٤٢. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٨٥، ١٣٣، ١٤٢، ١٥٦، ١٦٤، ١٥٨، ١٧١، ١٨٢،

١٩٨، ٢٠٤، ٢٢٣، ٢٤٩، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٩٥، ٣٤٠، ٣٧٤، ٣٥٢، ٣٩٥، ٤٠٩، ٤٤٤.

(٢) الإشارات: ص ٨٧.

(٣) نفسه.

ووعره وطى، وغريبه آهل، ومصروره باهل ، ووارده ناهل ، وظلامه نور، وصوبه درور ، وكله سرور، وبعضه حبور" (١).

وهكذا نلاحظ طول الجملة بالعطف على تركيب النعت غير المستقل فى المثلين السابقين.

ويقول فى موضع آخر:

"كتبت إليك والربيع مطل، والزمان ضاحك، والأرض عروس، والسماء زاهر ، والأغصان لدنة، والأشجار وريقة، والغدران مُترعة، والجبال مبتسمة، والرياض معشوشبة، والجنان ملتفة، والثمار متهدّلة، والأودية مطردة" (٢).

حيث عطف على تركيب الحال الأول "والربيع مطل" تراكيب أخرى متعددة غير مستقلة ؛ إذ أصابت التوحيدى حالة من الأمل والبهجة غير معهودة؛ فأمعن فى وصف الطبيعة التى رآها بديعة.

ويقول أيضا مناجيا الله:

"... فما حيلة من إن أدنيته أبليته، وإن أخفيته جليته، وإن عريته حليته ، وإن واريته أريته، وإن سكنته هيجه، وإن قيدته أمرجه، وإن آويته أزعجته، وإن أردته أدرجته، وإن مقتنه إستدرجته، وإن أرويته أعطشته، وإن تراءيت له أدهشته، وإن أحوجته خيبتته، وإن أطلعت غيبتته، وإن استدعيتته سيبتته، وإن حركته وقفته، وإن سترته كشفته، وإن أمنتته خوفته، وإن حرمتته أسعفتته، وإن سلبتته شغفتته، وإن أتلفته أتلفته، وإن أتلفته شرفته" (٣).

وحيث طالت الجملة عن طريق العطف على جملة الصلة.

وقوله فى موضع آخر:

"وإذا كان الطريق نهجا، والساكون فوجا، والعمل خفيفا، والزمان قصيرا، والعُرم قليلا، والغنم كثيرا، والمعونة حاضرة، والنية ظاهرة، والزاد موجودا، والمنهل أهلا، والمسلك آمنا، والسماء مُصْحية،

(١) الإشارات: ص ٢٧٨.

(٢) الإشارات: ص ٣٢٣.

(٣) الإشارات: ص ٦٠، ص ٦١.

والليل مقمرا، والنجوم زاهرة، والسرى متصلة، والصبح محمودا، والبلاغ قريبا، فما بال الذى يقعد
بالمسافر عن قطع المرحلة وطى السهولة إلا سوء الاختيار؟ ... " (١).

نجد أن الجملة قد امتدت بعطف تراكيب غير مستقلة مثلت جملة (تركيب) الشرط ، فإذا
كانت هناك السبل المهيأة لكى يجتاز الإنسان رحلته فى الحياة الدنيا بسلام إلى أن يصل إلى
الحياة الآخرة ، فلم لا يعيها ويسلكها هى ويترك ما دونها؟.

وقد مثل عبد القاهر الجرجانى للعطف على جملة الشرط وجعل الشرط فى مجموع الجمل
المعطوفة بقوله تعالى "ومن يكسب خطيئةً أو إثما ثم يَرْمِ به بريئا فقد احتمل بُهتاناً وإثماً مُبيناً"
(سورة النساء، آية ١١٢)، فيقول "الشرط كما لا يخفى فى مجموع الجملتين لا فى كل واحدة منهما
على الانفرد ولا فى واحدة دون الأخرى لأننا إن قلنا إنه فى كل واحدة منهما على الانفرد، جعلناهما
شرطين ، وإذا جعلناهما شرطين اقتضتا جزأين وليس معنا إلا جزاء
واحد" (٢).

ويقول التوحيدي فى موضع آخر طالت فيه الجملة عن طريق عطف تراكيب مستقلة مثلت
جملة جواب الشرط:

"... إن كنت قد وجدت ذلك وحمدته ... فهناك الله ذلك وبارك لك فيه ، وصانك من عوارض
الفساد ، وأكرمك بأسباب الرشاد" (٣).

فتمثلت جملة (تركيب) الجواب فى أربعة تراكيب عن طريق العطف وجميعها متعلق بجملة (تركيب)
الشرط.

ومن اللافت للنظر فى كثير من مواضع العطف بين تراكيب الجملة أن التوحيدي يمارس
عطفًا داخل العطف. يقول على سبيل المثال:

"أما تستحى ممن خلقك فسواك ، وأرشدك فهذاك ، وتممك وقواك ، وأعطاك وهناك ، ثم وعدك ومناك ،
ثم خصك واجتباك ثم علاك وحلاك ، ثم رقأك وحيأك ، ثم ملكك وولأك ، ثم أحضرك وآواك ، ثم
استخلصك وتولأك؟" (٤).

(١) الإشارات: ص ٢٧٣.

(٢) دلائل الإعجاز : ص ٢٤٦.

(٣) الإشارات : ص ٢١٨

(٤) الإشارات: ص ٢٠٠.

إذ طالت الجملة عن طريق العطف على جملة الصلة وقد استخدم العطف (بالفاء) حيث أراد الترتيب، والتعقيب، والسرعة في هذا الترتيب؛ فالله حين خلق سوى، وحين أرشد هدى، واستخدم (الواو) حيث الدلالة على وجوب الفعلين دون التزام بترتيب، واستخدم (ثم) حيث أفادت ترتيب وقوع الحدث بعد آخر، ولكن بعد مهلة. وقد قام حرف العطف "ثم" بدور الرابط الأكبر حيث ربط بين جملتين جملتين (مثنى مثنى) ربطتا برابط أصغر فيما بينهما هو (الواو) حيث جمعت بين معنيين لهما خط دلالي واحد، ومثلَّ الحرف (ثم) الرابط لهذه الخطوط الدلالية المتكونة بين كل جملتين. أى أن التوحيدي يمارس ربطا للربط داخل الجملة فيحكم بناءها أشد الإحكام. وقد وصف عبد القاهر الجرجاني هذا النهج في العطف بأنه "فن من القول خاص دقيق" ^(١) فيه "تعطف تارة جملة على جملة، وتعتمد أخرى إلى جملتين أو جمل فتعطف بعضها على بعض، ثم تعطف مجموع هذى على مجموع تلك" ^(٢).

ويقول التوحيدي في موضع آخر:

"فإذا صحَّ اعتزامك على تخليصك من أسرك فابدأ بعينك فاغضضها عن مناظر الدنيا، ثم بأذنك فإسددها عن أخبار السفلى، ثم بنفسك فإزممها عن استشعار البلوى، ثم بلسانك فكفها عن إعادة الشكوى، ثم صِرْ أحصن حصن بينك وبين كل ما خبلك، أو حبلك أو خدعك، أو سحرَكَ أو قَمَرَكَ" ^(٣).

حيث طالت الجملة عن طريق العطف على جواب الشرط (التركيب المستقل) "ابدأ بعينك"، وقد عطف بين تراكييب الجواب بـ (ثم) وقد تضمن العطف بها عطا داخلها آخر بـ (الفاء) لإفادة سرعة القيام بالفعل فقام بربط للربط، ومما زاد الجملة الكبرى امتدادا العطف على جملة الصلة التي وردت في التركيب الأخير لجواب الشرط بـ (أو) التي أفادت في هذا السياق الجمع بين المتعاطفات وليس التخيير، فاتفق معناها ومعنى الواو؛ فالتوحيدي يطلب البعد عن "كل ما خبلك، (و) حبلك، (و) خدعك، (و) سحرَكَ، (و) قَمَرَكَ".

ومن قوله أيضا جامعا بين عطف التراكييب وعطف المفردات داخل الجملة الواحدة قوله:

(١) دلائل الإعجاز: ص ٢٤٤ .

(٢) دلائل الإعجاز: ص ٢٤٥ .

(٣) الإشارات: ص ٢٨٢ .

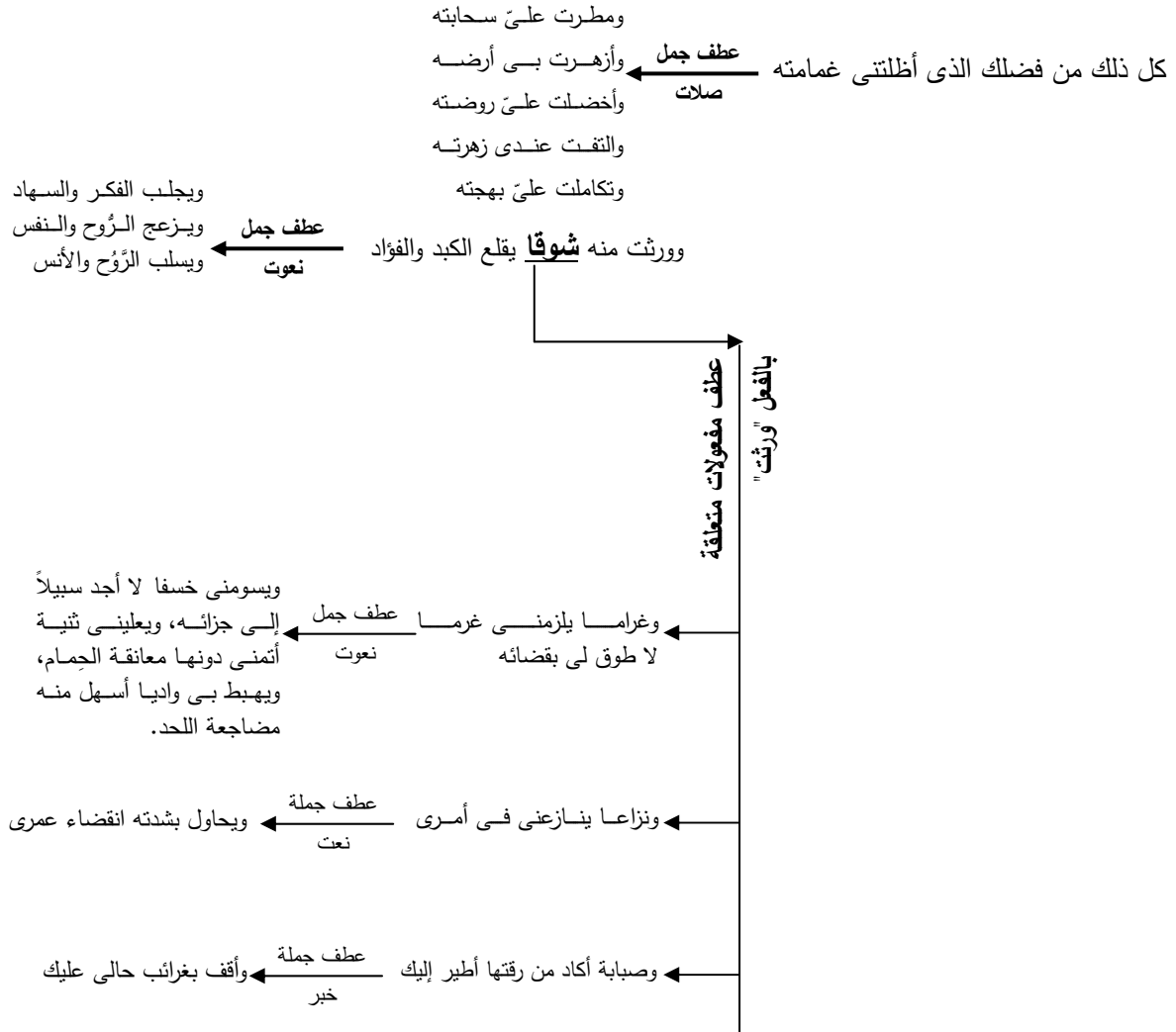
"فإنك متى نزلت هذه الرباع الخصبة (يقصد النسك والزهادة)، ووردت هذه المناهل العذبة، وتعطرت بهذا الجو الندى والهواء الرقيق ، عطفت عليك بك ورجعت إليك منك ، وأدركت ما فاتك ، ووليت بلدك، وصرت أذنا سمیعة ، وعینا ناظرة ، ولسانا خطیبا، وقلبا واعیا، وروحا طیبة وشاهدا مقبولا، وغائبا منتظرا" (١).

فعطف على التركيب الشرط الأول تراکيب أخرى وعطف على تركيب الجواب الأول تراکيب أخرى ثم عطف عطف مفردات على خبر الناسخ (صار) فتنامت الجملة الكبرى وامتدت.

ولعلنا ندرك مدى امتداد الجملة وتشعبها عن طريق العطف من خلال هذا النموذج أيضا:
"كل ذلك ... من فضلك الذى أظلتنى غمامته، ومطرت على سحابته، وأزهرت بى أرضه، وأخضلت على روضته ، والتفت عندى زهرته، وتكاملت على بهجته، وورثتُ منه شوقا يقلع الكبد والفؤاد ، ويجلب الفكر والسهاد، ويزعج الرُّوح والنفس، ويسلب الرُّوح والأنس، وغراما يلزمنى غُرما لا طوق لى بقضائه ، ويسومنى خَسفا لا أجد سبيلا إلى جزائه، ويُعلينى ثنية أتمنى دونها معانقة الحمام، ويهبط بى واديا أسهل منه مضاجعة اللحد ، ونزاعا ينازعنى فى أمرى ويحاول بشدته انقضاء عمرى، وصباغة أكاد من رقتها أطيّر إليك وأقف بغرائب حالى عليك" (٢).

(١) الإشارات: ص ٢٦١.

(٢) الإشارات: ص ٣٨٨، ص ٣٨٩.



نلاحظ أن الجملة قد أفادت، أخيراً، معنى يحسن السكوت عليه فهو ما إن ينتهى من عطف جمل الصلة حتى يمسك بمفعول آخر جملة، فيصفه ويعطف نعوتاً جملاً، ثم يتابع العطف على هذا المفعول الذى يستمر فى وصفه أيضاً ويعطف نعوتاً جملاً... فهو يجعل من كل عنصر حلقة لا تلبث أن تدخل فى الأخرى، وتتصل بها، فتستدعى كل حلقة الأخرى، وهكذا حتى يصل إلى إتمام المعنى الذى يريده فيغلق سلسلة العطف.

ومن الأمثلة السابقة لا يخفى أن التوحيدى لا يكتفى بمفردة أو بتركيب لأداء المعنى أو الفكرة (الجملة) بل يعطف على المفردة مفردة أخرى، بل مفردات ويعطف على التركيب تركيباً آخر بل تراكيب ، فيترك لسانه العنان كى يحيط بالأمر فيفصل ويجزئ ويذكر المتشابه والمتضاد، بل يندرج بالمعنى من أدناه إلى أقصاه ماراً بما يتوسطهما؛ فهو معنى بدقائق الأمور ، معنى بالمشاعر والأحاسيس ، معنى بدقائق المعنى، فنجدده يقول:

"يا هذا قد طال نشرى عليك مطوى هذه القصة بصروف من العبارة وصنوف من الإشارة، رغبة فى شعلة تبدو منك ، وطمعا فى نجابة تنطق عنك ، ونظرا إلى إثارة الحق فى سر يطلع عليك ، وأنت على طينتك جامد لا تذوب، وخامد لا تلتهب، وراكد لا تهب، وميت لا تتحرك، وباهت لا تبصر، ونشوان لا تقيق، وكثير لا تتوحد ، وكدر لا تصفو، ومنقبض لا تتبسط ، ومدعو لا تحضر ، ومسؤول لا تجيب ، ومنصوح لا تقبل ، وغاد لا تروح ، وثاكل لا تتوح ، وكاتم لا تبوح" ^(١).

فإن الجملة الكبرى (قد طال نشرى عليك مطوى هذه القصة ... وأنت على طينتك جامد) تكونت من تركيبين أولهما مستقل يحوى مسندا " طال " ومسندا إليه "نشرى" المصدر الذى احتاج إلى ما يحتاج إليه فاعله فنصب مفعولا به "مطوى" وتعلق به الجار والمجرور "عليك"،... والثانى غير مستقل فرعى هو تركيب الحال الذى يرتبط دلاليا بالتركيب الأول، وقد ربط بين التركيبين بواو الحال، ثم بدأ دور العطف حيث عطف على خبر الحال "جامد" الموصوف أخبارا أخرى موصوفة أيضاً (خامد، راکد، ميت، باهت، نشوان، كثير ، كدر، منقبض، مدعو، مسؤول، منصوح، غاد، ثاكل، كاتم) وتفضى الأخبار مجتمعة إلى معنى عام واحد هو عدم الاستجابة بل وعدم الأمل فيها كذلك.

ويقول فى موضع آخر:

"فاجتهد أن تكون مقبولا لا مردودا، ومجموعا لا مفرقا، وعبقا لا تقلا ، وساطعا لا كاسفا، ومطمئنا لا حرجا، وواثقا لا مُتَّهما، ومُسَلِّما لا معترضا، وباقيا لا منقرضا" ^(٢).

حيث عطف بين مفردات جاءت أخباراً للفعل الناسخ "تكون"، ولكن كيف سار العطف؟ لقد جعل التوحيدي نسقا جامعا لكل خبرين هو نسق التضاد ، وعطف بينهما بـ "لا" "التي" تفيد "نفى" الحكم عن المعطوف بعد ثبوته للمعطوف عليه" ^(٣)، ثم جمع بين كل نسق وآخر بالواو ، فاستطرد وتلاحقت الأنساق ليدل كل منها على ماذا تكون ، وماذا لا تكون.

ومثل هذا قوله:

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧

(١) الإشارات: ص ٢٣٦.

(٢) الإشارات: ، ص ١٢٣.

(٣) النحو الوافى: ج٣، ص ٦١٨.

"ألك خبر عمن هو أولك وآخرك ، وغائبك وحاضرك، ومقيدك ومطلقك ، ومفرك وجامعك،
 وضارك ونافعك، ومقربك ومبعدك ، ومصوبك ومصعدك، وفاتك وراتك، وظاهرك وباطنك،
 وخافيك وعالئك؟" (١).

فقد طالت الجملة الكبرى حيث عطف على خبر صلة الموصول، فنجد أن كلا من الواوات:
 الأولى، والثالثة، والخامسة، والسابعة والتاسعة، والحادية عشرة، والثالثة عشرة، والخامسة عشرة ،
 والسابعة عشرة، والتاسعة عشرة، قد عطفت بين صفتين (خبرين) متضادين فجمعت بينهما. أما
 الواوات: الثانية ، والرابعة ، والسادسة، والثامنة، والعاشر، والثانية عشرة، والرابعة عشرة، والسادسة
 عشرة، والثامنة عشرة، فقد جاءت كل منها وقد مثلت الرابطة الأكبر أو لنقل العاطفة الأكبر التي
 جمعت بين مجموع كل صفتين (خبرين) معا لتفيد كل هذه الأخبار في آن واحد فهو يمارس، كما
 قلت سابقا، ربطا داخل الربط بالمعنى الأشمل وعطفا داخل العطف بالمعنى الأخص . فممارسة
 التوحيدى لهذا " الشئ الدقيق" فى العطف كما وصفه عبد القاهر هو امتلاك لنواحي اللغة،
 فأدواتها لينة طيبة له يصل بها وتصل به إلى التعبير بالكيفية التى يريدها بكل سهولة ويسر
 وسلاسة.

ومن الجدير بالذكر أن التوحيدى يحرص أن يكون العطف بين تراكيب متشابهة من حيث
 الاسمية والفعلية فى الجملة المركبة، ويحرص أيضا على العطف بين التراكيب الفعلية المتحدة
 الزمن، فيعطف التراكيب الفعلية ذات فعل الأمر على مثيلاتها، ويعطف التراكيب الفعلية ذات الفعل
 الماضى على مثيلاتها أيضا (إذ يتناسب هذان الزمان وسياق المناجاة إلى الله، وتعداد الذنوب،
 وشرح الحال، والدعاء إلى الله ، والتوسل إليه، والتوجه بالنصح والإرشاد إلى الآخر العاصى).
 والأمثلة على ذلك كثيرة وذلك من نحو قوله ، إذ عطف بين تراكيب اسمية :

"إلهنا: الرغبات بك موصولة، والآمال عليك مقصورة، والحدود لقدرتك ضارعة، والوجوه لوجهك
 عانية، والأرواح إليك مشوقة، والنفوس إلى كهف غيبك مسوقة، والأمانى بك منوطة، والأيدى
 نحوك مبسوفة، والهمم إلى طلب مرضاتك مرفوعة، والآؤك عند جميع الخلق مشهودة ومسموعة"
 (٢).

ومن عطف تراكيب فعلية متحدة الزمن قوله:

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠

(١) الإشارات: ص ٦٢، ٦٣.

(٢) الإشارات: ص ٢٥٧.

"يا هذا: توكل وَخَفْ، وارْجُ وَسَلِّمْ، وارْضَ واصْبِرْ، واشْكُرْ واطْمَعْ، وَأَخْلِصْ وتيقنْ، وأحِبِّبْ وثقْ،
وَأَعْرِفْ^١ واسترح^٢" (١).

نلاحظ في هذا النص أن التوحيدى كما فى ، أمثلة سابقة ، يمارس العطف على مستويين: أصغر، وأكبر وذلك عن طريق الواوات: العاطفة: الأولى، والثالثة، والخامسة، والسابعة، والتاسعة، والحادية عشر، والثالثة عشر، ثم عطف (ربط) بين كل تركيبين (كأنهما كل واحد) بالواوات العاطفة: الثانية، والرابعة، والسادسة، والثامنة، والعاشر، والثانية عشر، أى أن هناك ربطا داخل الربط ، كما ذكرت آنفا، فهو يربط بين التركيب الأول (توكل) والتركيب الثانى (خف) ويربط بين الثالث (ارج) والرابع (سلم) ... وهكذا، ثم يعود ويربط بين التراكيب فى مجموعها والدليل على قصده الربط بين كل تركيبين على حدة أنه قد تابع الكلام السابق وقال:

"فإنك إذا توكلت خائفا آمنا كافيا، وإذا رجوت مُسلِّما قبلك مصافيا، وإذا رضيت صابرا قريبا متقبلا، وإذا شكرت طامعا زادك مكافئا، وإذا أخلصت متيقنا اتخذك مناجيا، وإذا أحببت واثقا أبرزك عينا، وإذا عرفت مستريحا استخلفك واحدا".

حيث ورد المسند فى التركيب الفعلى الأول (توكل) فى النص الأول فى صيغة الماضى (توكلت) وذلك فى جملة الشرط للجملة الشرطية الأولى فى النص الثانى، وورد اسم الفاعل من فعل التركيب الثانى (خف) حالا مقيدا لفعل جملة الشرط الماضى وهكذا سائر الجمل الشرطية مما يؤكد الصلة والربط بين كل تركيبين وجعلهما وحدة واحدة ثم الربط بين تلك الوحدات جميعا.

أما عن توالى العطف بين تراكيب ماضية فهى من نحو قوله:

"أخلق الدين، وعمت الفحشاء، وفسد العلماء، وفشا الجهل، وظهر الغى، تكاشف الناس، وفقد الصدق، وغلب الجهل، وكثرت الجرأة" (٢).

وقد جاء العطف بين تراكيب فعلية مختلفة من حيث الزمن فى مواضع قليلة كما فى قوله مناجيا الله وسائلا:

"... قد بلينا فجددنا، وبلينا فسدنا، ونكبنا فأنعشنا ... " (٣).

ويقول أيضا ناصحا:

"صانوك، فلا تبتذل، أعزوك، فلا تذلل، أعلوك، فلا تسفل ... " (١).

(١) الإشارات: ص ٢٤٩.

(٢) الإشارات: ص ١٤٢.

(٣) الإشارات: ص ١٤٦.

ويجىء عطف التركيب الاسمى على الفعلى والعكس فى مواضع قليلة كما فى قوله:
"إلهنا: إن مرضنا كان بك، فاجعل شفاعنا على يدك ... " (٢).

وقوله أيضا:

"إلهنا: هذه آمالنا، فأعطناها، وهذه أمانينا فبلَّغناها، وهذه عطايك فهنَّناها" (٣).
ويقول:

"يا هذا: أرودُ، فالأمر غريب " (٤).

وقد يجمع فى العطف بين تراكيب اسمية وتراكيب فعلية فى الجملة المركبة كما فى قوله:
"فهلُم يا سيدى إلى شجو قد أمرت علينا كأسه، ... فلعل التعاون يجدى نوعا، ... فقد طالت
النجوى بهذه البلوى التى تليها بلوى ، فنكرتها بطول الصحبة معرفة، ومعرفتها بشدة الأذى نكرة"
(٥).

لم يُجز بعض النحاة ومعظم البلاغيين عدم التماثل فى التراكيب المعطوفة من حيث
الجهة، ومن حيث الاسمية والفعلية ولا سيما عندما ينشأ عن هذا الاختلاف من حيث
الخبرية والإنشائية أو العكس. كما اتضح فى الإشارات من خلال الأمثلة السابقة (٦)، ومن أمثلته
أيضا قوله: " السلامة فيه غنيمة، فكيف الغنيمة؟ ... البعض فيه كل ، فكيف الكل؟ " (٧). ونجد
أن "أبا حيان ينقل عن سيبويه جواز عطف الجملتين المختلفين بالاستفهام والخبر مثل هذا زيد ومن
عمرو؟ وقد تكلموا عن ذلك فى قوله تعالى " ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق " (سورة
الأنعام آية ١٢١) ... ولا ندرى لماذا لم يأخذ البلاغيون بجواز عطف الإنشاء على الخبر أو

(١) الإشارات: ص ٣.

(٢) الإشارات: ص ١٥٠.

(٣) الإشارات: ص ٢٥٦.

(٤) الإشارات: ص ٢٤١.

(٥) الإشارات: ص ١٥.

(٦) توجد أمثلة أخرى فى صفحات ١٧٩، ٢٢٧، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٢٠، ٣٢٢،

٣٣٠، ٣٦١، ٣٨١.

(٧) الإشارات: ص ٧١.

العكس وإن وجدوا شيئاً من ذلك أولوه، وقدرُوا عطف خبر على خبر، أو إنشاء على إنشاء...
ولكن القرآن شاهد بهذه الآية على وجود هذه الصورة" (١).

(١) أثر النحاة في البحث البلاغي: عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ١٩٧٥، ص ٩٧.

تبعية التوكيد:-

التوكيد تابع من التوابع التى تؤدى إلى إطالة الجملة وهو نوعان: توكيد معنوى "وهو على ضربين أحدهما ما يرفع توهم مضاف إلى المؤكد ... وله لفظان النفس والعين ... الضرب الثانى من التوكيد المعنوى وهو ما يرفع توهم إرادة الشمول والمستعمل لذلك كل وكلا وكلتا وجميع"^(١). أما التوكيد اللفظى فهو "تكرار اللفظ الأول بعينه"^(٢).

وقد ورد التوكيد المعنوى فى "الإشارات" إرادة الإحاطة والعموم والشمول واستعمل التوحيدي أكثر ما استعمل لفظ "كل" فى جل مواضع التوكيد الدال على المعنى السابق، الذى ألفاظه كل - جميع - عامة.

يقول التوحيدي فى سياق توبيخ من يدعى العلم والفقه بكلام الله وكتابه فيأتى على كل ما فيه دون أن يتمثله ويحتذيه:
"... فعلمك كله لفظ"^(٣).

وقد ورد التوكيد المعنوى بلفظ "أجمع" فى عدة مواضع^(٤) - وي جاء^(٥) بعد كل بأجمع وجمعاء وأجمعين وجمع لتقوية إرادة الشمول وتركها قليل - دون أن تكون مسبقة بلفظ "كل" كما فى سياق توبيخ "هذا" الغافل عن حقيقته الذى يدعى "منازل الصادقين" ويعترض على أفعال رب العالمين "فيعجب التوحيدي منه، إذ قُبِحَ شأنه، قائلاً:
"كانك شريك له فى خلق الخلائق أجمعين"^(٦).

وقد استعمل التوحيدي لفظ "نفس" للتوكيد المعنوى فى موضع واحد؛ وذلك بغية إزالة الاحتمال عن الذات بمعناها المادى وقد وردت مجرورة بحرف جر زائد وهو "الباء". يقول التوحيدي مذكراً "هذا" بمنح الله له:

(١) حاشية الخضرى: ج٢، ص ٥٦.

(٢) المصدر السابق: ج٢، ص ٥٨.

(٣) الإشارات: ص ٤٠. وردت أمثلة أخرى فى صفحات ٥، ٤٢، ٤٨، ٧١، ٨٣، ١٢٠، ١٢٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٩٦، ٢٠٤، ٢١٥، ٢٢٠، ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٦٠، ٣٠١، ٣٠٥، ٣٩٤، ٤١١، ٤٣٢، ٤٣٥، ٤٤٨، ٤٥٠.

(٤) صفحات: ٧٦، ٩٠، ١٢١، ١٣٨، ٢٠٠، ٢٦٦، ٢٦٩، ٣٧٢، ٤٠٩، ٤٦٠.

(٥) حاشية الخضرى: ج٢، ص ٥٧.

(٦) الإشارات: ص ٢٠٠. يمكن أن يكون لفظ "أجمعين" فى مواضع وروده حالاً؛ إذ ورد غير مسبوق "كلهم"، ولكن كونه توكيداً فى مواضع وروده يناسب المعنى المراد.

"... ثم وهب لك عقلاً به وصلك بنفسه"^(١).

وقد ورد التوكيد اللفظي كما في قوله مؤكداً المصدر:

"البعد منك البعد!"^(٢).

وتوكيد الاسم كما في قوله:

"الله الله في نفسك الضعيفة"^(٣).

وتوكيد الضمير المنفصل كما في قوله:

"قللت: مولاي ، أنت أنت لا شيء غيرك"^(٤).

وتوكيد الضمير المتصل بضمير منفصل يماثله في معناه، كما في قوله:

"... أليس قيل: الدنيا سجن المؤمن؟ فلم جعلتها أنت روضتك وبهجتك؟"^(٥).

وتوكيد الضمير المستتر بضمير يماثله في معناه، كما في قوله مناجياً الله:

"فاكفنا أنت"^(٦).

وقد ورد توكيد الضمير المتصل بضمير يماثله في اللفظ والمعنى معاً وفي الاتصال كما

في قوله: "رحمتك اللهم رحمتك"^(٧).

وقد أكد حرف الجواب في قوله:

"... وقال سرّاً وجهراً "لا، لا" "^(٨).

وورد توكيد اسم الفعل كما في قوله:

"هيهات هيهات ، لن يصفو العمل حتى يصح العلم"^(٩).

(١) الإشارات: ص ٢٤٨.

(٢) الإشارات: ص ٩١. توجد أمثلة أخرى في صفحات ٩ ، ٥٦ ، ١٣٢ ، ١٥٢ ، ١٨٢ ، ٢٠٧ ، ٣٦٨ ، ٤٢٩ .

(٣) الإشارات: ص ٤٥٠. توجد أمثلة أخرى في صفحات ٢٧٦ ، ٢٦١ ، ٤٢٩ .

(٤) الإشارات: ص ١٥٩. توجد أمثلة أخرى في صفحات ٣٢ ، ٦٦ ، ١٨٢ ، ٣٢١ .

(٥) الإشارات: ص ٣٠٩. توجد أمثلة أخرى في صفحات ٥٧ ، ٢٣١ ، ٢٤١ ، ٢٩٠ ، ٣٢١ ، ٣٥٥ ، ٤٢٦ ، ٤٦٣ .

(٦) الإشارات: ص ٣٢١. توجد أمثلة أخرى في صفحات ١١٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٧١ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٣٢١ ، ٤٢٠ ، ٣٦١ .

(٧) الإشارات: ص ٤١٩ .

(٨) الإشارات: ص ٤٦٠ .

وقد ورد تأكيد الفعل في قوله:

"أتدري ما قال الواعظ النصيح وهو أبو الدرداء؟ قال: البر لا يبلى" (٢).

تبعية البذل:

هو أحد التوابع التي تؤدي إلى إطالة الجملة ، حيث إنه لغة العوض، ويسمى بدلاً عند البصريين، ويسمى ترجمة وتبييناً، وقيل تكريراً عند الكوفيين وهو مقصود وحده بالحكم المنسوب إلى متبوعه من غير واسطة أى حرف العطف (٣). أما سائر التوابع فهي ليست مقصودة بالحكم ولكن مكملة له.

والغرض من ذكر البذل " تقرير الحكم السابق وتقويته بتعيين المراد وإيضاحه، ورفع الاحتمال عنه لأن هذا الحكم يُنسب أولاً للمتبوع فيكون ذكر المتبوع تمهيداً للتابع الذي سيجيء وتوجيهاً للنفس لاستقباله ... فإذا استقبلته وعرفته استقبلت معه الحكم وعرفته ... فكأن الحكم قد ذكر مرتين وفي هذا تقوية للحكم وتوكيد" (٤). والأغلب في البذل أن يكون جامداً والبذل بالمشتق قليل (٥).

كثر ورود البذل بعد اسم الإشارة كما في قوله ثائراً على الإنسان الغافل:

"يا هذا: إلى متى هذا التمطي وهذه التكاة ، وهذا التجبر ، وهذا التكبر وهذا البأو وهذه القسوة وهذه الفظاظة؟" (٦).

وقد ورد البذل بدل كل من كل زيادة بيان وإيضاح للمبدل منه، كما في قوله:

"فما أولى اللبيب المتبصر ... أن ينقى عينيه من قذاها ويتحمل في هذه القصة بعض بلواها فإنه إذا فعل ذلك فقد أخذ بالحزم، حزم أهل العقل وفاز بالعزم عزم أولى الفضل" (٧).

ورد البذل مطابقاً للمبدل منه في المعنى مختلفاً في اللفظ في قوله:

"... لأني أجذك مستهماً بظاهر الحياة الدنيا" (٨).

(١) الإشارات: ص ١٩٤. توجد أمثلة في صفحات ٤٢ ، ٢٠٠ ، ٣٦٩.

(٢) الإشارات: ص ٢٥٠.

(٣) حاشية الخضرى، ج ٢، ص ٦٨.

(٤) النحو الوافي: ج ٣، ص ٦٦٥.

(٥) حاشية الصبان ، ج ٢، ص ٢٤٢.

(٦) الإشارات: ص ٣٣٧.

(٧) الإشارات: ص ٢١٦. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ٢٢١ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٣٦٩.

(٨) الإشارات: ص ١٩٩.

وورد البديل بعد أى التفسيرية^(١) فى قوله:

"... حتى تتكر عينك: أى نفسك ، وأينك : أى مكانك ، وأصلك أى: ما أنت منه، وفصلك :

أى ما أنت إليه وحالك : أى ما أنت به ، وحاصلك أى ما أنت عليه"^(٢).

ف نجد أن "نفسك" بدلاً من عينك" ، مكانك" بدلاً من "أينك" والحرف الموصول الأول بدلاً من "أصل"، والثانى بدلاً من "فصل"، والثالث بدلاً من "حال"، والرابع بدلاً من "حاصل".

وقد ورد البديل بعضا من كل فى قوله:

"والله لو ظاهره على هذه النعم الجسيمة ... ، الثقلان: الجن والإنس ما قدرت على عُشير من ذلك"^(٣).

فكلمة "الجن" بدل بعض من كل وهو كلمة "الثقلان".

(٢) مغنى اللبيب، ابن هشام ، ت. محمد محى الدين عبد الحميد ، مطبعة المدنى، د.ت، ج١، ص ٧٦.

(٣) الإشارات: ص ١٨٦.

(٤) الإشارات: ص ٣٣٢.

المبحث الرابع

اتساع الجملة بالتعدد:

أولاً:- تعدد المفعول به:

يتحقق التعدد فى الجملة عندما تتتابع أو تترادف الوظيفة النحوية فى الجملة بدون وسيلة تشريك أى بدون واسطة حرف العطف، فيكون التعدد وسيلة من وسائل اتساع الجملة وامتدادها. ويعد المفعول به من الوظائف النحوية التى يمكن أن تتعدد عن طريق الفعل المتعدى عندما ينصب مفعولين أو ثلاثة وهذا حد أقصى لتعدد المفعول به بينما يمكن أن يتعدد الحال والنعت والخبر بدون تحديد.

وقد وردت الكثير من الأفعال التى تتعدى إلى مفعولين بنفسها^(١) ، وذلك كما فى قوله:
"... فهناك يرى العارف الغيب شهادة"^(٢).

فورد التركيب على صورة: فعل + فاعل + مفعول به أول + مفعول به ثان.

وقوله مناجيا الله:

"... وعود جباهنا السجود لك"^(٣).

ونحو قوله ناصحا:

"... ولا تجعل منشأك الفاسد حاكما عليها"^(٤).

وردت أفعال تتعدى إلى مفعول به واحد فعمد إليها الكاتب واستخدم وسائل التعدية إلى مفعولين وهى زيادة همزة قبل فاء الفعل كما فى قوله:

(١) توجد أمثلة فى صفحات ١٠، ٥٨، ٧٣، ٩٨، ٩٩، ١٠٢، ١٠٣، ١١٨، ١٢٠، ١٣٠، ١٣٦، ١٣٧،

١٥٩، ١٦٥، ١٨٩، ٢١٢، ٢١٩، ٢٣٢، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٢٦، ٣٦٢، ٣٧١، ٤١٧، ٤٢٨،

٤٣٩، ٤٤٥، ٤٥٦.

(٢) الإشارات: ص ١٦٦.

(٣) الإشارات: ص ٢١.

(٤) الإشارات: ص ٣٢٨.

"... ثم ألبستني قميص معرفتك" ^(١).

فقد تعدى الفعل "ألبس" إلى مفعولين عن طريق زيادة الهمزة.

التركيب: فعل مضارع + فاعل ضمير متصل + مفعول به أول (ياء المتكلم) + مفعول به ثان + مضاف إليه اسم ظاهر + مضاف إليه ضمير متصل.

وتضعيف عين الفعل من نحو قوله:

"إذا أعجبتك النفس في الطاعة فعرفها استحقاق المطاع" ^(٢).

التركيب: فعل أمر + فاعل ضمير مستتر + مفعول به + أول ضمير متصل + مفعول به ثان + مضاف إليه.

وبتحويل الفعل المتعدي لمفعول به واحد إلى صيغة "استفعل" فيتعدى إلى مفعولين، كما في قوله:

"إذا استكتمك الملك سر المملكة فلا تشافه في طيه من يعرضك للهلكة" ^(٣).

التركيب: فعل ماض + مفعول به أول مقدم ضمير متصل + فاعل اسم ظاهر + مفعول به ثان + مضاف إليه اسم ظاهر.

^(١) الإشارات: ص ٢١٠. توجد أمثلة كما في صفحات ٥٩ ، ٧٣ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٠.

^(٢) الإشارات: ص ١٧٠. توجد أمثلة في صفحات ١٩٠ ، ٢٦٠ ، ٣٦٧.

^(٣) الإشارات: ص ١٧٠.

تعدد النعت:

يعد النعت من أهم الوظائف النحوية التي تعددت في الجملة تعدداً غير محدود فانتسعت به الجملة.

ومن أمثلة تعدد النعت المفرد في الإشارات قوله:

"وابحث عن مبدأ الوجد فإن كان من آثار الكون البائد البائر الزائل الحائل فلا تعج عليه"^(١).

فتعدد النعت إلى أربعة نعوت للفظ "الكون" تأكيداً لصفة الزوال وعدم الثبات.

وورد أيضاً من نحو قوله:

"قالوقت حاد فكأن من حدته على حذر والحذر هنا أن يكون همك بالعلويات الأبديات الدائمات الباقيات الصالحات الناعمات"^(٢).

ويقول في موضع آخر:

"وإن طاب لك فراقها (أى الدنيا) وضح عندك أنها أجنى عليك وأضر لك من العجوز الشمطاء السليطة الدرء المتحكمة الشوهاة"^(٣).

ففي تعدد النعت لتلك الدنيا القبيحة تتغير منها.

ويقول في موضع آخر حيث يعدد النعت الاسم الموصول :

"أين الاسم الذى هو حروف من مضمونه الذى هو وراء الحروف، الذى لا يناله الوهم ، بالسعى ولا بالوقوف"^(٤).

حيث عدد نعت المجرور "مضمون" فانتسعت الجملة؛ إذ تكررت جملة الصلة بتكرار الاسم الموصول.

وقد ورد النعت بعد "أى وأية" عند ندائهما في مواضع كثيرة نحو قوله:

"أيها الراغب فى العاجلة ، الزاهد فى الآجلة المغتر بآل الضحى الغافل عن دور هذه الرّحى"^(٥).

(١) الإشارات: ص ٥٠ تكرر المثال ص ١٧٣.

(٢) الإشارات: ص ١٧٢. تكرر هذا المثال ص ٤٩.

(٣) الإشارات: ص ٤١٤. يوجد الكثير من الأمثلة كما فى صفحات ٣، ٢١، ٣٨، ٥١، ١٤٠، ١٤٧، ١٧٢،

١٧٣، ١٨٢، ١٩٠، ٢٠١، ٢٣٩، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٩١، ٢٩٩، ...

(٤) الإشارات: ص ٣٢٦.

(٥) الإشارات: ص ٢٠٤. توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ٢٤، ٥٠، ٦٦، ١٤٧، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢١٠،

٢٢٥، ٢٩٩، ٣١٦، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٦٤، ٣٧٤.

نجد تعدد الوصف بعد "أى" التى عُرِّفَتْ بندائها وكان الوصف اسماً معرفاً "بأل" ، وقد تعلق كل نعت من هذه النعوت بالجار والمجرور تخصيصاً لمعناه؛ وهذا ما أدى إلى طول الجملة. وقد تعدد النعت الجملة بنوعيتها اسمية وفعلية كما فى قوله:

"فالحظ الآن هذه الأسرار بعين لم تُخلق من لحم ولا رُكِّبت من شحم ولا جُعِلت على طبقات بل بعين ... هى العين التى سجرت العيون ، هى العين التى نضبت من أجلها العيون ، هى العين التى بها جرت العيون ، هى العين التى لها دمعت العيون ، هى العين التى اغرورقت عند ذكرها العيون ، هى العين التى فاضت منها العيون ، هى العين التى انتهت إليها العيون ، هى العين التى ليس لها جفن ولا أشفار .. هى العين التى غضت لها العيون حياء"^(١).

نلاحظ تعدد النعت بالجملة الاسمية "هى العين" للفظه "عين المجرورة بعد الباء "بعين" وفى الوقت نفسه وصف الخبر "العين" فى كل جملة بالاسم الموصول الذى يحتاج لجملة صلة تزيل إبهامه ؛ الأمر الذى أدى إلى امتداد الجملة.

وتعدد النعت الجملة الفعلية فى قوله موبخاً:

"... ليس لريح الإيمان فى صدرك هبوب ... فكأنك بهاتف لا تراه قد ملأ سمعك هولاً"^(٢).

فقد نعت لفظ "هاتف" بجمليتين فعليتين تصدر كلا منها عنصر زيادة وهو "لا" النافية فى الأولى "لا تراه" و "قد" فى الثانية "قد ملأ"، وقد تقيد الفعل "ملأ" فى الوقت نفسه بالمفعول به الأول "سمع"، وبالمفعول به الثانى "هولاً" فكان تعددا للمفعول به.

وقد يُنعت المنعوت الواحد بنعوت تختلف من حيث أفرادها أو عدده، فجاء تعدد النعت على صورة: نعت جملة فعلية + نعت مفرد، من نحو قوله:

"ليل يكرّ بهم ناصب"^(٣).

وجاء على صورة: نعت مفرد + نعت جملة فعلية، كما فى قوله:

"أيها الولي والودود ... ما أشوقنى إلى خيالك ... لأتعلل به .. وتخيلاً لأحوال لطيفة سلفت فى أيام قديمة معك"^(٤).

ويأتى على صورة : نعت مفرد + نعت جملة اسمية، وذلك كما فى قوله:

(١) الإشارات: ص ٦٣.

(٢) الإشارات: ص ٤٢٨ . يوجد مثال آخر ص ٨٥.

(٣) الإشارات: ص ٢٩٣.

(٤) الإشارات: ص ٤٥٢ . توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٢٣٦ ، ٢٨٨ ، ٢٩٨ ، ٣٠٨ ، ٣٧١ ، ٣٤١ ، ٣٥٩ ،

"هذا أيضاً لغز آخر أنا أكشفه لك" (١).

وعلى صورة: نعت جملة اسمية + نعت جملة فعلية كما في قوله :

"...على أنك لو اعتزيت إلى هذا البلد لاستوحشت لإفك قوماً : هم مأنس مشاعرك ومقابس مشاعرك وروادف أحساسك ومراوح أنفاسك يألّفهم طرفك" (٢).

وجاء تعدد النعت على صورة : شبه جملة (جار ومجرور) متعلق بالنعت المحذوف وجوباً

فقامت مقامه على مستوى البنية السطحية + نعت مفرد، وذلك من نحو قوله:

"قرب كلمة لك نافعة عندهم" (٣).

وعلى صورة : مفرد + شبه جملة (جار ومجرور) متعلق بالنعت المحذوف وجوباً فقامت

مقامه على مستوى البنية السطحية كما في قوله:

"ورُب حكمة بالغة لك على ألسنتهم" (٤).

وورد على صورة: شبه جملة (جار ومجرور) متعلق بالنعت المحذوف وجوباً فقامت مقامه

على مستوى البنية السطحية+ جملة اسمية يتصدرها ناسخ، كما في قوله:

"... أعراض بين هذه الأحوال ليس لها لبث" (٥).

وجاء النعت المتعدد على صورة: شبه جملة (جار ومجرور) متعلق بالنعت المحذوف وجوباً

فقامت مقامه على مستوى البنية السطحية + جملة فعلية، وذلك كما في قوله:

"آه على خدود في ظلال الترف تتدلل ناعمة" (٦).

(١) الإشارات: ص ١٧١.

(٢) الإشارات: ص ٤١٢.

(٣) الإشارات: ص ١٢٩. يوجد مثال آخر ص ٣٧٠.

(٤) الإشارات: ص ١٢٩.

(٥) الإشارات: ص ٢٩٣.

(٦) الإشارات: ص ٣٧٠.

تعدد الخبر:

الخبر من الوظائف النحوية التي تتعدد بدون تحديد مقيد وهذه الخصيصة التي أتاحتها اللغة تطلق للكاتب العنان حتى يعبر عن المعنى الذي يتضمنه المبتدأ كيف يشاء.
يقول ابن مالك^(١):

وأخبروا باثنين أو بأكثر عن واحد كهم سُرّة شعراً

فيقرر بتعدد الخبر بدون حد معين سواء أكان الخبران فى معنى واحد مثل قوله "هذا حلو حامض" ... أم لم يكونا نحو "زيد قائم ضاحك"، بينما ذهب البعض إلى أن الخبر لا يتعدد إلا إذا كان الخبران فى معنى خبر واحد، فإن لم يكونا كذلك وجب الفصل والتشريك، وقدر هؤلاء البعض مبتدأ لكل خبر من الأخبار التي وردت غير معطوفة على لسان العرب، مثال ذلك قول الله تعالى "وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد" (سورة البروج: آية ١٤، وآية ١٥)، وقول الشاعر واصفاً الذئب:

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

وقد أجاز سيبويه^(٢) فى باب "ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب فى المعرفة" التعدد بدون تقدير بغية الجمع بين معانى الخبر، فقد يحكم على الشيء الواحد بأحكام متعددة كما فى قولنا "هذا حلو حامض" ... للجمع بين الطعمين. وقال بعض النحويين بعدم تعدد الخبر إلا إذا كان من جنس واحد أى يكون الخبران مفردين، أما إذا كان أحدهما مفرداً والآخر جملة فلا يجوز عدّه من الخبر المتعدد، بينما أقر المعريين للقرآن الكريم تعدد الخبر فى حال كون أحد الخبرين مفرداً والآخر جملة، وذلك كما فى قوله تعالى "فإذا هى حيةٌ تسعى" (سورة طه: آية ٢٠)، فجملة "تسعى" خبر ثان لعدم جواز كونها حالاً^(٣).

وردت الأخبار المتعددة فى "الإشارات" لمبتدأ تصدره ناسخ (تعد النواسخ من عناصر الزيادة التي تؤثر فى مضمون الجملة)، ولمبتدأ لم تصدره ناسخ، وكان ورود الخبر المتعدد للمبتدأ المسبوق بناسخ أكثر شيوعاً.

(١) شرح الألفية لابن عقيل، ج ١، ص ٢٥٦-٢٦٠.

(٢) الكتاب، ج ٢، ص ٨٣.

(٣) شرح ابن عقيل، ج ١، ص ٢٦٠.

أما عن الأخبار المفردة المتعددة التي وردت لمبتدأ غير مسبوق بناسخ، فقد جاءت في بعض مواضعها مترادفة كما في قوله:

"أما أنت عما أنت عليه من الخطايا مقلع نازع"^(١).

ويقول في موضع آخر:

"... والقول في هذه الحال العامة الطامة طويل عريض"^(٢).

ووردت الأخبار المفردة المتعددة في مواضع أخرى وقد تعلق بكل خبر (إذ ورد اسماً مشتقاً يحتاج إلى ما يحتاج إليه الفعل) عناصر لغوية مثل الجار والمجرور، والمفعول فيه (الظرف) والمفعول به مما زاد من طول الجملة كما في قوله:

"إلهنا: نحن عبيدك ، متصرفون على إرادتك ، متقلبون بين مشيئتك وحكمك ، مترددون بين قدرتك وحكمتك ، آملون عطفك ورحمتك ، معترفون بسوابغ إحسانك ونعمتك ، خائفون من عواقب سطوتك ونقمك"^(٣).

التركيب: مبتدأ + خبر أول (عبيد) + ضمير متصل مضاف إليه + خبر ثان (متصرفون) + جار ومجرور + ضمير متصل مضاف إليه + خبر ثالث (متقلبون) + ظرف + مضاف إليه اسم ظاهر + مضاف إليه ضمير متصل + حرف عطف + اسم معطوف + مضاف إليه ضمير متصل + خبر رابع (مترددون) + ظرف + مضاف إليه اسم ظاهر + مضاف إليه ضمير متصل + حرف عطف + اسم معطوف + ضمير متصل مضاف إليه + خبر خامس (آملون) + مفعول به لاسم الفاعل + ضمير متصل مضاف إليه + حرف عطف + اسم معطوف + ضمير متصل مضاف إليه + خبر سادس (معترفون) + جار ومجرور + مضاف إليه اسم ظاهر + ضمير متصل مضاف إليه + حرف عطف + اسم معطوف + ضمير متصل مضاف إليه + خبر سابع (خائفون) + جار ومجرور + مضاف إليه اسم ظاهر + ضمير متصل مضاف إليه + حرف عطف + اسم معطوف + ضمير متصل مضاف إليه.

^(١) الإشارات: ص ٣٦٨. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ٢٣، ٤٧، ٦٨، ٢٦٨، ٢٨٠، ٣٢٢، ٣٣٧، ٣٤٢، ٤٤٠، ٣٦٣.

^(٢) الإشارات: ص ٣٢٢.

^(٣) الإشارات: ص ٢٠٨. توجد أمثلة أخرى في صفحات ٨٦، ٢٠٥، ٢٣٤، ٢٤٩، ٢٨٠، ٣٥٤، ٤٣٧.

وهكذا أصبحت الجملة الاسمية، القصيرة "نحن عبيدك" جملة تحويلية بالزيادة؛ تعددت فيها أحكام المبتدأ "نحن" فتعدد الخبر الذى بلغ سبعة أخبار ، وقد تعلق بكل خبر عدد من الوظائف النحوية الأخرى، التى أدت إلى هذا الامتداد والتناسل.

أما عن الأخبار المتعددة التى وردت غير متجانسة من حيث الأفراد وعدمه فقد وردت مترادفة فى بعض المواضع كما فى قوله موبخاً:

"وأنت فى جميع هذه الأحوال سادر هادر لا تلوى على فائتك من رضاه"^(١).

فجاءت الأخبار: خبر أول مفرد + خبر ثان مفرد + خبر ثالث جملة فعلية

ووردت فى مواضع أخرى وقد تعلق بكل منها وظائف نحوية كما فى قوله:

"لهذا أنت فرد فى لغتك، لطيف فى مقتك ، معشوق ، فى جميع أحوالك ، صُرِفْتَ عنك عين السوء"^(٢).

التركيب: مبتدأ + خبر أول مفرد (فرد) + جار ومجرور + ضمير متصل مضاف إليه + خبر ثان مفرد (لطيف) + جار ومجرور + ضمير متصل مضاف إليه + خبر ثالث مفرد (معشوق) + جار ومجرور + مضاف إليه اسم ظاهر + ضمير متصل مضاف إليه + فعل مبنى لغير فاعله + جار ومجرور + نائب فاعل والجملة من الفعل ونائب الفاعل خبر جملة رابع + مضاف إليه اسم ظاهر.

أما عن الأخبار المتعددة للمبتدأ الواحد المسبوق بناسخ فوردت مفردة مترادفة فى بعض المواضع كما فى قوله مناجياً الله:

"بل ندعوك عارفين بأنك أنت الجواد الواهب الكريم المعطي"^(٣) لمن سأل"^(٤).

^(١) الإشارات: ص ٩٢. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٢٩ ، ٢٠٣ ، ٣٧٥ ، ٤٤٠ ، ٤٤٩ .

^(٢) الإشارات: ص ٣٥٤. توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ٢٧ ، ٢٠٨ ، ٤٠٨ .

^(٣) ورد الخبران "الواهب، المعطي" على صيغة اسم فاعل فى صورتها اللفظية، ولكنهما على صيغة الصفة المشبهة فى معناهما؛ حيث إن اسم الفاعل صيغة تدل على صفة طارئة وعارضة، وهذا لا يليق بالله عز وجل.

^(٤) الإشارات: ص ٣٥٥. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٣٣ ، ٥٨ ، ١٥١ ، ١٠٤ ، ١٦٠ ، ١٨٦ ، ١٩٣ ، ٢١٥ ، ٢٦٨ ، ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٧٠ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٤٠١ ، ٤١٥ ، ٤١٨ ، ٤٢٦ ، ٤٤٦ .

ووردت مفردة وقد تعلق بكل منها وظيفة أو وظائف نحوية أخرى أدت إلى إطالة الجملة كما في قوله:

"ألسـت جامعاً لأطرافك، مقبلاً على شأنك ، فقيراً إلى فقير يطلع عليك ، مفضلاً على فاضل ينقطع إليك؟" (١).

التركيب: فعل ناسخ + اسم الناسخ ضمير متصل + خبر أول مفرد (جامعاً) + جار ومجرور + مضاف إليه ضمير متصل + خبر ثان مفرد (مقبلاً) + جار ومجرور + مضاف إليه ضمير متصل + خبر ثالث مفرد (فقيراً) + جار ومجرور + فعل + فاعل ضمير مستتر والجملة من الفعل والفاعل نعت للاسم المجرور (فقير) + جار ومجرور متعلق بالفعل (يطلع) + خبر رابع مفرد (مفضلاً) + جار ومجرور + فعل + فاعل ضمير مستتر والجملة من الفعل والفاعل نعت للمجرور (فاضل) + جار ومجرور.

ووردت الأخبار المتعددة للناسخ غير متجانسة من حيث الأفراد وعدمه في ثلاثة مواضع كما في قوله متخيلاً حديث الله الذات العلية إلى عبده المطيع المحب:

"فلا يهمنك ما كان ، فقد أفضيت إلى عزّ جوارنا ، وصرت مكرّماً لدينا ، مصطفىً عندنا، حكمك نافذ في ملكنا" (٢).

فجاءت الأخبار: خبر أول مفرد + خبر ثان مفرد + خبر ثالث جملة اسمية.

(١) الإشارات: ص ١٢٦. توجد أمثلة أخرى في صفحات ٤، ١٨، ٥٨، ٦٨، ٧٣، ٧٤، ١٢٥، ١٢٦، ٢١٨،

٢٣٠، ٢٣٤، ٢٤٦، ٢٦٥، ٣٠٥، ٣١٩، ٣٢٣، ٣٤٤، ٣٦٣، ٣٧٥، ٣٨٤، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠.

(٢) الإشارات: ص ٥٢. يوجد مثلاً آخران ص ٥٨، ص ٤٣٨.

تعدد الحال:-

الحال من الوظائف النحوية التي أتاح لها نظام اللغة التعدد "شبيه بالخبر في كونه محكوماً به في المعنى على صاحبها، وبالنعت في إفهام الاتصاف بصفة وإن لم يكن ذلك بالقصد، بل بالتبع بما هو المقصود منه وهو تقييد العامل وبيان كيفية وقوعه"^(١) فيكون في تعدد الحال بذلك إرادة شمول الكيف. يقول ابن مالك:

"والحال قد يجيء ذا تعدد لمفرد فاعلم وغير مفرد

يجوز تعدد الحال وصاحبها مفرداً ومتعددًا فمثال الأول جاء زيد راكباً ضاحكاً ، فراكباً وضاحكاً حالان من زيد، والعامل فيهما جاء ومثال الثاني لقيت هنداً مصعداً منحدرة ، فمصعداً حال من التاء ومنحدرة حال من هند والعامل فيهما لقيت ... فعند ظهور المعنى ترد كل حال إلى ما يليق به وعند عدم ظهوره يجعل أول الحالين لثاني الاسمين وثانيهما لأول الاسمين ففي قولك لقيت زيداً مصعداً منحدراً يكون "مصعداً" حالاً من "زيداً" و"منحدراً" حالاً من التاء"^(٢).
ورد صاحب الحال المتعددة في الإشارات مفرداً، وقد تعددت الحال في حالتها المفردة في مواضع متعددة نحو قوله:

"فيكيف يكون حال من هو في عيده محزون ... قد خذله أنصاره وأسلمه أحبابه قد تُرك غريباً ، فريداً ، وحيداً ، حزيناً ، مبهوتاً ، سليباً"^(٣).

فقد وردت الأحوال من الضمير المستتر (نائب الفاعل) في الفعل "تُرك" متوالية مترادفة.

وقد وردت الأحوال المتعددة وقد أضيفت إلى فاعلها معنى، وذلك كما في قوله:

"قلو رأيتني وأنا أمشي"^(٤) إلى المصلى شاحب الوجه، غرابي الشعر ، راغم الأنف ، ناكس الرأس ، كليل اللسان ، خافض الصوت ، ظاهر الاستكانة"^(٥).

(١) حاشية الخضري: ج ١، ص ٢١٩.

(٢) نفسه.

(٣) الإشارات: ص ٢٢٩. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ٩٣ ، ١٠٤ ، ١٣٢ ، ٢٠٢ ، ٢٦٩ ، ٣١١ ، ٣٢٣ ، ٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٣٨٨ ، ٤٢١ .

(*) جملة "أنا أمشي" حال من المفعول به للفعل "رأيتني" ، "وشاحب" حال من الفاعل الضمير المستتر في فعل جملة الحال السابقة وفي هذه الحالة الحالان متداخلتان. معنى اللبيب، ج ٢، ص ٤٢٧.

(٤) الإشارات: ص ٢٩٩.

وقوله:

"اللهم: إنا لو وفينا الحياء منك حقّه لم نواجهك متلوثين بلطائخ الدنيا مدّلين بالقول مقلّين من العمل، عارين من الحقيقة ، بعيدين مما يوجب الوثيقة"^(١).

إذ تعددت الأحوال من الضمير المستتر في الفعل "نواجه" وقد تعلق بكل حال جار ومجرور إتماماً للمعنى.

وردت الحال في جميع مواضعها جائزة التعدد إلا في ثلاثة مواضع من "الإشارات" وردت فيها واجبة التعدد^(*) منها قوله:

"اعتقد محبته (أى محبة الله) ولا تبدها: لا مصرحاً بها ولا كانياً عنها"^(٢).

وقد وردت الأحوال المتعددة مختلفة من حيث أفرادها وعدمه في مواضع قليلة كما في قوله يتحدث عن حال الزاهدين مع الدنيا:

"... ثم يرتحلون عنها خالصين ، لم تتشب في حلوهم"^(٣).

حيث وردت الحال الأولى مفردة "خالصين"، والحال الثانية جملة فعلية "لم تتشب ...".

وقوله في موضع آخر:

"وكيف لا يكون حالى هكذا، وحببي هاجرى، ومن أهيم بهواه سال عني، وقد بقيت مرحوماً من أعزتي"^(٤).

تعددت الحال ووردت كل منها جملة. الحال الأولى جملة اسمية "وحببي هاجرى"، والحال الثانية جملة اسمية أيضاً "ومن أهيم بهواه سال عني"، والحال الثالثة جملة فعلية "وقد بقيت مرحوماً من

^(١) الإشارات: ص ١٣٨ ، توجد أمثلة كما في صفحات ٥٧ ، ٥٩ ، ٨٤ ، ١٠٢ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٨١ ، ١٩٥ ، ٢٢٤ ، ٢٥٩ ، ٢٧٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٩ ، ٣٢٤ ، ٤١١ ، ٤٣٢ .

^(٢) سبق أن أشرت إلى ذلك ص ٨١ من هذه الدراسة. وتلك المواضع وردت في الإشارات في صفحات ٨٠ ، ١٢٤ ، ١٦٣ .

^(٣) الإشارات: ص ١٢٤ .

^(٤) الإشارات: ص ٤١٥ . توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ١٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٨٩ .

^(٥) الإشارات: ص ٢٢٨ .

أعزتي" وقد حوت الجملة الأخيرة حالاً مفردة "مرحوماً" من الضمير المتصل "الناء" في الفعل "بقيت"، وهذا يعد من تداخل الأحوال.

ويقول:

"يا مسكين: لا تنتيهن في أودية المقال عن سلوك الطريق إلى الأحوال، فإنك إن تهت هكذا، بقيت في ضروب الأذى مسدود الأمام، محجوب الخلف، حرج اليمين، ضيّق الشمال، لا آخذ بيدك، ولا رافع لقدمك، ولا مشفق عليك منك، ولا رادّ لما لك عليك"^(١).

نلاحظ تعدد الحال؛ إذ تعددت مفردة، وجملة مكونة من لا النافية للجنس ومعموليهما وعُطفت جمل هي في الأصل أحوال.

(١) الإشارات: ص ٤٣٢.

المبحث الخامس

اتساع الجملة بالتعاقب:

المقصود باتساع الجملة بالتعاقب، كما أوضحت سابقاً، أن تحل الجملة محل الوظيفة النحوية مفردة لأن الجملة التي يراد بها لفظها تنزل منزلة الأسماء المفردة^(١). وقد حدد ابن هشام الجمل التي تعاقب المفرد وتأخذ محله من الإعراب بالجمل التي لها محل من الإعراب، ويؤدي شغل موضع الوظيفة النحوية المفردة بالجملة إلى الاتساع، وتكون الجملة المعاقبة للمفرد التي حلت محله عنصراً مكماً للمعنى في الجملة الكبرى.

وأولى الجمل التي تعاقب المفرد وتحل محله هي الجملة الواقعة خبراً والتي أطلق عليها ابن هشام "الجملة الصغرى" وهي الجملة المبنية على المبتدأ أي التي هي خبر عنه في الجملة الكبرى^(٢).

الجملة التي تقع خبراً

- الجملة التي تقع خبراً لمبتدأ لم يتصدره ناسخ:

- الخبر الجملة الفعلية:

نلاحظ بداية أن أخبار المبتدأ الذي لم يسبقه ناسخ وردت جملة فعلية في جل مواضعها في "الإشارات"، مثال ذلك قوله:

"إلهنا : سوابق منك تدعو إلى الاعتراف بفضلك"^(٣).

(١) مغنى اللبيب: ج ٢ ، ص ٤١٢ .

(٢) وعن شبه الجملة الذي يعده بعض النحويين خبراً على وجه التسهيل، يقول ابن مالك:

وأخبروا بظرف أو بحرف جر ناوين معنى كائن أو استقر

إن كلا من الظرف والجار مع مجروره في قولنا "زيد عندك" و"زيد في الدار" لا يؤديان فائدة إلا بمتعلقهما المحذوف وجوباً حينما يكون استقراراً عاماً وهو الخبر حقيقة ، أما إذا كان استقراراً خاصاً مثل زيد جالس عندك وجب ذكره لعدم دلالة الظرف والجار والمجرور عليه إذا حذف. وقد أجاز ابن مالك أن يكون المحذوف اسماً وهو "كائن" فيكون الخبر من قبيل المفرد أو يكون المحذوف فعلاً وهو "استقر" فيكون الخبر من قبيل الجملة ويرى الصبان كونه اسم فاعل أولى ليكون الخبر من قبيل المفرد.

شرح ابن عقيل ، ج ١ ، ص ٢٠٩ وما بعدها. كذلك حاشية الصبان على شرح الأشموني ، ج ١ ، ص ١٩٩ - ص ٢٠٣ .

(٣) الإشارات: ص ٣٧٢ .

ورد الخبر جملة "تدعو" لتحل محل المفرد "داعية" لإفادة تجدد الحث على الاعتراف والحمد واستمرارهما.

وقوله:

"فها هي (يقصد نفسه) دهرها تسكب الدموع على فائت ..."^(١).

فقد ورد الخبر جملة "تسكب" لتحل محل المفرد بغية الدلالة على أن النفس في حالة ندم متجدد، ومن ثم فهو مستمر.

وورد الخبر جملة فعلية تركيبية (جملة شرطية) كما في قوله:

"أنت ... لو أردت من هذه الدنيا منزلة رفيعة، وحالاً بين أهلها جليلة، لأخذت أهبتها، وجمعت أدواتها، واستعنت بأقرانك في اجتلابها، وسهرت مفكراً، وفكرت ساهراً، وضربت يمنة ويسرة، وكدحت طالعا وغاربا، وسعيت غاديا ورائحا، ونحوت إليها خائفا وراجيا، وقفوت أثرها خادعا ومنخدعا، وبذلت روحك محتارا ومضطرا، وسلوت عن قليلك وكثيرك طائعا وكارها"^(٢).

- الخبر الجملة الاسمية:

ورد كما في قوله مفصلا لمجمل:

"أما الإشارة المدفونة بالعبارة فهي التي تجاوزت العبارة عنها"^(٣).

- الخبر الجملة الاسمية المتصدرة بحرف ناسخ:

ووردت من نحو قوله:

"أما الحال فإنها ترتب الإنسان في محل السائلين وأما الحقيقة فإنها تروح عن قلوب الصادقين وأما الوجد فإنه يُستخرج عن اليقين..."^(٤).

حيث ورد تركيب جملة الخبر على صورة: حرف ناسخ + اسم ضمير متصل + خبر جملة فعلية.

(١) الإشارات: ص ٢٠٢.

(٢) الإشارات: ص ٤٠٢.

(٣) الإشارات: ص ٦١ توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ١٢، ١٥، ١٩، ٢٧، ٥٤، ٥٨، ٧٨، ١٠٠،

١٠١، ١٢٨، ١٢٩، ٢٠٩، ٢٨٢، ٢٣٨، ٣٢٠، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٧٦، ٣٨١، ٣٩٦، ٤٢٤.

(٤) الإشارات: ص ١٣٧.

- الجملة تقع خبراً لمبتدأ تصدره ناسخ
- الجملة التي تقع خبراً لمبتدأ تصدره فعل ناسخ

وردت كما فى قوله:

"أيها السامع ليس كل من رقد حَلُمَ بما يريد"^(١).

ووردت الجملة التي تقع خبراً لمبتدأ تصدره فعل ناسخ يعمل عمل "كان" لإفادة المقاربة
كما فى قوله متوسلاً إلى الله:

"... فقد كدنا نحكي عنك ما يبعدنا منك"^(٢).

(١) الإشارات: ص ٢١.

(٢) الإشارات: ص ١٢٢. هذا نص من نصوص أخرى وردت فى الإشارات الإلهية دلل بها بعض الدارسين على
جرأة أبى حيان فى حديثه إلى الله تعالى ، ولكن قد يكون هذا الحكم مبالغاً فيه.

وردت بعض المناجيات التى يعاتب فيها التوحيدى الله بقوله الذى ورد ص ١٢٢ من الإشارات"اللهم:
إليك أشكو ما نزل بى منك، وإياك أسأل أن تعطف علىّ برحمتك فقد وحقك شددت الوثاق وضيق الخناق
وأقمت الحرب بينى وبينك. فبحقك وبِعزتِكَ إلا أرخيت وتغمدت ، وأحسنيت وتفضّلت، فقد كدنا نحكى عنك ما
يبعدنا منك ولو حكينا ذلك لكان فى حلمك ما يسعنا ولكنا نخاف خلقك الجاهلين بك فإنهم يضيّقون عما تَسَعُ
ويجهلون ما تعلم، ويُبخلون ما تجود، ويغصّون ما تُسِيغ". ويقول فى ص ١٨٧ من الإشارات:
"إلهنا إن ذكرناك أنسيتنا، وأن أشرنا إليك أبعدتنا ، وإن اعترفنا بك حيرتنا وإن جحدناك أحرقتنا ، وإن توجهنا
إليك أتعبتنا وإن ولّينا عنك دعوتنا، وإن تركناك أزعجتنا، وإن توكلنا عليك أكلفتنا، وإن فكرنا فيك أضللتنا ،
وإن انتسبنا إليك نفيتنا ، وإن أطعناك أبليتنا، وإن عصيناك عذبتنا، وإن انقبضنا عنك بسطتنا، وإن انبسطنا
معك طردتنا، فالسوانح فيك لا تُملك والغايات منك لا تُدرِك والحنين إليك لا يسكن والسلو عنك لا يمكن،
فارحمننا فى بلواننا بك، واعطف علينا فى صبرنا معك...". ويقول فى ص ٣٨٢:
"إلهي: استررتنى فلما جئت حجبتنى، دعوتنى فلما أجبت جفوتنى ، خاطبتنى فلما استفهمتكَ أبهمت علىّ،
عثرتنى فلما استنعتشك تركتنى، أظلماتنى فلما استسقيتك زدتنى، أبنتنى فلما بدوت أبدتنى أحبيتنى فلما حييتُ
أمتنى، أمنتنى فلما أمنت أخفتنى، كوّنتنى فلما كنت كنيتنى، فوحقك لا فارقتُ بابك حتى تفصل فى أمرى،
وتحكم لى وتجود علىّ وتنظر إلىّ، وحتى تنقذنى من دارك التى حشوتها بالغصص، والآفات، وبالبلايا
والمساءات، وحتى ترفعنى إلى جوارك ذى الظل السجسج، والماء المعين، والقرار المكين، والمقام الأمين ،
حيث لا أسمع فيه لاغية، ولا أقاسى من ليس منى فى ثاغية، ولا راغية".

وتبريراً لهذا الشكل من الخطاب إلى الله رأى عبد الرحمن بدوى (المحقق الأول لكتاب الإشارات الإلهية)
فى احتياط وحذر أنه "لا يجب أن ننخدع كثيراً بتكراره كلمة "إلهي" التى يستهل بها عادة فقرات هذه
المناجيات فقد تكون مجرد العادة اللغوية هى التى تحمله على استخدامها" (مقدمة الإشارات الإلهية لأبى
حيان التوحيدى ، تحقيق عبد الرحمن بدوى ، ص ٢١).
=

= فقد استبعد عبد الرحمن بدوي أن يعاتب العبد ربه ويناجيه على هذه الشاكلة فأغلب ظنه أن مخاطب التوحيدى فى هذه الحالة ما هو إلا نفسه، ودليله فى ذلك أن التوحيدى كثيراً ما يقول "ببنى وبنى" أى بينه وبين نفسه؛ إذ انقسمت ذاته على نفسها وفى داخل نفسها إلى متحاورين يتضرع أحدهما إلى الآخر ويبتهل، فهذا العلو الذى يتجه إليه فى هذه المناجيات أو الصلوات ما هو إلا نفسه (مقدمة الإشارات للمحقق نفسه، ص ٢١، ص ٢٢).

صحيح أن التوحيدى كثيراً ما ينقسم على نفسه فى الإشارات، فيتحدث إليها معنفاً لائماً، لكنه عندما يقول "إلهى" فإنه يعنى الله عز وجل وليست الكلمة عادة لغوية، أو لازمة لغوية تأتى فى غير معناها، والذى يؤكد هذا السياق الذى ترد فيه هذه الكلمة، وإلا كيف نفسر قوله مبتدئاً بـ "إلهى" فى قوله: "إلهى كل ما أقوله فأنت فوقه، وكل ما أضمر فأنت أعلى منه"، فالقول لا يأتى على حقك فى نعتك، والضمير لا يحيط بكنهك وكيف نقدر على شيء من ذلك وقد ملكتنا فى الأول حين خلقتنا، وقدرت علينا فى الثانى حين صرفتنا" (الإشارات، ص ٢٠٩) وغير ذلك من السياقات التى يبدأ فيها القول بـ "إلهى" لتدل على مناجاة الذات الإلهية، بالإضافة إلى هذا فإن نداءه "إلهى" لم يرتبط وحده بسياق عتاب الله، ولكن ورد هذا السياق مستهلاً بـ "إلهنا" واللهم" كما ورد فى النصوص السابقة، وتعويل عبد الرحمن بدوي على أن استعمال النداء "إلهى" من قبيل العادة اللغوية وأنه فى الحقيقة يعاتب نفسه الأدنى يجعل استعماله "اللهم" "إلهنا" فى هذا السياق من قبيل العادة اللغوية، أيضاً، ولا يمكن لإنسان أن يناجى نفسه بـ "اللهم" أو "إلهنا".

ومن الآراء التى استبعدت أن يكون التوحيدى مخاطباً الله فى مثل تلك السياقات، بل فى نص الإشارات كله، رأى ماجد يوسف فى مقال له بعنوان أبو حيان التوحيدى: حوار العقل وسؤال الحرية"، يقول: "... تلك (يقصد الإشارات الإلهية) التى اعتبرت وعوملت باستمرار على أنها مناجيات صوفية للذات العلية (الله) بينما اعتبرها عبد الرحمن بدوي -ونوافقه فى ذلك- بمثابة حوارية بين أبعاد مختلفة ومستويات متعددة فى الذات الإنسانية الواحدة" (مجلة فصول، أبو حيان التوحيدى: حوار العقل وسؤال الحرية، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج ١٤، ج ٢، ١٩٩٦م، ص ١٢١)، ثم يستشهد بما أورده سابقاً من كلام عبد الرحمن بدوي، ويتابع حديثه قائلاً "ولو لم تكن كفة هذا الاحتمال هى الرابحة لكان علينا أن نعتز فوراً بأن هذه المناجيات الإلهية، وهى ليست بالقليلة، هى من أجراً وأغرب الأدعية والمناجيات التى خاطب بها عبد ربه على مدى تاريخ الإسلام كله" (المرجع السابق، ص ١٢١) ثم يستشهد باثنتين من تلك المناجيات التى سبق أن ذكرتها وقد وردتا فى صفحتى ١٨٧، و ١٢٢ من الإشارات على ترتيب ورودها فى المقال. وتعليقاً على قوله "وهى ليست بالقليلة" فهى فى الحقيقة قليلة؛ إذ لم تزد عن النصوص التى ذكرتها ووردت فى صفحات ١٢٢، ١٨٧، ٣٨٢ من الإشارات.

نجد دراسة أخرى لمحمد عبد الغنى الشيخ بعنوان "أبو حيان التوحيدى: رأيه فى الإعجاز، وأثره فى الأدب والنقد" يرى فيها أن التوحيدى عندما يناجى الله معاتباً، أحياناً، فإن لهجته لا تخلو من بعض الجرأة (أبو حيان التوحيدى: رأيه فى الإعجاز وأثره فى الأدب والنقد، الدار العربية للكتاب، تونس، ح ٢، ص ٨٣٧).

بيد أننا عندما ندقق في تلك المناجيات التي تناولت عتاب الذات الإلهية نجد أنها لا تصدر عن التوحيدي إلا في إطار الاسترحام والتذلل والاحتياج ، كأن لسان حاله يقول لله: لم يبق إلا سواك بعد أن خذلني البشر جميعهم وقد لجأت إليك فهل ستخذلني؟ وإذا حططت عن كاهلي كل ما ساعني وحدتتك بكل ما في نفسي الثائرة الغاضبة فهل ستقبلني؟ وإذا زدتنى ابتلاءً فهل سترحمني وتكون لي الملجأ والملاذ والمتنفس ياذا الجلال والإكرام (إذ كثيراً ما كان ينهي مناجياته بنداء الله بهاتين الصفتين، وهما صفتان تتميزان بالاحتواء والشمول).

ويذكر التوحيدي في كل نص من النصوص الثلاثة السابقة ابتلاءات الله له وما هذه الابتلاءات إلا حب من الله لعبده وما الزيادة فيها إلا زيادة في حب الله لعبده الصامد الصبور اللحوح: 'فقد وحقك شددت الوثاق وضيقك الخناق وأقمت الحرب بيني وبينك' من النص الأول، ثم 'فالسوانح فيك لا تملك والغايات منك لا تدرك والحنين إليك لا يسكن والسلو عنك لا يمكن، فارحمنا في بلوانا بك، واعطف علينا في صبرنا معك' (من النص الثاني). ثم 'فوحقك لا فارقت بآبك حتى تفصل في أمري وتحكم لي وتجد علي وتنظر إلي، وحتى تنقذني من دارك التي حشوتها بالغصص والآفات وبالبلايا والمساءات، وحتى ترفعي إلى جوارك' (من النص الثالث).

إن شكواه من الله ليست جرأة عليه عز وجل بل تزلفاً، واسترحاماً، واستعطافاً من حبيب لحبيبه، ألا يستعطف الحبيب حبيبه فيشكو إليه منه ثقة في أنه الملاذ، وثقة في أنه القريب وثقة في أنه الحبيب الكريم اللطيف، "ولو حكينا ذلك لكان في حلمك ما يسعنا ولكننا نخاف خلقك الجاهلين بك فإنهم يضيقون عما تسع ويجهلون ما تعلم ، ويُبخلون ما تجود ويغصون ما تسيغ" (من النص الأول).

يقول التوحيدي "اللهم إنا قد أكثرنا القول فيك ثقة بك لا جرأة عليك" (الإشارات، ص ١٥٣). ويقول: "اللهم: إن القلم قد تعرّم (أى اشتط) في نفث قصتنا معك واللسان قد طغى في تشقيق اللفظ بذلك، وفيض الوهم قد طفح على أصبار (أى جوانب) القلب، وأنت أول ذلك وآخره وخافيه ولائحه، فاستر ذلك علينا حتى لا نفتضح على رؤوس الأشهاد الذين لا يعرفون نسبنا منك ولا يقفون على سببنا معك" (الإشارات، ص ١٨٣، ١٨٤). ويقول: "اللهم: ... ما اغتررنا بك ولكن أحسنّا الظن بعفوك ، ما اجترأنا عليك ، ولكن اطمأنت قلوبنا بفضلك، ما تعمّدنا لسخطك ولكن استرسلنا مع قوة الرجاء فيك" (الإشارات، ص ٤٣٥). ويقول أيضاً: "... فكيف ننجح عندك، وكيف نسلم عليك، إلا أن الظن بك يا ربنا جميل وأملنا فيك قوى" (الإشارات، ص ٣١٧).

فلم لا يناجى التوحيدي ربه هكذا، وهو المؤمن بمكر الله، الذى هو صفة من صفات الله يجب أن يؤمن بها المؤمن ويتحرّرها ألم يصف الله نفسه بأنه خير الماكرين. تقول الآية الكريمة: "ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين" (سورة الأنفال: آية ٣٠) ، وتقول الآية الكريمة أيضاً "وقد مكر الذين من قبلهم فله المكر جميعاً" (سورة الرعد: آية ٤٢) ، وتقول الآية الكريمة: "فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون" (سورة الأعراف: الآية ٩٩). فالتوحيدي يتحرى مكر الملك الجبار ، يقول: "اللهم: إنا نرتاح لذكرك على تلوننا في مخالفتك ، ونرتاح من مكرك على علمنا بجودك وكرمك " (الإشارات، ص ٢٠٨). ويدعوه في موضع آخر : " ... وآونا إلى كنف أمانك بالأمن منك " (الإشارات ، ص ١٩٦) .

إن هذا النوع من المناجاة المعاتبة للخالق عز وجل هي نوع من شعور العبد بخصوصية بينه وبين ربه نتجت عن درجة عليا من درجات حب الله فلم لا يكون التوحيدي "الغريب" قد وصل إلى هذه الدرجة من القرب والحب له عز وجل؟ يقول التوحيدي: "إلهنا: ما شئت فاصنع، لا بد من العفو والعفو خلق من أخلاق الكرام وأنت أكرم الأكرمين ، فاعف عنا يا ذا الجلال والإكرام" (الإشارات، ص ٣٣٦).

وردت جملة "نحكى" خبراً للفعل الناسخ "كاد" الذى يعمل عمل كان ، ويدل وضعاً على قرب الخبر فكأنه مشروع فيه حالاً لا مستقبلاً^(١) أى لا ملابسة بين زمن الخبر والاسم ولا اتصال^(٢).

- الجملة التى تقع خبراً لمبتدأ تصدره حرف ناسخ:

استخدم التوحيدى أكثر ما استخدم "إن" التى هى أم هذا الباب ، وقد وقع خبر "إن" جملة حالة محل المفرد وذلك فى كثير من المواضع من الإشارات ولا سيما عند التوجه إلى الله فى مفتتح الفقرات^(٣).

- الخبر الجملة الفعلية:

وردت جملة الخبر جملة فعلية فعلها لازم كما فى قوله:

"... على أنى، إذا أنصفت، اعترفت بالنعمة فى أضعاف هذه البلية"^(٤).

فجاءت جملة الخبر على صورة التركيب: فعل لازم + فاعل + جار ومجرور.

ووردت جملة فعلية فعلها متعد كما فى قوله:

"اللهم: إنا نَعَادِي فيك الشيطان"^(٥).

فجاءت جملة الخبر على صورة التركيب: فعل متعد لفعل واحد + فاعل + جار ومجرور + مفعول به.

ووردت جملة الخبر جملة فعلية فعلها متعد لمفعولين كما فى قوله: "

= فما أعظم حسن الظن بالله الذى يحقق خصوصية بين العبد وربّه، فيرقى به إلى أن يكون عبداً ربانياً؛ فتتسم مناجياته بالغربة، ولكنها لا تكون جريئة ألبتة.

(١) حاشية الخضرى: ج ١ ، ص ١٢٥.

(٢) النحو الوافى ، ج ١ ، ص ٦١٥.

(٣) فى صفحات ١ ، ٨ ، ١٠ ، ٢٠ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٣ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ١٠٦ ، ١١٥

١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،

٢٣٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٨ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،

٣٢٠ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٣٩ ، ٣٥٤ ، ٣٧٠ ، ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٦ ،

٤٥١ ، ٤٥٨ ، ٤٦٤.

(٤) الإشارات: ص ١٦٤.

(٥) الإشارات: ص ٣٣٠.

"... على أنك، إن أنصفت، علمت أني في كل ذلك (يقصد حثه المستمر له) واسطة مستخدم"^(١).

فجاءت جملة الخبر على صورة التركيب: فعل متعد لمفعولين + فاعل + حرف ناسخ + اسم الناسخ ضمير متصل + ... + خبر الناسخ، والمصدر المنسبك من أن ومعموليهما سد مسد المفعولين.

وورد خبر " لا النافية للجنس " التي تعمل عمل "إن" جملة فعلية على صورة التركيب : فعل + فاعل ضمير مستتر، وعلى صورة التركيب : فعل مبنى لغير فاعله + نائب فاعل ضمير مستتر، وذلك كما في قوله :

"لا عين تدمع بالاعتذار، ولا يد تُرفع إلى الله بالاستغفار" ^(٢).

وورد الخبر جملة فعلية تركيبية كما في قوله:

"...إنه (يقصد الله) إن ألهمك هذا الجواب، فقد نجاك من العقاب"^(٣).

- الخبر الجملة الاسمية:

ورد الخبر جملة اسمية من نحو قوله :

"فإن الرجل اللبيب الضابط لنفسه هو الحقيق بأن يُسمى إنساناً"^(٤).

- الخبر الجملة الاسمية المسبوقه بناسخ:

ورد الخبر جملة اسمية مسبوقه بناسخ من نحو قوله :

"إن العارف، وإن ترقى في سلال المعرفة،... ليس له أن يُخبر إلا بعد الإذن له"^(٥).

فجاء تركيب جملة الخبر على صورة : فعل ناسخ يعمل عمل كان + جار ومجرور مقدم متعلق بالخبر المحذوف + حرف مصدرى ناصب + فعل مضارع مبنى لغير فاعله والمصدر المؤول من أن والفعل اسم ليس مؤخر.

وقوله أيضاً :

(١) الإشارات: ص ١٠٦.

(٢) الإشارات: ص ١٤٩. توجد أمثلة أخرى كما صفحتي ٤٧، ٤٨.

(٣) الإشارات: ص ٤٢١. توجد أمثلة أخرى لورود خبر الناسخ جملة شرطية وذلك كما في صفحات ٣، ٩، ٣٢،

٥٥، ٥٦، ٩٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٧٣، ١٧٤، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٥٦، ٣٤٨، ٤١٢، ٤١٦،

٤١٧، ٤٢١.

(٤) الإشارات: ص ٣٨٥.

(٥) الإشارات: ص ٣٧٦.

"إلهنا إن مرضنا كان بك....، وإن خلافتنا لك كان بقضائك....، وإن زيغنا كان بعلمك" (١).

فورد الخبر على صورة التركيب : فعل ناسخ + اسم الناسخ ضمير مستتر + جار ومجرور متعلق بالخبر المحذوف.

وقوله أيضاً:

"... على أن قولى لا شرح له" (٢).

فوردت جملة الخبر على صورة التركيب : لا النافية للجنس تعمل عمل إن + اسمها + جار ومجرور متعلق بالاسم + خبر لا محذوف وجوبا.

الجملة التى تقع نائب فاعل :

يكون نائب الفاعل جملة عندما تكون الجملة محكية بالقول . يقول ابن هشام فى صدر تفصيله لمواضع الجملة الواقعة مفعولاً: "الجملة الثالثة الواقعة مفعولاً ومحلها النصب إن لم تتب عن فاعل وهذه النيابة مختصة بباب القول نحو: "ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون" (سورة المطففين: آية ١٧) لما قدّمناه من أن الجملة التى يُراد بها لفظها تنزل منزلة الأسماء المفردة" (٣).

ويقول فى معرض الحديث عن الجملة التفسيرية التى ليس لها محل من الإعراب، فىوضح أمثلتها ويجىء إلى المثل السابع فيقول: "السابع: "وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض" (سورة البقرة: آية ١١) ، زعم ابن عصفور أن البصريين يقدرون نائب الفاعل فى "قيل" ضمير المصدر وجملة النهى مفسرة لذلك الضمير.... والصواب أن النائب الجملة لأنها كانت قبل الحذف منصوبة بالقول فكيف انقلبت مفسرة؟" (٤).

وردت جملة نائب الفاعل جملة فعلية ، من نحو قوله :

"ولما قيل لك: اتق الله أخذتك العزة بالإثم" (١).

ووردت جملة اسمية كما فى قوله :

(١) الإشارات: ص ١٥٠. توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ٤١، ٥٣، ١٦٦، ٣٢٤، ٣٣٤، ٣٦٣.

(٢) الإشارات: ص ٣٦٢.

(٣) مغنى اللبيب: ج ٢، ص ٤١٢.

(٤) المصدر السابق: ج ٢، ص ٤٠٢.

(١) الإشارات: ص ٨٦.

"... أليس قيل: الدنيا سجن المؤمن؟" (١).

الجملة التى تقع مفعولاً به

من الجمل التى تعاقب المفرد الجملة التى تقع مفعولاً به وتسند مسده ، وتقع الجملة مفعولاً فى باب الحكاية بالقول (٢) وتسمى مقول القول، وقد شاعت هذه الجملة فى الإشارات واختلفت طولاً وقصراً. يقول التوحيدي مصوراً نفاذ إرادة العبد حين يكون عبداً ربانياً:
"... وأقول للحجر: ذب ، ... وأقول للبحر: امدد، ..." (٣).

نلاحظ أن جملة مقول القول مكونة من جملة واحدة بسيطة مكونة من مسند ومسند إليه (ضمير مستتر) غير محتاجة إلى مكملات وقد جاء هذا النمط البسيط القصير لجملة مقول القول فى ثلاثة مواضع.

أما سائر جمل مقول القول فقد جاء كل منها جملة طويلة مفتقرة إلى مكملات لتمام معناها أو تركبت مع غيرها إما برابط لفظى كأدوات العطف وإما بدون رابط مكتفياً بالربط السياقى (٤). يقول التوحيدي على لسان أحد العارفين:

"وقال آخر: حمية العارفين حمية المرضى، ونومهم نوم الغرقى، وندمهم ندم الهلكى" (٥).

نجد أن جملة مقولة القول حوت ثلاثة تراكيب اسمية ارتبطت عن طريق العطف فطالت الجملة.
يقول أيضاً:

"ولقد نشرت على فلان أحواله وصورت له أمره فبقى مبهوتاً، وقال فيما يقال: أعمى الله عينا لا تقربك، ولا صان نفساً لا تقر بفضلك" (٦).

تكونت جملة مقول القول من تركيبين ارتبطا عن طريق العطف، كل منهما يعد جملة تركيبية تحوى تركيباً مستقلاً، وتركيباً غير مستقل (نعت).

وقد تطول جملة مقول القول فى بعض المواضع حتى تستغرق سطوراً وسطوراً وذلك من نحو قوله إذ تخيل حواراً بينه وبين الله الذات العلية:

(١) الإشارات: ص ٣٠٩.

(٢) مغنى اللبيب، ج٢، ص ٤١٢.

(٣) الإشارات: ص ٣٢٥.

(٤) توجد أمثلة فى صفحات ٥٣، ٦٠، ٦١، ٦٨، ٩٧، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٧، ١٢٦، ١٣٨، ١٥٢، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٧، ١٧٥، ١٧٩، ٢٠٦، ٢٢٦، ٢٤٠، ٢٥٠، ٣٠٨، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٨٤، ٣٩٠، ٤٠٧، ٤٢١، ٤٣٤، ٤٤٣.

(٥) الإشارات: ص ٢٤٠.

(٦) الإشارات: ص ١٢٦.

"... صرختُ مستغيثاً وقلت: فما حلية مَنْ إنْ أدنيته أبليته ، وإنْ أخفيتَه جَلَّيته ، وإنْ عريته حَلَّيته، وإنْ واريته أريته، وإنْ سكَّنته هيَّجته ، وإنْ قيدته أمرجته، وإنْ آوَيْته أزعجته، وإنْ أردته أدرجته، وإنْ مقَّته استدرجته، وإنْ أرويته أعطشته، وإنْ تراءيت له أدهشته، وإنْ أحوجته خيَّبتَه وإنْ أطلعتَه غيَّبتَه، وإنْ استدعيته سيَّبتَه، وإنْ حرَّكته وقفته، وإنْ سترته كَشَفْتَه، وإنْ أمنتَه خوَّفْتَه، وإنْ حرَّمتَه أسعفتَه، وإنْ سلَّيتَه شغفتَه، وإنْ أتحتَه أتلفتَه، وإنْ أتلفتَه شَرَّفْتَه، فكل الذي منك به عجب، وكل الذي بى منك شجب ولا غير له، فما هذا الخبر، وليس غيره فهل من أثر؟"^(١).

نلاحظ أن جملة مقول القول حوت مضافاً إليه اسماً موصولاً "من" يحتاج إلى جملة صلة لتزيل إبهامه فكانت الجملة الشرطية "إنْ أدنيته أبليته"، ثم طالت الجملة بعطف عدد كبير من جمل الشرط على جملة صلة الموصول، فكانت بمثابة سيل من الحالات المتوالية المتناقضة.

ومن جمل مقول القول التى حوت تراكيب مستقلة تراوح الربط بينها بالربط السياقى وبالربط اللفظى قوله:

"وقال آخر: ياتجار الآخرة أبشروا بالأرباح الفاخرة ، لا تمهر الدنيا دينك ، فإن من مهر الدنيا دينه، زُفْتُ إليه بالندم والسقم والألم"^(٢).

ويقول فى موضع آخر حيث تلاحقت التراكيب الاستفهامية، وربط بينها ربطاً سياقياً؛ فطالت جملة مقول القول :

"قل: متى كان الليل مطيتك بالتهجد ؟، متى كان النهار متصرفك بالترهد ؟، متى كانت ساعاتك مشغولة بالتفرد ؟، متى كانت حركاتك مقصورة على التعبد ؟، متى"^(٣).

وقد تأتى جملة مقول القول مجموعة من أبيات شعرية من إنشائه كما فى قوله ".... أيام كنت أهيـم فى كل شعب، وأنتسب إلى كل قبيلة، وأنتصب لكل فضيلة، وأبرأ من كل رذيلة، وأقول للحجر ذب، فأرى بأنه قد ذاب، وأقول للبحر: امدد، فأظن أنه استجاب، أيام أقول:

يا معيرى طول الضنا والسقام	ما ترانى أهلا لرد السلام
جد بوعد إذ مطلّت دهورا	فلعل الميعاد يشفى سقامى ^(١)

(١) الإشارات: ص ٦٠ ، ص ٦١ .

(٢) الإشارات: ص ٢٤٠ .

(٣) الإشارات: ص ٣٠٨ .

(١) الإشارات: ص ٣٢٥ .

تعاقب الجملة التى تقع حالا:

يقع الحال مفردا كما يقع جملة تعاقب المفرد وتحل محله، فجملة الحال هى ثانى الجمل التى لها محل من الإعراب عند ابن هشام^(٢).

وقد وردت الحال جملة فى مواضع شتى من "الإشارات"، فقد وردت على صورة التركيب :
واو الحال + مبتدأ + خبر مفرد كما فى قوله :

"كتبت إليك والربيع مطل"^(٣).

وقوله أيضا:

"... وندائى على نفسى بالتمام وأنا عين النقصان"^(٤).

ويقول أيضا، إذ لم يعد هناك ثبات لقيمة:

"لا سرَّ إلا وهو متهم ، ولا قائل إلا وهو متوهم..."^(٥).

ووردت جملة الحال الاسمية وقد فصل بين المبتدأ والخبر فاصل فجاء التركيب على صورة : واو الحال + مبتدأ + جار ومجرور + خبر .

يقول عن خفاء حكمة الله : " يمنع وهو فى منعه مُعْطٍ"^(٦).

ووردت جملة الحال الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر المفرد وقد سدت مسد الخبر فى الجملة الكبرى كما فى قوله:

"وأُمسّت الدنيا وحلوها مر"^(٧).

ووردت جملة الحال الاسمية وخبرها محذوف وقد تعلق به شبه الجملة فجاء تركيب الحال على صورة: واو الحال + مبتدأ + شبه جملة متعلق بالخبر المحذوف. كما فى قوله:

^(٢) انظر المغنى للبيب: ج ٢ ، ص ٤١٠.

^(٣) الإشارات: ص ٣٢٣ ، توجد أمثلة كثيرة لهذا النمط كما فى صفحات ٣ ، ٤ ، ٢٠ ، ٢٦ ، ٤٧ ، ٨٥ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٤٨ ، ١٤٥ ، ١٧٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢٤٥ ، ٢٩٢ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٨ ، ٣٨٩ ، ٤٠٣ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٦ ، ٤٦١.

^(٤) الإشارات: ص ١٩٣.

^(٥) الإشارات: ص ٢٣ . نلاحظ ورود صاحبي الحالين "سر" و "قائل" نكرة وذلك لأنهما سبقا بنفى وهذه حالة تسوغ مجيء صاحب الحال نكرة. شرح ابن عقيل، ج ٢ ، ص ٢٦٠ ، ص ٢٦١ . توجد أمثلة لهذا النمط فى صفحات ١٤ ، ١٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٤٧ ، ٧١ ، ٢٠٣ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٦٤ ، ٣٥٨ ، ٤٠٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٣ ، ٤٥١ ، ٤٥٢.

^(٦) الإشارات: ص ٣٥١.

^(٧) الإشارات: ص ٣٢٢.

"أيها الهائم الملتاح^(١) كم تتلدد^(٢) وربك بين يديك!، أيها الواعظ المدل كم تهدي وأنت في واد من حقيقة وعظك!"^(٣).

وورد خبر جملة الحال الاسمية جملة فعلية مثل قوله:

"هذا نبأك وأنت تشمخ بأنفك"^(٤).

فجاء تركيب الحال على صورة: واو الحال + مبتدأ + فعل مضارع + فاعل ضمير مستتر والجملة من الفعل والفاعل خبر المبتدأ والجملة من المبتدأ وجملة الخبر حال + جار و مجرور متعلق بفعل جملة الخبر.

ويقول في موضع آخر مثنيا على الله :

"فمن ذا ينعتك وأنت تفوت النعت"^(٥).

التركيب: الواو للحال + مبتدأ + خبر جملة فعلية (تفوت) والجملة من المبتدأ والخبر الجملة حال + مفعول به.

وجاءت الحال جملة اسمية متضمنة داخلها جملة اسمية أخرى مبتدؤها مصدر مؤول وذلك في قوله موبخا:

"إلى متى تُدبر وأنت عندك أنك مقبل؟، وإلى متى تُصم وأنت في حسابك أنك تسمع؟....."^(٦).

فأتى تركيب الحال في كل جملة على صورة : واو الحال + مبتدأ + شبه جملة مقدم متعلق بخبر محذوف + حرف ناسخ + ضمير متصل اسم الناسخ + خبر الناسخ (مفرد في الجملة الأولى وجملة فعلية في الجملة الثانية "تسمع")، والمصدر المؤول من الحرف الناسخ (أنّ) ومعموليّه مبتدأ مؤخر والجملة من المبتدأ المؤخر وشبه الجملة المتعلق بالخبر المحذوف خبر للمبتدأ "أنت". والجملة من المبتدأ "أنت" وخبرها (السابق توضيحه) حال.

ووردت الحال جملة اسمية مبدوءة بناسخ في مواضع قليلة. يقول التوحيدى:

(١) رجل لاتح ولتّاح ولتّح ولتّحه إذا كان عاقلا داهية، وقوم لتّاح هم العقلاء من الرجال الدهاة. لسان العرب، ج٥، مادة لتّح.

(٢) تلدد: تلفت يمينا وشمالا تحير متبلدا متلبثا. لسان العرب، ج٥، مادة لدد.

(٣) الإشارات: ص ١٧٧.

(٤) الإشارات، ص ٢٨٩.

(٥) الإشارات: ص ٢٤٥. توجد أمثلة أخرى في صفحات ٧٦، ١٥٨، ١٧٧، ٢٠٧، ٢٢٩، ٢٥٤، ٢٨٩، ٣١١،

٣٣٦، ٣٥٤، ٣٦٦، ٤١١، ٤٢١، ٤٢٢.

(٦) الإشارات: ص ١١٨.

"إلى متى نشكو إلى خلقه وليس لنا معاذ إلا إليه"^(١).

وقد وردت جملة الحال الاسمية المبدوءة بناسخ سادة مسد الخبر في الجملة الكبرى حيث سدت مسد خبر أصبح في قوله:

"فقد أصبح الدين وما لمنهجه سالك"^(٢).

ووردت الحال الجملة الاسمية مبدوءة بـ "لا النافية للجنس" التي تعمل عمل إن، يقول التوحیدی:

"إلى متى نشرده عنه (أى عن الله) ولا قوام لنا إلا به"^(٣).

تلك كانت أنماط الحال التي وقعت جملة اسمية.

أما عن ورودها جملة فعلية، فقد جاءت الحال جملة فعلية، فعلها مضارع مثبت والرباط الضمير الذى فى الفعل، كما فى قوله:

"فقد بقيتُ بالعراء أرتاع لطنين الذبابة"^(٤).

وجاءت جملة فعلية فعلها مضارع منفى فكان الرباط الضمير فى الفعل دون الواو، وإن أجاز النحاة الربط بهما معا، وذلك من نحو قوله:

"فاعطف - رحمك الله - على شبح قد تحكم فيه البلوى، وأقام بين الحياة والردى لا يذوق أحدهما على تمامه"^(٥).

وجاءت الحال جملة فعلية فعلها ماض مثبت مسبوق بأداة التحقيق "قد"، والرباط "الواو"، والضمير الذى فى الفعل كما فى قوله:

"أيها العامل المكدود كم تغتر وقد أحبط رؤياك عمالك عليك!"^(٦).

ووردت الحال جملة فعلية فعلها ماض مثبت بعد "إلا" مسبوقة بقدر كما فى قوله:

"يا هذا: إن الحق ما نبهك على هذه الغوامض إلا وقد قدسك عن سائر العوارض"^(٧).

(١) الإشارات: ص ٢٠. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ١٠٤، ١٩٩، ٣٢٤، ٣٥٦، ٤٤٤.

(٢) الإشارات: ص ٣٢٢.

(٣) الإشارات: ص ٢٠.

(٤) الإشارات: ص ٢٩. توجد أمثلة أخرى لهذا النمط كما فى صفحتى ٤٢، ١٤٤.

(٥) الإشارات: ص ٧٧. وصاحب الحال هنا الضمير المستتر فى الفعل "أقام".

(٦) الإشارات، ص ١٧٧. توجد أمثلة فى صفحات ٥١، ٥٢، ٥٥، ٢١١، ٢٢٥، ٣١٢، ٣٣٤، ٣٦٢، ٤١١.

(٧) الإشارات، ص ٢٠٧.

ربط التوحيدي بالواو المقترنة بـ قد^(٢) إرادة توكيد المعنى إذ يقتضيه السياق.

وقد وردت الحال جملة فعلية فعلها ماض مسبوق "بـ قد" للتحقيق والتأكيد والرابط هو حرف الواو وقد سدت جملة الحال الفعلية مسد خبر الناسخ في الجملة الكبرى وذلك في قوله:
"... فكأنك وقد رأيت مساءك صباحا"^(٣).

فجاء تركيب الحال على صورة: واو الحال + حرف تحقيق "قد" + فعل ماض متعد لمفعولين + فاعل ضمير متصل + مفعول به أول + مفعول به ثان والجملة من الفعل والمفعولين حال سد مسد خبر الناسخ.

نلاحظ ميل التوحيدي إلى استخدام الحال جملة اسمية للدلالة على الثبات وعدم التحول اللذين اتضحا كثيرا من خلال تصويره لعدم ارعواء الإنسان العاصي.

^(٢) الرابط في هذا النمط الواو مقترنة بحرف التحقيق "قد" في حين أنه ورد في حاشية الخضري امتناع ربط جملة الحال بصاحبها بالواو ، ومن ثم بـ "قد" في تلك الحالة ، يقول معددا المواضع التي ينتفى فيها اقتران جملة الحال بالواو "... والجملة التالية "إلا" اسمية كانت كـ "ما ضربت أحدا إلا زيد خير منه"، أو ماضوية كـ "ما تكلم زيد إلا قال حقا" وقوله تعالى وما يأتيهم من رسول إلا كانوا... إلخ. وشذ قوله :

نعم امرأ هرم ولم تعر نائبة إلا وكان لمرتاع بها وزرا

ثم قال بعد ذلك: "إذ أجاز آخرون اقتران الواو بـ قد" في تلك الحالة، وقيل غير شاذ". حاشية الخضري ج ١،

ص ٢٢٠، ص ٢٢١.

^(٣) الإشارات: ص ٣٦٢.

الجملة الواقعة نعتاً:

يتجاوز التوحيدي النعت المفرد إلى النعت الجملة وما أكثر هذا عنده ؛ وهذا ما يجعل جملمته متماز بالطول فى مواضع شتى .
أولاً: الجملة الفعلية الواقعة نعتاً .
أ- الجملة الفعلية ذات الفعل اللازم:

ورد كثير من الجمل الفعلية التى وقعت نعتاً وجاء فعلها لازماً وقد ورد الفاعل فى قليل منها اسماً ظاهراً يلى الفعل مباشرة فجاء تركيبها على صورة:
فعل لازم + فاعل (اسم ظاهر)، وذلك من نحو قوله:
" ... حننْتُ حيناً ما ترعرع وليده" ^(١).

وقد يتقدم جار ومجرور التركيب السابق فيأتى على صورة: جار ومجرور + فعل لازم + فاعل (اسم ظاهر) من نحو قوله:
"يا هذا: تضرع إلى رب له خضعت الرقاب" ^(٢).

وقد يتوسط جار ومجرور المسند والمسند إليه الاسم الظاهر فيأتى تركيب النعت على صورة: فعل لازم + جار ومجرور + فعل اسم ظاهر، كما فى قوله:
"هى والله حال ذابت عليها الأكباد" ^(٣).

وقد يتعدد الجار والمجرور الذى يفصل بين عنصرى الجملة فيأتى التركيب على صورة:
حرف نفي + فعل لازم + جار ومجرور + جار ومجرور + فاعل اسم ظاهر، كما فى قوله:
" ... ورثت منه حسرة لا تقىء لى بها نعمة" ^(٤).

وقد ورد المسند إليه ضميراً مستتراً فجاء تركيب النعت على صورة: فعل لازم + فاعل ضمير مستتر فى كثير من المواضع، كما فى قوله:

(١) الإشارات: ص ٢٦ ، وتوجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ٣٠ ، ٣١ ، ١٥٥ ، ١٩٦ ، ٣٢٧ ، ٣٩٥ .

(٢) الإشارات: ص ١٦١ .

(٣) الإشارات: ص ٨٨ . توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ٢٠ ، ٣٦ ، ٤١ ، ١٨٦ ، ٢١٢ ، ٢٢٢ ، ٣٤٣ ، ٤١٣ ، ٣٥٩ .

(٤) الإشارات: ص ١٢٦ .

"... أفدى والله لساناً تلجلج بالاعتذار إلى الله"^(١).

وقد تحتوى الجملة الكبرى على تركيبى نعت كل منهما تابع لكلمة فى التركيب السابق عليه
فجمع بين التركيب: حرف تحقيق (قد) + فعل + فاعل + اسم ظاهر + مضاف إليه، وبين
التركيب: جار ومجرور مقدم + فعل + فاعل ضمير مستتر وذلك كما فى قوله:
"اسمع هينمة نفس قد طال نزاعها إلى وطن عنه صدرت آمنة مطمئنة"^(٢).

ب- الجملة الفعلية ذات الفعل المتعدى الواقعة نعتاً:-

تنقسم الجمل الفعلية ذات الفعل المتعدى بحسب موقع المفعول به من الفاعل إلى جمل ورد
فيها المفعول به اسماً ظاهراً محتفظاً برتبته بالنسبة إلى الفاعل فكان التركيب على صورة: فعل
(متعد) + فاعل ضمير مستتر + مفعول به (اسم ظاهر) كما فى قوله:
"... وماذا تغنى النائحة؟ وماذا تنفع الباكية؟ هل فى ذلك إلا تعب لا يرد نفعاً"^(٣).

وقد ورد المفعول به اسماً ظاهراً محتفظاً برتبته وقد تقدم عليه فى بعض المواضع:
- جار ومجرور من نحو قوله:

"وننظر إلى وجهك الكريم نظراً يوجب لنا رضاك عنا"^(٤).

التركيب النعتى: فعل متعد + فاعل ضمير مستتر + جار ومجرور + مفعول به + مضاف إليه
ضمير متصل + جار ومجرور.
- ظرف من مثل قوله:

"... وبعلىنى ثنية أتمنى دونها معانقة الحمام"^(٥).

التركيب النعتى: فعل متعد + فاعل ضمير مستتر + ظرف + مضاف إليه + مفعول به + مضاف
إليه اسم ظاهر.

(١) الإشارات: ص ١١٤ ، توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ٢٦ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٨ ، ١١٤ ،
١٢٦ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٥٨ ، ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٩٣ ، ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ ،
٣١٧ ، ٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٠ ، ٣٨٤ ،
٣٨٦ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٨ ، ٤٢٨ ، ٤٢٢ ، ٤٣١ ، ٤٣٦ ، ٤٤٩ .

(٢) الإشارات: ص ٢٠٢ .

(٣) الإشارات: ص ٧٧ . توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ٢٦ ، ٤٥ ، ٦٠ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٨٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،
١٨٩ ، ٢٢٢ ، ٢٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٩ ، ٣٩٥ ، ٤٣٠ ، ٤٣٦ ،
٤٤٠ ، ٤٤١ .

(٤) الإشارات: ص ٨٠ . توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ١٦٣ ، ٢٩٥ ، ٣٦٨ .

(٥) الإشارات: ص ٣٨٩ .

ويأتى المفعول به المحتفظ برتبته ضميراً متصلاً كما فى قوله:

"حدّثونى عن معنى يزعجنى"^(١).

التركيب النعتى: فعل متعد + فاعل ضمير مستتر + مفعول به ضمير متصل.

وقد يتعدى فعل الجملة النعتية إلى مفعولين مثل قوله:

"سمعت ترنيماً ينسيك كل ما تقدم"^(٢).

التركيب النعتى: فعل متعد لمفعولين + فاعل ضمير مستتر + مفعول به أول ضمير متصل + مفعول به ثان اسم ظاهر.

وقد ورد المفعول به فى التركيب النعتى اسماً ظاهراً متقدماً على الفاعل الاسم الظاهر فى موضع واحد فى قوله:

"فإن لله أسراراً فى غيوبه وغيوباً فى أسرارهِ لم يلج غوامضها بشر"^(٣).

التركيب النعتى: أداة نفى + فعل + مفعول به مقدم اسم ظاهر + مضاف إليه ضمير متصل + فاعل اسم ظاهر.

بينما ورد المفعول به ضميراً متصلاً متقدماً على الفاعل فى مواضع متعددة منها قوله:

"هذا وصف رجل لحقته الغربة"^(٤).

التركيب النعتى: فعل + مفعول به مقدم ضمير متصل + فاعل اسم ظاهر. وقوله:

"فإنه ميراث أنس ووليد مودة أنشأهما فضل قد وحدك الله به"^(٥).

التركيب النعتى : أداة تحقيق + فعل + مفعول به مقدم + ضمير متصل + فاعل اسم ظاهر.

(١) الإشارات: ص ٣٤٣. توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ٣١، ٣٤، ٣٦، ٨٥، ١٦٣، ١٦٩، ١٧٩، ١٨٥، ١٩٣، ٢١٣، ٣١٤، ٣٢٧، ٣٤٣، ٣٦٤، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣١٤، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١٤، ٤٢٧.

(٢) الإشارات: ص ١٧٩. توجد أمثلة أخرى فى ص ٧٢، ٣١٨، ٣١٩، ٣٥٩، ٣٨٩.

(٣) الإشارات: ص ٤٢٣.

(٤) الإشارات: ص ٨٢. كذلك توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات: ١، ١٥٩، ١٩٥، ٢١٣، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٣٢، ٣٧١، ٣٥٩، ٣٧٨، ٣٨٩، ٤١٣، ٤٣٢.

(٥) الإشارات: ص ١٩٥.

ج- الجملة الفعلية ذات الفعل المبني لغير فاعله الواقعة نعتاً:

ورد النعت في بعض المواضع جملة فعلية فعلها مبني لغير فاعله فأخذ المفعول به موضع الفاعل، كما في قوله في سياق يدل على الشدة:

"أنا والله في أمر لا يُنادى وليده"^(١).

فجاء التركيب النعتي على صورة: أداة نفى + فعل مبني لغير فاعله + نائب فاعل اسم ظاهر + مضاف إليه ضمير متصل .

وورد نائب الفاعل ضميراً مستتراً كما في قوله:

"قَدَّائِي من دوائِي وَعَلَّتِي من طيبِي، وبَلَّائِي من نعيمِي، وفَنَائِي من حبيبِي، وهذا لأنِّي فزعتُ من ظاهر قد حُشي بالشرور إلى باطن قد غُشي بالغرور"^(٢).

فجاء التركيب النعتي على صورة: حرف تحقيق + فعل مبني لغير فاعله + نائب فاعل ضمير مستتر + جار ومجرور .

- الجملة الفعلية التركيبية الواقعة نعتاً:

وردت الجملة الشرطية نعتاً، وقد جاء التركيب غير المستقل مرتبطاً بالتركيب المستقل إما بأداة ربط مفردة مثل إن، كلما، متى، مَنْ، إذا، أو بأداة ربط مركبة مثل ما + ... إلا ، لا + ... إلا .

ومن الربط بأداة مفردة في الجملة الشرطية التي وقعت نعتاً قوله:

"هل رأيت عرفاً كلما سكن نبض؟، وهل رأيت ناراً كلما أطفئت اشتعلت؟"^(٣).

التركيب النعتي: أداة ربط مفردة + تركيب غير مستقل (جملة فعل الشرط) + تركيب مستقل (جملة جواب الشرط).

وقوله:

"هي والله حال مَنْ ذاقها عرف"^(٤).

(١) الإشارات: ص ١٢٢. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ٣٠، ٧٢، ٨١، ١١٤، ٢٢٢، ٣٦٦، ٤٤١.

(٢) الإشارات: ص ٥٥. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ٦٣، ١٥٧، ٣٥٨، ٣٤٠، ٣٦٥، ٣٦٧، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤١٦، ٤١٨، ٤٤١.

(٣) الإشارات: ص ٢٣. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ١٢، ٣٦، ٣٤، ١٤، ٥٤، ٥٥، ٧٣، ٨٨، ١٣٢، ٢٩٣، ٣٠٢، ٣٠٤، ٣٥٩، ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٩٣، ٤٥٤.

(٤) الإشارات: ص ٨٨.

ومثل الربط بأداة ربط مركبة قوله:

"... كنفٌ، ما أوى إليه أحد إلا وجد أماناً من البؤس"^(١).

التركيب النعتي: ما + تركيب غير مستقل + إلا + تركيب مستقل.

وقوله:

"يا هذا: قد اخترط الحق لساناً لا يمر بصدع إلا شعبه"^(٢).

التركيب النعتي: لا + تركيب غير مستقل + إلا + تركيب مستقل.

ثانياً: الجملة الاسمية الواقعة نعتاً:

كان ورود الجمل الاسمية الواقعة نعتاً أقل بالمقارنة إلى ورود الجمل الفعلية الواقعة نعتاً.

أ- الجملة الاسمية الواقعة نعتاً الخالية من الناسخ :

تتألف الجمل الاسمية من مبتدأ وخبر قد يجيء مفرداً أو يجيء جملة.

- الجملة الاسمية الواقعة نعتاً الخالية من الناسخ ذات الخبر المفرد:

جاء منها ما هو على صورة التركيب: مبتدأ + خبر + مضاف إليه (اسم ظاهر) +

مضاف إليه (ضمير متصل) كما في قوله:

"وهيجك إلى حظ هو غاية أمانيك، وقلّدتك ملكاً هو نهاية آمالك"^(٣).

وقد جاء على صورة: مبتدأ + خبر + جار ومجرور كما في قوله:

"...وننتهady النصح بها على طريقة هي أولى بنا"^(٤).

وعلى صورة التركيب: مبتدأ + مضاف إليه + خبر كما في قوله:

"وأخلص إلى حرم ساكنه مطمئن"^(٥).

وعلى صورة التركيب: مبتدأ + مضاف إليه + جار ومجرور + خبر. كما في قوله:

(١) الإشارات: ص ٤٥.

(٢) الإشارات: ص ٩.

(٣) الإشارات: ص ٣٦.

(٤) الإشارات: ص ٢٣٦.

(٥) الإشارات: ص ٢٧٨.

"هذا لسان بحر البلغاء فيه نقطة"^(١).

وعلى صورة التركيب: مبتدأ + ظرف + خبر كما فى قوله:

"... إلى حد أنت الآن مفارقة"^(٢).

وقد يتعدد الجار والمجرور الذى يفصل بين المسند إليه والمسند، فيأتى التركيب على صورة: مبتدأ

+ جار ومجرور + جار ومجرور + مضاف إليه ضمير متصل + خبر. كما فى قوله:

"عجبنى من مشاهد الفرج بها مع رؤيتها مضمحل"^(٣).

- الجمل الاسمية الواقعة نعتاً الخالية من الناسخ ذات الخبر الجملة:

ورد خبر جملة النعت الاسمية الخالية من الناسخ جملة فعلية فى موضعين اثنين، وقد جاء

أحد التركيبين على صورة: مبتدأ + (فعل + فاعل ضمير مستتر + مفعول به ضمير متصل) خبر جملة فعلية. فى قوله:

"البلاء أجمع من باب أنا أفتحه"^(٤).

وجاء التركيب الآخر على صورة: مبتدأ + مضاف إليه ضمير متصل + (أداة نفى + فعل + فاعل

ضمير مستتر) خبر جملة فعلية. فى قوله:

"كتابى إليك عن شوق ملاهبه لا تخدم"^(٥).

(١) الإشارات: ص ٣٩٥.

(٢) الإشارات: ص ٤٢١.

(٣) الإشارات: ص ٢٢٢.

(٤) الإشارات: ص ١٩٣.

(٥) الإشارات: ص ٤٤١.

ب- الجملة الاسمية الواقعة نعتاً المصدرة بناسخ:

تصدرت بعض الجمل الاسمية الواقعة نعتاً بأفعال ناسخة متنوعة، وهى من عناصر الزيادة فى الجملة، وسوف أقسمها على حسب نوع الخبر إلى:

-جمل نعتية اسمية مصدرة بفعل ناسخ خبره مفرد:

أتت على صورة التركيب: فعل ناسخ + اسم الفعل الناسخ (ضمير مستتر) + خبر مفرد كما فى قوله:

"... بل أذى والله قلباً ما يزال خافقاً" ^(١).

وقد يأتى التركيب النعتى الذى يحوى خبر الفعل الناسخ المفرد على صورة:

فعل ناسخ + اسم الفعل الناسخ (ضمير مستتر) + جار ومجرور + خبر مفرد كما فى قوله: "وإذا تناهيت فى الصفاء فخف من حال تكون بها مستدرجاً" ^(٢).

-جمل نعتية اسمية مصدرة بفعل ناسخ خبره جملة فعلية.

جاء التركيب على صورة: فعل ناسخ + اسم الفعل الناسخ ظاهر + جار ومجرور + خبر جملة فعلية (فعل + فاعل ضمير مستتر)، كما فى قوله: "... بل سلام على مصافحة كانت الكبد بها تذوب" ^(٣).

وعلى صورة: فعل ناسخ + اسم الفعل الناسخ (ضمير متصل) + الخبر جملة فعلية (فعل + فاعل ضمير مستتر) كما فى قوله:

"... ثم الاطلاع على نعيم كنا نتهالك ها هنا بشبائه لا بحقائقه" ^(٤).

وورد على صورة: فعل ناسخ + اسم الفعل الناسخ (ضمير مستتر) + جار ومجرور + خبر جملة فعلية (فعل + فاعل ضمير مستتر) + جار ومجرور، كما فى قوله: "ورثت منه شوقا يقلع الكبد والفؤاد... وصباية أكاد من رقتها أطير إليك" ^(٥).

(١) الإشارات: ص ١١٤.

(٢) الإشارات: ص ٤٢٣.

(٣) الإشارات: ص ١٤١.

(٤) الإشارات: ص ١٧٣.

(٥) الإشارات: ص ٣٨٩.

-جمل نعتية اسمية مصدرية بفعل ناسخ خبره جملة تركيبية شرطية:

جاء تركيب النعت على صورة: فعل ناسخ + اسم ضمير متصل + خبر جملة شرطية.
كما فى قوله:

"يا هذا: خلت العِراض من ناس كانوا إذا تنفسوا أحرقوا الحجب بينهم وبين الله" (١).

- جمل نعتية اسمية مصدرية بحرف ناسخ:

دخل الحرف الناسخ "كأن" على ذلك النوع من الجمل فى موضع واحد وقد أخذ صورة التركيب: حرف ناسخ + اسم الحرف الناسخ (ضمير متصل) + خبر مفرد فى قوله:
"كَبُرَ قد سد طرفى وحرمان كأنه حليفى" (٢).

تصدرت "لا" النافية للجنس كثيرا من الجمل الاسمية التى وقعت نعتاً، وقد ورد خبر لا النافية للجنس فى جميع المواضع محذوفاً وجوباً، وورد اسمها مفرداً وذلك كما فى قوله:
"وفزت بنعيم لا نفاذ له" (٣).

فجاء تركيب النعت على صورة: حرف ناسخ يعمل عمل إنَّ + اسم الناسخ + شبه جملة متعلق بالاسم، والخبر محذوف وجوباً.

(١) الإشارات: ص ٩٥.

(٢) الإشارات: ص ١٩٣.

(٣) الإشارات: ص ١٠٣ ، توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ٦ ، ٨ ، ١٦ ، ٤٥ ، ٨١ ، ١٥٩ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٥٨ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٩ ، ٣٨٢ ، ٣٨٩ ، ٤٠٨ ، ٤٤١ .

المضاف إليه الجملة:

من الجمل التي تقع موقع المفرد وتحل محله جملة المضاف إليه حيث تؤول بالمفرد.

وقد ورد المضاف إليه جملة بعد ظرف الزمان "إذا" وهي ظرف للزمان المستقبل تفيد الشرط وإضافتها إلى الجملة واجب حيث إنها من العوامل اللفظية التي تضاف إلى الجمل كما حددها ابن هشام^(١).

ولا تضاف "إذا" إلا إلى جملة فعلية كقولنا "أتيتك إذا قام زيد" ولا تضاف إلى الجملة الاسمية فلا نقول "أجيتك إذا زيد قائم" وما "أجيتك إذا زيد قام" فزيد مرفوع بفعل محذوف يفسره الفعل الذي بعده وليس مرفوعا على الابتداء^(٢).

وقد وردت "إذا" مضافة إلى الجملة الفعلية في كثير من المواضع في "الإشارات" من مثل قوله:

"أيها المسترق للسمع إذا سمعتني أدعو الله فثق بحسن ظني به، وإذا رأيتني أدعوك إليه، فثق بخالص نصحي لك، وإذا وجدتني أذكر الله فاعلم بأنني أريد به التقرب إليه..."^(٣).

فورد تركيب جملة المضاف إليه: فعل + فاعل ضمير متصل + مفعول به ضمير متصل.

وجاء المضاف إليه جملة محل المفرد بعد ظرف المكان "حيث" وإضافتها إلى الجملة واجب فتضاف إلى الجملة الاسمية، نحو "أجلس حيث زيد جالس" وتضاف أيضا إلى الجملة الفعلية نحو "أجلس حيث جلس أو يجلس زيد"^(٤).

يقول التوحيدي :

"فهلهم - عافك الله - إلى حضرة العز وبساط الكرامة ... وساحة الإلهية وبحبوحة الربوبية حيث الكون بما فيه عدم"^(٥).

(١) مغنى اللبيب ، ج١ ، ص ٩٣ .

(٢) شرح ابن عقيل ج١ ، ص ٥٧ ، ص ٦١ .

(٣) الإشارات: ص ١١٦ توجد أمثلة أخرى في صفحات ١٤ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ٦٥ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٦ ، ١٠٧ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٤١ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٨٧ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢١٢ ، ٢٢٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٦٥ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١٨ ، ٣٣٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٧٠ ، ٤٠٩ ، ٤١٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٦ ، ٤٤٣ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ .

(٤) شرح ابن عقيل ج١ ، ص ٥٥ ، ص ٥٦ .

(٥) الإشارات: ص ٢٤٩ . توجد أمثلة أخرى في صفحات ٢٠٩ ، ٣٧٩ ، ٤٣٨ .

فقد أضيف ظرف المكان "حيث" إلى جملة اسمية مكونة من مسند إليه "الكون" ومسند "عدم"، وجاء تركيب جملة المضاف إليه على صورة: مبتدأ + جار ومجرور + جار ومجرور + خبر. وقوله أيضاً:

"آه من أنفاس تتحقق بأسرار الحق فى عرصات الغيب على بسط التملل حيث ليس للعبارة فيه نصيب"^(١).

فأضيفت "حيث" إلى جملة اسمية مبدوءة بناسخ، وجاء تركيب جملة المضاف إليه على صورة: فعل ناسخ يعمل عمل كان + شبه جملة مقدم وجوباً متعلق بالخبر المحذوف + جار ومجرور + اسم الناسخ مؤخر.

وقد أضيف "حيث" إلى جملة فعلية كما فى قوله:

"..... فإننى من حيث أناديك مجاب، وأنت من حيث تجيب منادٍ"^(٢).

فجاء تركيب جملة المضاف إليه الأولى على صورة: فعل + فاعل ضمير مستتر + مفعول به ضمير متصل. وجاء تركيب جملة المضاف إليه الثانية على صورة: فعل + فاعل ضمير مستتر.

وورد المضاف إليه جملة بعد ظرف الزمان المبهم "إذ" وهى من ظروف الزمان الدال على الماضى ، التى يجب إضافتها إلى جملة، وتضاف إلى الجملة الفعلية ذات الفعل الماضى نحو جئتك إذ قام زيد "وتضاف أيضاً إلى الجملة الاسمية نحو جئتك إذ زيد قائم"^(٣) وهى ظرف للزمان الماضى المبهم وتعنى زمن أو وقت أو حين"^(٤).

وقد وردت "إذ" مضافة إلى الجملة الفعلية فى قوله:

"فيا أحبائى: ما فى القليل الذى نُبأتُ به عنكم ما يرعى ذمامى عندكم... ويعطف علىّ أبىكم... ويكتب اسمى فى عامة حشمكم إذ لم يُكتب فى خاصة خدمكم"^(٥).

(١) الإشارات: ص ٢٠٦. توجد مثل آخر ص ٢٦٩.

(٢) الإشارات: ص ١٢٠. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ١٨٧، ٢٤٤، ٢٦٩، ٣٠٤، ٣٥٩، ٣٨٢، ٣٩٢.

(٣) شرح ابن عقيل، ج ١، ص ٥٧.

(٤) مغنى اللبيب، ج ٢، ص ٤١٩.

(٥) الإشارات: ص ٢٩. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٣٨٣ إذ أضيفت إلى جملة اسمية، ٢٤٩، ٢٨٤، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٨٤.

فقد وردت الجملة الفعلية فعلها مضارع منفى دالا على الزمن الماضى، وإذا ورد الفعل المضارع مثبتا فإنه يكون مضارعا لفظا وليس معنى، ويكون ماضيا فى معناه ولو تأويلا لأن معناه يكون محقق الوقوع^(١).

وبأتى المضاف إليه جملة بعد "حين"، وهى اسم زمان تشبه "إذ" فى الدلالة على الزمان الماضى المبهم، وتكون إضافتها إلى الجمل جوازا وليس وجوبا بشرط دلالتها على الماضى فإذا دلت على غير الماضى، أو إذا خرجت عن إبهامها وتحددت تعامل معاملة "إذا" فلا تضاف إلى الجمل الاسمية^(٢).

وقد وردت "حين" مضافة إلى الجملة الفعلية الدالة على الماضى فى قول التوحيدى:
"... فَإِنَّا نَسْأَلُكَ (أَيُّ اللَّهِ) أَنْ تَكْفِينَا مَوْئِنَهُ خَلْقَكَ فَقَدْ صَدَدْنَا عَنْ سَبِيلِكَ ... لِأَنَّا ذَكَرْنَاكَ حِينَ نَسُوكَ، وَقَرَعْنَا بَابَكَ حِينَ لَانُوا بِبَابِ غَيْرِكَ"^(٣)

ومن أسماء الزمان التى تضاف إليها الجملة "لَمَّا" الظرفية وتسمى "لما" الحينية لأنها بمعنى "حين" عند من قالوا باسميتها^(٤). وقال ابن مالك إنها بمعنى "إذ" لأنها مختصة بالماضى، وبالإضافة إلى الجملة. ويقال إنها حرف وجود لوجود؛ إذ تقتضى جملتين وُجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما أى أنها تتضمن معنى الشرط فى وجه من وجوهها^(٥). يقول التوحيدى:
"..... وَلَمَّا قِيلَ لَكَ: اتَّقِ اللَّهَ، أَخَذْتُكَ الْعِزَّةَ بِالْإِثْمِ"^(٦).

حيث وردت "لما" حرف شرط أضيف إلى جملة الشرط "قيل لك..." وترتب عليها جواب الشرط "أخذتك..."

عمد التوحيدى إلى استخدام الجمل التى يمكن أن يحل محلها اللفظ المفرد فى كثير من المواضع حيث إن هذه الجمل، بوصفها فعلية، تدل على الحدث الذى يدل عليه المفرد، مضافا إلى

(١) معنى اللبيب ج٢، ص ٤١٩. كذلك النحو الوافى، ج٣، ص ٨١ هامش ٢.

(٢) شرح ابن عقيل، ج٣، ص ٥٧، ص ٥٨.

(٣) الإشارات: ص ٢٩٨. توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ٨٢، ١٠٥، ١٨٧، ٣٠٦، ٣١٧.

(٤) معنى اللبيب، ج٢، ص ٤١٩.

(٥) معنى اللبيب، ج١، ص ٢٨٠.

(٦) الإشارات: ص ٨٦. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٤٢، ٥٢، ٢٤، ١٤٩، ١٦٣، ٣٢٦، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٨٢، ٣٨٥، ٤٣٩.

ذلك الدلالة على الزمن، أما إذا كانت الجمل، بوصفها اسمية، فإنها تدل على الحدث مرتبطا بالثبات الذي يتميز به الاسم^(١) وكل دلالة من تلك الدلالات تتناسب وسياقها، وتوفر للكاتب مجالا رحبا للتعبير عن المعنى المراد.

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٧٤، ص ١٧٥.

المبحث السادس

اتساع الجملة بالترتب:

المقصود بالترتب هو "توقف جملة على أخرى واحتياجها إليها وتعليق حكم مفهوم من جملة على حكم آخر سواء أكان عن طريق أداة - غير أدوات العطف - تربط بينهما وتجعل الأولى شرطاً في حدوث الثانية أم لم يكن عن طريق أداة مستقلة، بحيث يكون ذلك متوقفاً على دلالة الجملة الأولى على الطلب الذى يترتب عليه ما بعده ويتسبب عنه. واحتياج الجملة الأولى إلى الثانية وتوقف الثانية على الأولى يؤدي إلى طول الجملة وتعقيد تركيبها^(١).

ويتضح هذا النوع من الطول فى:

أ- الجملة الشرطية، وأجزاؤها: أداة الشرط (رابطة)، جملة (تركيب) فعل الشرط، وجملة (تركيب) جواب الشرط.

ب- الجملة الفعلية التى يقع فعلها مجزوماً فى جواب الطلب، مثل قوله تعالى: "ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ" (سورة الحجر: من الآية ٣)^(٢).

ج- الفعل المضارع المنصوب بعد فاء السببية الجوابية، وواو المعية على إضمار أن وجوباً فى جواب نفى محض كما فى قوله تعالى: "لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا" (سورة فاطر: من الآية ٣٦).

وفى جواب طلب محض (الأمر - النهى - الدعاء) وغير محض (الاستفهام الحقيقى والبلاغى - العرض - التحضيض - التمنى - الترجى)، ومثال الفعل المضارع المنصوب بعد واو المعية بأن مضمره وجوباً قول الشاعر الأخطل.

لا تثنَ عن خُلق وتأتى مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيم^(٣)

د- جملة القسم حيث تحوى جملتين (تركيبين): جملة (تركيب) فعل القسم، جملة (تركيب) جواب القسم المترتبة عليها^(٤).

(١) بناء الجملة العربية ص ٧٧.

(٢) نفسه.

(٣) بناء الجملة العربية، ص ٧٨، ص ٧٥. كذلك النحو الوافى، ج ٤، ص ٣٥٢ وما بعدها، ص ٣٦٥ وما بعدها.

(٤) بناء الجملة العربية ص ٨٠.

وقد مثّل النوع الأول من طول الترتيب وهو الجملة الشرطية النوع السائد لهذه الوسيلة من الطول الذى يتم التعبير عن المعنى فيه بالجملة التركيبية المعقدة ثم يليه فى الشيع نوع الذى تمثله الجملة الفعلية الواقعة فى جواب الطلب وكان ورودها قليلا، ثم النوع الذى تمثله الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع المنصوب بعد فاء السببية الجوابية وواو المعية بأن مضمرة وجوبا بعد نفى محض أو طلب.

أ- الشرط (أو الجزاء)^(١)

وردت الجملة الشرطية فى الإشارات ورودا مثل ظاهرة وميلا لدى التوحيدى إلى التعبير عن أفكاره باستخدام الجملة التركيبية، وقد تعددت أنماط تلك الجملة؛ وهذا ما يستدعى التفصيل.

تتكون الجملة الشرطية من أداة الشرط التى تدل على معنى وظيفى عام ، بوصفها أداة، هو التعليق^(٢) ومن ثم الربط، فهى تفيد التعليق والربط الشرطيين حيث تتعلق إحدى الجملتين (جزأى الشرط) بالأخرى ويجعل جملة جواب الشرط مترتبة على جملة الشرط فلا يتحقق استقلال إحداها عن الأخرى، "فإذا وُجد الشرط وُجد الجزاء (الجواب) وإذا انعدم الشرط انعدم الجزاء (الجواب)، وليس فى عبارة الشرط نص على تحققها أو عدم تحققها وكل ما يدل عليه هو أنه يجوز أن يقع ويجوز ألا يقع ... فلا رجحان لأحدهما على الآخر"^(٣).

وقد أطلق مَنْ لم يرادف بين الجملة والكلام، مثل ابن هشام، مصطلح الجملة على كل من جزأى الجملة الشرطية الكبرى، وقد أوضحت ذلك سابقا، إذ الكلام أخص من الجملة "وشرطه الإفادة بخلافها ، ولهذا تسمعه يقولون جملة الشرط وجملة الجواب وجملة الصلة، وكل ذلك ليس مفيداً فليس بكلام"^(٤).

أما عند مَنْ ساوى بين مصطلحي الجملة والكلام، مثل ابن جنى، الذى ذهب إلى أن قولنا "قام زيد" كلام فإن قلت شارطا "إن قام زيد" فزدت عليه "إن" رجع بالزيادة إلى النقصان، فصار قولنا لا كلاما (وفى الوقت نفسه صار لا جملة إذ رادف بينهما). ألا تراه ناقصا ومنتظرا للتمام بجواب

(١) كما أطلق عليه سيبويه حيث جعل له بابا بعنوان "هذا باب الجزاء" ج٣، ص ٥٦ وما بعدها.

(٢) اللغة العربية، معناها ومبناها، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٧٩ ص ١٢٥.

(٣) فى النحو العربى، نقد وتوجيه: ص ٣٨٧.

(٤) مغنى اللبيب: ج٢، ص ٣٧٤.

الشرط"^(١)، فقد عبّر ابن جنى عن الجملة الناقصة المعنى فى الجملة الشرطية بالقول ولم يطلق عليها جملة لأن الجملة عنده هى "القول التام المفيد" مرادفة للكلام^(٢).

وقد ذهب الدكتور مهدى المخزومى إلى هذا الرأى، يقول: "الشرط أسلوب لغوى ينبئى بالتحليل على جزئين، الأول: منزل منزلة السبب، والثانى: منزل منزلة المسبب، يتحقق الثانى إذا تحقق الأول، وينعدم الثانى إذا انعدم الأول، لأن وجود الثانى معلق على وجود الأول، نحو: إن جاء خالد جئت... فالذهاب معلق فى وجوده على... مجيء خالد، فجملة الشرط إذن تتألف من عبارتين لا استقلال لإحدهما عن الأخرى. تسمى العبارة الأولى شرطا، وتسمى العبارة الثانية جوابا أو جزاء. وليست عبارة الشرط جملة... وإن تألفت فى ذاتها من مسند إليه ومسند لأنها على حدة لا تعبر عن فكرة تامة أيضا، وهذه الفكرة التامة إنما يعبر عنها بجملة الشرط التى تعتمد فى وجودها على الشرط والجواب جميعا"^(٣).

إذن فالجملة الشرطية مكونة من تركيبين، كل منهما يتوافر فيه عنصر الإسناد ويكون أحدهما (جملة الشرط) غير مستقل أى لا يصح السكوت عليه، إذ أصابته الزيادة (أداة الشرط) بالنقصان، كما قال ابن جنى، فلا تتم الفائدة به ولا تتكون فكرة تامة المعنى إلا من خلال "مجموع الجملتين"^(٤)، وقد شبه سيبويه احتياج جملة الشرط إلى جواب الشرط لتتضح الفائدة باحتياج المبتدأ للخبر^(٥). ويقول ابن هشام أثناء حديثه عن "إذا وخروجها عن الاستقبال"... أن الشرط والجزء عبارة عن جملتين تربط بينهما الأداة، وعلى قولهم تصوير الجملتان واحدة"^(٦).

وتعد جملة (تركيب) جواب الشرط فى أبسط صورها، بوصفها التركيب المستقل، جملة نواة ، وبعد دخول عناصر الزيادة فإنها تصبح جملة غير نواة خرجت بالجملة الأساسية إلى معنى الشرط.

(١) الخصائص: ج ١، ص ٢٠.

(٢) الخصائص: ج ١، ص ١٨.

(٣) فى النحو العربى: ص ٢٨٤. استخدم المخزومى مصطلح "العبارة" برغم أن العبارة phrase مجموعة من الكلمات المترابطة تعوزها علاقة الإسناد، أما كل من شقى الجملة الشرطية فيحوى علاقة إسنادية. Essentials of Grammar and Composition. P493.

(٤) دلائل الإعجاز: ص ٢٤٦.

(٥) الكتاب، ج ١، ص ٢٥٩.

(٦) مغنى اللبيب: ج ١، ص ٩٦.

الأنماط الشرطية فى الإشارات:

صنّف ابن عقيل الأنماط الشرطية بقوله: "إذا كان الشرط والجزاء جملتين فعليتين فيكون على أربعة أنحاء. الأول: أن يكون الفعلان ماضيين، نحو "إن قام زيد قام عمرو"... ومنه قوله تعالى: "إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ" (سورة الإسراء، من الآية ٧). والثانى: أن يكونا مضارعين، نحو "إن يقيم زيد يقيم عمرو" ومنه قوله تعالى: "وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ" (سورة البقرة، من الآية ٢٨٤). والثالث: أن يكون الأول ماضيا والثانى مضارعا، نحو "إن قام زيد يقيم عمرو، ومنه قوله تعالى: "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا" (سورة هود، من الآية ١٥). والرابع أن يكون الأول مضارعا، والثانى ماضيا وهو قليل... ومنه قوله صلى الله عليه وسلم "مَنْ يَمُوتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"^(١).

وقد قسّم ابن مالك الأنماط الشرطية متابعا لسيبويه الذى يستحسن أن يأتى فعل الشرط مماثلا لفعل الجواب من حيث الدلالة على الزمن فيقول: "وأحسن ذلك أن تقول: إن تأتيت لا آتك" كما أن أحسن الكلام أن تقول إن أتيتنى لم آتك". وذلك أن لم أفعل نفى فَعَلٌ... ولا أفعل نفى فَعَلٌ... فإذا قلت: إن تفعل فأحسن الكلام أن يكون الجواب فَعَلٌ لأنه نظيره من الفعل. وإذا قال إن فعلت فأحسن الكلام أن تقول فعلت لأنه مثله. فكما ضعفت فعلت مع افعل وافعل مع فعلت، قُبِحَ لم أفعل مع يفعل، لأن لم أفعل نفى فعلت. وقُبِحَ لا أفعل مع فَعَلٍ لأنها نفى فَعَلٌ"^(٢).

وقد ورد النمط الشرطى:

الأداة+جملة الشرط دالة على المضى بصيغة الماضى المحض أو بصيغة القرينة الزمانية "كان"+جملة جواب الشرط (فعلية فعلها ماض).

وكان من النمط الشائع بين أنماط بناء الجملة الشرطية فى الإشارات وجاء شيوعه موافقا لتقسيم ابن مالك، إذ يقول:

"وماضيين أو مضارعين تليهما أو متخالفين"^(٣).

وقد ورد هذا النمط فى الإشارات أكثر ما ورد مع أداة الشرط "إذا" ثم تلتها فى معدل الوجود الأدوات إن-مَنْ-كلما-متى-لما-حين-إذ بالترتيب على حسب معدل ورودها.

(١) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج ٤، ص ٣٣، ص ٣٤.

(٢) الكتاب: ج ٣، ص ٩١، ص ٩٢.

(٣) شرح ابن عقيل: ج ٤، ص ٣٢.

يقول التوحيدى عن الغريب فى قومه وفى وطنه:

"... إذا ظهر بصفاته التى أُعيرها قمعوه، وإذا تفرق فى زخارف المُلك جمعوه، وإذا سأل رَوْح ساعة فى العمر منعوه، وإذا غاب بأشجانه وأحزانه سبعوه، وإذا حضر برفقه ولطفه شتموه"^(١).
وقوله:

"واعلم واثقا أنك متى تقدمت ذراعا تقدم مرادك منك باعا، بل متى توجهت إليه قابلك، ... ومتى أنست به فاوضك، ومتى تركت شيئا لوجهه عوضك"^(٢).

وقد يرد فعل جواب الشرط ماضيا معنى فى هذا النمط كما فى قوله:

"الغريب إذا دعا لم يُجب، وإذا هاب لم يُهب"^(٣).

وقد يرد كل من فعلى الشرط والجواب ماضيين معنى كما فى قوله:

"...مَنْ لم يصلح لخدمة الملوك، لم يؤهل لأسرار القلوب"^(٤).

بتفحص عدد من السياقات التى ورد فيها هذا النمط، نجد أن صيغة الفعل الماضى تفقد دلالتها الخاصة بها وتتصرف إلى الدلالة على الزمن المستمر، فالحدث يحدث ويستمر حدوثه فى المستقبل؛ فيعبر عن حقيقة تقع فى كل زمان. والأساس^(٥) فى التركيب الشرطى أن يدل زمنه على المستقبل وذلك مع أدوات الشرط الجازمة، والتى منها الأدوات إنْ، إذا (التي اختلف فى كونها جازمة أو غير جازمة)، مَنْ، متى، وقد كان معدل ورود هذه الأدوات هو الأكبر فى النمط الذى نتحدث عنه، ويقول صاحب رصف المباني "يجوز أن تدخل (يقصد الأداة) على ماضيين وهما فى المعنى مستقبليان"^(٦).

(١) الإشارات: ص ٢٠٦.

(٢) الإشارات: ص ٣٥١. توجد أمثلة أخرى كثيرة، كما فى صفحات ٢٠، ١٧، ١٤، ١٢، ١٠، ٩، ٣، ٢٦، ٢٥، ٥٥، ٤٤، ٤٨، ٣٢، ...

(٣) الإشارات: ص ٨٤. توجد أمثلة أخرى كثيرة كما فى صفحات ١١١، ١٠٨، ١٠١، ٩٣، ٨٤، ٥٢، ٣٧، ١٣٣، ٣٠٤، ٢٧٩، ٢٥٣، ٢٣٨، ١٦، ١٥٥، ...

(٤) الإشارات: ص ٢٤٨.

(٥) النحو الوافى، ج ٤، ص ٤٢٢.

(٦) رصف المباني فى شرح حروف المعانى: المالقى، ت: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ١٠٤، د.ت.

وقد عبّر القرآن الكريم بصيغة الماضى عن المستقبل فى الجملة الشرطية فى مواضع كثيرة كما فى قوله تعالى: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ" (سورة آل عمران، من الآية ١٤٤). وقد علل ابن جنى جواز أن يكون النمط الشرطى مكونا من جملتين فعليتين فعلهما ماض وتدل على الزمن المستقبل كما فى صيغة المضارع فيقول: "لأن الشرط معلوم أنه لا يصح إلا مع الاستقبال، جئت فيه بلفظ الماضى الواجب تحقيقا للأمر وتثبتا له أى أنه وعدٌ موفى به لا محالة كما أن الماضى واجب لا محالة"^(١).

وقد فقدت صيغة الفعل الماضى دلالتها على الزمن الماضى - بوصفه دلالة خاصة ووحيدة - فى جل مواضعها فى التراكيب الشرطية فى الإشارات لتدل على مطلق الزمن: ماضيه، وحاضره، ومستقبله، فعندما يقول التوحيدي:

"الغريب مَنْ إِنْ حَضَرَ كَانَ غَائِبًا، وَإِنْ غَابَ كَانَ حَاضِرًا. الغريب مَنْ إِنْ رَأَيْتَهُ لَمْ تَعْرِفْهُ، وَإِنْ لَمْ تَرَهُ لَمْ تَسْتَعْرِفْهُ"^(٢).

فهو يتحدث عن حالة الغريب فى الماضى وفى الحاضر وفى المستقبل، فهى حالة حادثة، ومتجددة، ومستمرة، وليست حالة ماضية انتهت، وولّت.

ويقول أيضا:

"مَنْ اسْتَأْذَنَ عَلَى اللَّهِ أَذْنٌ لَهُ. مَنْ قَرَعَ بَابَ اللَّهِ دَخَلَ"^(٣).

فليس للتوبة زمن فهى فى كل وقت فعبرت صيغة الماضى هنا عن حدث ليس له زمن محدد فهو قائم قيام الإنسان ووجوده.

ويقول التوحيدي فى موضع آخر:

"هذا لسان الناصح لك، إِنْ أَمَرَ مَسْمُوعُهُ الْيَوْمَ، حَلَا مَقْبُولُهُ غَدًا، وَإِنْ ثَقُلَ مَقُولُهُ السَّاعَةَ، خَفَّ مَعْمُولُهُ بَعْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ"^(٤).

هنا انصرفت دلالة صيغتي الفعل الماضى فى كل من التركيبين الشرطين (إِنْ أَمَرَ - حَلَا) و (إِنْ ثَقُلَ - خَفَّ) إلى التعبير عن الوقت الحاضر فى الفعلين (أَمَرَ - ثَقُلَ) والقريئة فى (اليوم - الساعة)، وانصرفت أيضا إلى التعبير عن المستقبل (حَلَا - خَفَّ)، والقريئة فى (غدا - قيام

^(١) الخصائص: ج ٣، ص ٣٣. (الجزء الثالث طبعة دار الهدى، بيروت، ط ١٢).

^(٢) الإشارات: ص ٨٢.

^(٣) الإشارات: ص ٢٣٧.

^(٤) الإشارات: ص ٢٢١.

الساعة) بالإضافة إلى أن هذه المشاعر هي مشاعر إنسانية حدثت، وتحدث، وسوف تحدث دائماً؛ إذ يستقل الإنسان النصيحة، عندما يعتاد العصيان، وتصعب عليه الإفاقة، فإذا ما سهلت الذات واستنارت شعر بحلاوة التوبة "حلا"، ونال الثواب عند الحساب "قيام الساعة". فدلّت هذه الصيغ على التأكيد على تحقق الحدث مستقبلاً فكأن ما تتضمنه من أحداث قد أصبح في منزلة "وعدّ مؤوفى به".

وقد ورد النمط:

أداة الشرط (لولا) + جملة الشرط اسمية خبرها محذوف + جملة جواب الشرط جملة فعلية فعلها ماض (لفظاً ومعنى أو معنى فقط).

اختص ورود هذا النمط في الإشارات مع أداة الشرط "لولا" وهي أداة تعليق شرطية تدخل على "جملتين: اسمية فعلية لربط امتناع الثانية (جواب الشرط) بوجود الأولى (جملة الشرط)"^(١)، فهي حرف امتناع وقوع الجواب لوجود الشرط، وتدخل على مبتدأ محذوف خبره وجوبا إذا كان كونا عاماً مطلقاً أي ليس كونا خاصاً مقيداً فيكون مفهومه وتقديره "موجود أو حاصل"، أما إذا كان الخبر كونا خاصاً مقيداً وجب ذكره^(٢). ففي قولنا "لولا الهواء ما كانت هناك حياة" يكون تقدير الخبر هنا "موجود" لأنه كون عام مطلق فيُحذف، أما إذا قلنا "لولا الهواء عليل ما استمتعنا بالرحلة" فهنا يجب ذكر الخبر لأن كون الهواء عليلًا كون خاص "وقد يجوز الأمران إن علم"^(٣) من السياق. وقد ورد خبر جملة الشرط مع "لولا" في الإشارات محذوفاً دائماً بوصفه كوناً عاماً مطلقاً.

و تتنوع صور المبتدأ الذي تلا لولا؛ فورد مصدراً مؤولاً من "أنّ" ومعمولها كما في قوله:

"... فلولاً أن الله قد أراد بنا جميعاً الخير ... ما أنطقني لك بحرف ..."^(٤).

وورد المبتدأ اسماً صريحاً في نحو قوله:

"ولولا شرّة النفس الكذوب، وجماح الطمع الوثوب، لكان اليقين تلو الإيمان"^(١).

^(١) مغنى اللبيب: ج ١، ص ٢٧٢.

^(٢) النحو الوافي، ج ١، ص ٥١٩، ج ٤، ص ٥١٥.

^(٣) مغنى اللبيب ج ١ ص ٢٣٧.

^(٤) الإشارات: ص ٤٦. توجد أمثلة أخرى في صفحات ٢٧٨، ٢٤٤، ٢٣٥، ٢٠٠، ١٨٠، ١٦٧، ١٥٤، ٦٣.

^(١) الإشارات: ص ٢٤٧. توجد أمثلة في صفحات ٣٣٩، ٣١٧، ٢٦٦، ٢٤٧، ١٩٢، ١٦٣، ٦٣، ٥٧، ٥٣،

٤٣٨، ٣٧٤، ٣٧٢، ٣٦٣، ٣٦١، ٣٦٠.

وجاء المبتدأ ضميراً منفصلاً فى موضعين . يقول التوحيدي:

"ولولا أنت (يقصد الله)، ما كان لهم (يقصد الخلق الذين يسألهم ويتقرب إليهم) فى عيني خطر" ^(٢).

وقد تلا الضمير المنفصل أداة الشرط "إن" وذلك فى موضع وحيد، إذ لم يتكرر مجيء جملة الشرط جملة اسمية، وهذا يتفق ورأى جل النحاة؛ فالقاعدة لديهم هى عدم وقوع الاسم بعد أداة الشرط التى لا يأتى بعدها الأسماء كما هو الأمر مع لولا، فإذا وقع فإنه يكون على تقدير فعل يفسره ما بعد الاسم، يقول سيبويه عن "إن" بوصفها مَثَلٌ لسائر أدوات الشرط ما عدا لولا: "... إن من الحروف التى يُبنى عليها الفعل ... وليست من الحروف التى تبدأ بعدها الأسماء ليُبنى عليها الأسماء" ^(٣). ويقول فى موضع آخر "واعلم أن حروف الجزاء يقبح أن تتقدم الأسماء فيها الأفعال ... إلا أن حروف الجزاء قد جاز ذلك فيها فى الشعر" ^(٤).

يقول التوحيدي:

"وإن أنت لم تغض عن هذه الزهرة الحائلة (يقصد الدنيا الزائلة) ... جعلوك حطب جهنم" ^(٥).

فجاء هذا النمط النادر على صورة:

أداة الشرط + جملة الشرط (جملة اسمية خبرها جملة فعلية فعلها ماضٍ معنى) + جملة جواب الشرط (جملة فعلية فعلها ماضٍ).

^(٢) الإشارات: ص ١٣٠.

^(٣) الكتاب: ج ١، ص ٢٦٣. كذلك مغنى اللبيب، ج ٢، ص ٦٣٢.

^(٤) الكتاب: ج ٣، ص ١١٢.

^(٥) الإشارات: ص ٢٠٧.

النمط الشرطى الذى اقترن جوابه بالفاء:-

فرض الاستعمال اللغوى أنماطاً متعددة لجواب الشرط فى الجملة الشرطية، تلك الأنماط قد يبدو معها عدم تعلق جواب الشرط بجملة الشرط؛ وعدم صلاحيته لمباشرة الأداة، فتلجأ اللغة إلى وسيلة إضافية لتوكيد التعليق، والربط بين ركنى الشرط لتصبح قرينة لفظية على تحقق الشرط بالإضافة إلى أداة الشرط. هذه القرينة اللفظية هى "الفاء" التى يجب أن تقترن بجواب الشرط فى حالات:

- أن يكون جواب الشرط جملة اسمية، حيث إن الأصل أن يكون الجواب جملة فعلية.
 - أن يكون جواب الشرط جملة إنشائية (طلبية - إفصاحية).
 - أن يكون جواب الشرط جملة فعلية فعلها ماض لفظاً ومعنى على الحقيقة، مقترن بحرف التحقيق "قد"، أو على المجاز، فتقدر.
 - أن يكون جواب الشرط جملة مبدوءة بفعل جامد (ليس - عسى ...).
 - أن يكون جواب الشرط جملة فعلية اقترن فعلها بحرف استقبال.
 - أن يكون جواب الشرط جملة فعلية اقترن فعلها بأحد حروف النفي الآتية: ما ، لن ، لا ، إن النافية.
 - أن يكون جواب الشرط جملة مبدوءة بحرف له الصدارة ^(١).
- وقد "خصصت الفاء بذلك لما فيها من السببية والتعقيب فتتناسب الجزاء المسبب عن الشرط" ^(٢)، وتعد الصلة بين جملة الشرط وجملة جواب الشرط فلا تظن الأخرى أنها جملة مستأنفة وأن كلا منهما مستقل عن الأخرى ^(٣).

ورد النمط الشرطى، وقد اقترن جوابه بالفاء على صورة:

أداة الشرط + جملة الشرط جملة دالة على المضى إما بصيغة الماضى المحض أو بصيغة القرينة الزمانية "كان" + الفاء + جملة جواب الشرط جملة اسمية ^(٤).

(١) انظر مغنى اللبيب، ج١، ص ١٦٣ وما بعدها. كذلك فى النحو العربى ص ٢٨٧ وما بعدها. كذلك النحو

الوافى ج٤، ص ٤٥٩ وما بعدها.

(٢) حاشية الخضرى: ج٢، ص ١٢٣.

(٣) النحو الوافى، ج٤، ص ٤٥٨، ص ٤٥٩.

(٤) الكتاب، ج٣، ص ٦٣.

كثر ورود هذا النمط مع إن ، أما وروده مع "إذا" فقليل، وقد ورد مع الأداة "من" فى موضعين ، ولم يرد مع سائر الأدوات.

يقول التوحيدى:

"... إن كانت عينها فانية (يقصد الأيام الخوالى) فأثرها باق، وإن كانت حقيقتها زائلة، فظلها واق، وإن كان لقاءها متعذرا، فالتعلل بها راق" ^(١).

ويقول فى موضع آخر:

"إذا كان من يفقد غيره يبكى ... فما تقول فيمن فقد نفسه ؟ هذا والله أحق بالبكاء، وإذا بكى الأول دمعاً، فالأوجب أن يبكى الثانى دماً" ^(٢).

ورود هذا النمط على تقدير مبتدأ محذوف فى جملة جواب الشرط كما فى قوله:

"وإن كانت أعمالنا قاصرة عن غايات حقائق التوحيد، فنسألك أن لا ترد علينا هذه الثقة بك" ^(٣).
أى فنحن نسألك.

ويقول فى موضع آخر:

"اللهم إنا إن ذكرناك، فبتوفيقك، وإن وصفناك فبتأييدك" ^(٤).

أى " فذكرنا بتوفيقك " ، و " فوصفنا بتأييدك ".

ورود النمط الشرطى المقترن جوابه بالفاء على صورة:

أداة الشرط + جملة الشرط جملة دالة على المضى إما بصيغة الماضى المحض، أو بصيغة القرينة الزمانية "كان" + الفاء + جملة جواب الشرط جملة إنشائية طلبية (فعل أمر).

ورد هذا النمط متضمنا أداة الشرط "إذا" حيث مثل المعدل الأكبر، ثم تلتها الأداة "إن"، وكان الفرق بين معدلى استخدامهما بسيط. وقد وردت أداة الشرط "مهما" فى موضعين ، والأداة "متى" فى موضعين ، ووردت كل من الأداتين "كيف" ، و "لو" فى موضع واحد.

يقول التوحيدى:

(١) الإشارات: ص ٤٠٧.

(٢) الإشارات: ص ١٨٧. هناك أمثلة فى صفحات ٥، ١٠، ١٢، ٢٩، ٣٢، ٥١، ٧٠، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٢٦، ١٣٨، ١٤٧، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٣، ...

(٣) الإشارات: ص ١. وانظر الكتاب ، ج ٣، ص ٦٩. حيث قدر مبتدأ محذوف "أنا" فى قولنا "إن تأتني فأكرمك"

(٤) الإشارات: ص ٢١٠. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ١٠، ٣٠، ٣١، ٧٣، ١٤٢، ١٨٣، ٢١٠، ٢١٦، ٢٦٠، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣١٣، ٤٤٢، ٣٣٥.

"يا هذا إن كنت تاكل فَنُحْ على ما أصبت به ، وإن كنت مكروبا بالسر فَبُحْ ... وإن كنت طالبا فَجِدْ ... وإن كنت واجدا فاحفظ" (١).

ويقول أيضا:

"... وكيف تقلبت بك الحال، فاهجر نفسك الأمانة بالسوء ... ومتى ظفرت بها، فاذبحها ... ومتى قامت بإزائك، فافضحها" (٢).

وقد ورد فعل جملة الشرط ماضيا معنى فى موضعين (٣).

وورد هذا النمط وقد حذف منه فعل الأمر واقتربت الفاء بالجار والمجرور المتعلق بالفعل المحذوف فى قوله:

"يا هذا : صارف نفسك فى أنفاسها، وفى خواطرها، فإن لم تقدر، ففى نياتها، وعزماتها" (٤).
أى فصارفها فى نياتها.

وورد النمط:

أداة الشرط + جملة الشرط دالة على المضى إما بصيغة الماضى المحض، أو بصيغة القرينة الزمانية "كان" + الفاء + جملة جواب الشرط جملة إنشائية طلبية استفهامية.

وقد ورد هذا النمط مستخدما الأداة "إذا"، و"إن" بالقدر نفسه. والاستفهام فى هذا النمط استفهام بلاغى لا يراد منه جواب مثل الحال فى سائر الاستفهامات فى "الإشارات".

يقول التوحيدى متعجبا من إصرار الغافل على غفلته:-

"... فإن واعظك (يقصد نفسه) إذا كان بهذه الحالة المخزية ...، فكيف حال من هو متماد فى غروره؟" (٥).

ويقول أيضا:

"إذا فاتك الله فبم تسلو؟، وإذا وجدت الله، فعلم تحزن؟" (٦).

وقد ورد فعل الشرط ماضيا معنى فى ثلاثة مواضع (١).

(١) الإشارات: ص ٣.

(٢) الإشارات: ص ٤١٦. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٦، ١٢، ٢٧، ٢٩، ٤٩، ٥٠، ٥٦، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧٤، ٧٦، ٨٥، ٨٩، ٩٦، ٩٩، ١٠٠، ١٠٣، ١١١، ١١٢، ١١٦، ١١٧، ...

(٣) الإشارات: ص ٤٠٤، ٤٦٠.

(٤) الإشارات: ص ١٠٠.

(٥) الإشارات: ص ٢٠١.

(٦) الإشارات: ص ٣١٠. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٧٠، ٧٨، ٨٨، ١٠٠، ١٣٤، ١٢١، ١٥٤، ١٦٤،

١٨٦، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٧٣، ٢٩١، ٣٠٥، ٣١٠، ٣٤٧، ...

وورد النمط:

أداة الشرط + جملة الشرط دالة على المضى إما بصيغة الماضى المحض، أو بصيغة القرينة الزمانية "كان" + الفاء + جملة جواب الشرط جملة إنشائية طلبية تفيد النهى ^(٢) .

وقد وردت الأدوات الشرطية "مهما"، "إن"، "إذا"، "متى" على الترتيب حسب معدل ورودها ضمن هذا النمط.

يقول التوحيدى:

"... ومهما عجزت عن شىء، فلا تعجزن من تطهير القول ...، فإنه آنية الحق" ^(٣).

ويقول أيضا:

"... فإن أمكنك أن تكون يقظان (يقصد يقظة العقل، والقلب، والضمير) فلا تتعس، وإن استطعت أن تفرع الباب فلا تكسل" ^(٤).

وقد ورد فعل جملة الشرط ماضيا معنى فى موضعين ^(٥).

وورد النمط:

أداة الشرط + جملة الشرط جملة فعلية فعلها ماض + الفاء + جملة جواب الشرط جملة إنشائية طلبية تفيد الترجى. وقد ورد فى موضعين:

يقول التوحيدى مخاطبا هذا، إذ عركته الحياة فتحطمت قناته وتكشمت شواته وتقللت صفاته ^(٦).

"... فإن شركتني فى هذه الصفات أو وفيت بهذه السمات، فلعلك مثلى ... " ^(٧).

وورد النمط:

(١) الإشارات: صفحات ٨٥، ١١٩، ١٣٩.

(٢) لا يخفى أنه عندما يأتى هذا النمط، هو والنمط قبل السابق، فى سياق الحديث إلى الله فهو للدعاء، الاستعطاف.

(٣) الإشارات: ص ١٦٠.

(٤) الإشارات: ص ٢٨١. توجد أمثلة فى صفحات ٦، ٣٥، ٥٠، ٦٧، ٥٨، ٩٩، ١٢٣، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، ١٩٩، ٢٣١، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٣٥، ٣٣٨، ٣٤٦، ٣٦٠، ٤١٧، ٤٢٨، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٥٩.

(٥) الإشارات: ص ٨٥، ص ٢٢١.

(٦) الإشارات: ص ٢١٧.

(٧) نفسه.

أداة الشرط + جملة الشرط جملة فعلية فعلها يدل على المضى إما بصيغة الماضى المحض، أو بصيغة القرينة الزمانية "كان" + الفاء + جملة جواب الشرط جملة إنشائية طلبية تفيد الدعاء.

ورد فى موضعين. يقول التوحيدى:

"فإن كنت قد وجدت ذلك (أى المعرفة، والتوحيد ، والتوكل، والزهد) ... فى النفس وحمدته ...
فهناك الله ذلك". (١)

وورد النمط:

أداة الشرط + جملة الشرط تدل على المضى بصيغة الماضى المحض + الفاء + جملة جواب الشرط جملة إنشائية طلبية تفيد التحذير.

يقول التوحيدى:

"... ومهما ونيت فيه ، وفترت عنه، وقصّرت دونه، فإياك والشرك به (المقصود به هنا التوكل على غير الله) " (٢).

وورد النمط:

أداة الشرط + جملة الشرط تدل على المضى بصيغة القرينة الزمانية "كان" + الفاء + جملة جواب الشرط إنشائية إفصاحية تفيد التعجب.

ورد هذا النمط فى قول التوحيدى:

"إن كنت واثقا غير مغرور... فما أسعدك بما كان منك...، وإن كان الأمر على غير هذا النهج،
فما أولاك بالأنوح على نفسك" (٣).

وجاء النمط:

أداة الشرط + جملة الشرط دالة على المضى إما بصيغة الفعل الماضى المحض، أو بصيغة القرينة الزمانية "كان" أو بهما معاً + الفاء + جواب الشرط جملة فعلية فعلها ماض على الحقيقة أو على المجاز مقترن بقد.

(١) الإشارات: ص ٢١٨. يوجد مثال آخر ص ١٩٢.

(٢) الإشارات: ص ١٣٤. يوجد مثال آخر ص ١٣٠.

(٣) الإشارات: ص ٢٥٩.

وقد وردت الأدوات إذا - إن - مَنْ ضمن هذا النمط على الترتيب بحسب معدل ورودها، وقد تساوى ورود الأدوات متى - لولا، إذ وردتا في موضع واحد.

يقول التوحيدى:

"مَنْ تَبِعَ هَوَاهُ، فَقَدْ عَبْدَ غَيْرَ اللَّهِ" (١).

وقد جاء الفعل الماضى فى جملة الجواب ماضيا على الحقيقة مقترنا "بقد" فيما عدا موضع واحد من مواضع ورود هذا النمط جاء فيه الفعل ماضيا على المجاز، أى أن الفعل ينزل منزلة ما وقع لتحقيق وقوعه وذلك كما فى قوله عز وجل "وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ" (سورة النمل، من الآية ٩٠)، وفى الآية قد تحقق وقوع الفعل لكونه خبر الصادق (٢).

يقول التوحيدى:

"فما أصنع؟ قد كان ما كان ... إِنْ كُنْتَ أَسَأْتَ فَبَعْدَ اللَّتِيَا وَالتِي ، وَإِنْ كُنْتَ أَحْسَنْتَ فَبَعْدَ سَوَابِقِ غَيْبِ" (٣).

فجواب الشرط قد تحقق بدليل قوله: "قد كان ما كان" ، و"بعد سوابق غيب" ولذلك فإن الفاء قد وردت على تقدير "قد" التى تفيد التحقيق، وحذفت مع الفعل الماضى الواقع فى جواب الشرط ويدل عليه ما قبله، والتقدير (فقد أسأت بعد ...) ، و (فقد أحسنت بعد ...).

وورد النمط:

أداة الشرط + جملة الشرط دالة على المضى إما بصيغة الفعل الماضى المحض أو بصيغة القرينة الزمانية "كان" + الفاء + جواب الشرط جملة فعلية فعلها جامد.

ورد هذا النمط فى أربعة مواضع، وقد اقتصر جواب الشرط على الاقتران بالفعل الجامد "ليس". وقد وردت الأداة "إذا" فى موضعين ووردت "إن" فى موضعين.

يقول التوحيدى:

"... فليس بين العلم والعمل سور، وَإِنْ كَانَ سور فليس من حديد" (٤).

(١) الإشارات: ص ٢٣٧. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٤٦، ٥٠، ٥١، ٩٧، ١٠٣، ١٢١، ١٢٩، ١٣٥،

١٧٣، ٢١١، ٢١٣، ٢١٦، ٢٣٠، ٢٤٧، ٢٧٨، ٣٠١، ٣١٢، ٣١٣، ٣٤٣، ٣٤٥،

(٢) حاشية مصطفى الدسوقي على معنى اللبيب ، ٢، ص ٤٤٩.

(٣) الإشارات: ٣٤٥.

(٤) الإشارات: ١٠٠. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٣٧٧، ٣٩١، ٣٩٤.

وورد النمط:

أداة الشرط + جملة الشرط جملة فعلية دالة على المضى، إما بصيغة الماضى المحض أو بصيغة القرينة الزمانية "كان" + الفاء + جملة جواب الشرط مصدرة بأحد حروف النفى (ما - لن - إن) ^(١) - (لا).

يقول التوحيدى فى سياق الدعاء:

"اللهم ، فإنه لا يكبر عليك شىء ، ولا يضل عنك شىء . ومهما كان منك، فلا يكونن المقنت والإعراض فإن ذلك شقاء الأبد" ^(٢).

وورد النمط:

أداة الشرط + جملة الشرط جملة فعلية فعلها ماض + الفاء + جملة جواب الشرط مبدوءة بحرف له الصدارة.

يقول التوحيدى:

" مَنْ تَأْهَب ... وتعرى من مراده، فإنه يصل إلى غبطته" ^(٣).

- النمط الشرطى الذى خلا جوابه من الفاء:

لم ترد الفاء فى بعض المواضع التى يقتضى فيها اقتران جواب الشرط بالفاء. حيث جاءت جملة جواب الشرط فى موقعها الطبيعى.

يقول التوحيدى:

"... وإذا ورد الإذن (يقصد الإذن للعارف الذى ترقى فى سلالمة المعرفة)، ليس له إلا الجمجمة" ^(٤).

حيث ورد جواب الشرط مصدرا بفعل جامد، ولم يقتنر بالفاء الرابطة.

ويقول فى موضع آخر:-

"ومن أمر بالمعروف، وهو عاكف على المنكر، لن يُقبل منه" ^(٥).

(١) لم ترد "إن" لتؤدى معنى النفى فى الجملة الشرطية ولكنها وردت بهذا المعنى فى مواضع أخرى من "الإشارات".

(٢) الإشارات: ص ١٩٧. توجد أمثلة فى صفحات ٩٩، ١٢٦، ١٧٧، ٢١٩، ٢٦٥، ٣٥٩.

(٣) الإشارات: ص ٣١٥.

(٤) الإشارات: ص ٣٧٧.

(٥) الإشارات: ص ٤٤٠.

فقد ورد جواب الشرط فعلا مضارعا منفيًا بلن.

وقوله أيضا حيث ورد جواب الشرط استفهاما غير مقترن بالفاء:

"لولا أنه خلقك، فسواك، فعدلك... متى كنت تستقل بذاتك؟" (١).

وقد امتنع اقتران الفاء بجملة جواب الشرط المحتفظة بموقعها من الجملة الشرطية في مواضع قليلة كان جواب الشرط في معظمها جملة إنشائية استفهامية . والاستفهام في "الإشارات" - كما سبق أن ذكرت - استفهام بلاغي مفعم بانفعالات حادة متنوعة تنوع السياقات التي وردت فيها مثل التوبيخ، والاستنكار، والنفى، والاستمالة، والاستعطاف، والاستنفار، والتعجب ... إلخ .

- النمط الشرطي الذي اقترن جوابه باللام :

ومن الروابط اللفظية داخل الجملة الشرطية بالإضافة إلى الأداة الشرطية "اللام" حيث يقترن بها جواب الشرط حين تكون أداة الشرط "لولا"، و "لو" وتعرف الأولى أنها "تدخل على جملتين اسمية فعلية لربط امتناع الثانية (جملة جواب الشرط) بوجود الأولى (جملة الشرط)" (٢). أما عن الثانية فهي "حرف امتناع الشرط، وامتناع الجواب جميعا" (٣). والمقصود أن الجواب امتنع عن التحقق لعدم تحقق الشرط ولكن من الممكن تحققه إذا تحقق الشرط أو تيسر تحقق غيره (٤) . ويغلب دخول "لو" على الفعل الماضي ويغلب على جوابها الفعل الماضي المثبت اقترانه باللام، والغالب على الماضي المنفى تجرده منها، ويغلب اقتران الجواب الجملة الاسمية باللام (٥). ووظيفة اللام كوظيفة الفاء فهي تؤكد على ارتباط الشرط والجواب، فتزيل الاعتقاد بأن جملة الجواب جملة مستأنفة. و "يجوز حذفها كما في قوله تعالى: (لو نشاء جعلناه أجاا)... وقد ذهب أبو على في بعض أقواله إلى أن اللام في جواب لو ولولا زائدة مؤكدة، واستدل على ذلك بجواز سقوطها " (٦).

(١) الإشارات: ص ٢٨٦. توجد أمثلة في صفحات ٣٣٥، ٣٥٩، ٤٢٩.

(٢) مغنى اللبيب، ج ١، ص ٢٧٢.

(٣) مغنى اللبيب: ج ١، ص ٢٥٧.

(٤) حاشية الخضرى، ج ٢، ص ١٢٧.

(٥) مغنى اللبيب، ج ١، ص ٢٧١، ص ٢٧٢.

(٦) شرح المفصل، ج ٩، ص ٢٢، ص ٢٣.

ورد النمط:

لو + جملة الشرط فعلية فعلها ماض إما بالصيغة أو بالقرينة الزمانية "كان" + اللام + جواب الشرط جملة فعلية مثبتة فعلها ماض إما بالصيغة أو بالقرينة الزمانية.

يقول التوحيدي:

"يا هذا: لو ذقت حلاوة عيشك مع ربك لعلمت أن كل ماعداها باطل ، ولو أشرفت على النعيم الذي أعده لخدمه لأيقنت أن كل شيء بعده زائل" (١) .

وقد ورد فعل الشرط في أربعة مواضع ماضيا معنى كما في قوله:

"... لو لم يكن في الدعاء إلا التلذذ بالمواجهة، والتنعيم بالمشافهة، وإلا خرق الحجب، ورفع القنع ...، لكان فيه مقنع" (٢).

وورد هذا النمط على صورة:

لو + جملة الشرط جملة اسمية + اللام + جواب الشرط جملة فعلية فعلها ماض.

ووردت جملة الشرط ضمن هذا النمط جملة اسمية مؤكدة "بأن" تلت لو وورد خبرها جملة فعلية فعلها ماض، ولإبقاء لو على اختصاصها بالفعل قدر النحاة فعلا محذوفا تقديره "ثبت" والمصدر المؤول من أن، ومعمولها فاعل (٣). يقول في سياق حديث الله المتخيل:

"لو أن عبادى علموا ما أرشحك له ... لصرت فتنة عليهم" (٤).

وقد ورد النمط:

لو + جملة الشرط فعلية فعلها ماض بالصيغة أو بالقرينة الزمانية "كان" + جواب الشرط فعل ماض، مثبت غير مقترن باللام.

وقد ورد في ستة مواضع، وكُسر فيها الغالب على فعل الجواب من اقترانه باللام مثل قوله:

"... لو انكشف عنك غطاء أمرى ... أشرفت على حقيقة عُرْفى ونُكْرِى" (٥).

(١) الإشارات: ص ٤٤. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ٤١، ٤٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٢١، ١٢٢، ١٢٦،

١٧٧، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢٢٩، ٢٤٧، ...

(٢) الإشارات: ص ١٣٧. توجد أمثلة أخرى في صفحات ١٨٤، ٣٦٠، ٤٦٤.

(٣) حاشية الخضرى، ج ٢، ص ١٢٩.

(٤) الإشارات: ص ٥٣.

(٥) الإشارات: ص ٢٤٥. توجد أمثلة أخرى في صفحات ١٣٥، ٣٠٠، ٣٤٩، ٣٩٤، ٤٠٧.

وورد النمط:

لو + جملة الشرط جملة فعلية فعلها ماض بالصيغة أو بالقرينة الزمانية "كان" + اللام + جواب الشرط فعل ماض منفى مقترن باللام.

فقد كسر الغالب الذى هو عدم اقتران الماضى المنفى باللام، وقد ورد هذا النمط فى ثلاثة مواضع. يقول التوحيدى، إذ تخيل حديث الله إليه:

"قيل لى : لو أهلناك لهذا، لما أحرقتناك بهذا" ^(١).

وقد ورد النمط:

لو + جملة الشرط جملة فعلية فعلها ماض + جواب الشرط جملة فعلية فعلها ماض معنى (مضارع منفى بلم) غير مقترن باللام.

وقد ورد فى ثلاثة مواضع منها قوله:

"اللهم . إنا لو وفينا الحياء منك حقه ، لم نواجهك متلوثين بلطائح الدنيا" ^(٢)

وجاء النمط:

لولا + جملة الشرط جملة اسمية + اللام + جواب الشرط جملة فعلية فعلها ماض، إما بالصيغة، أو بالقرينة الزمانية "كان"، مثبت.

يقول:

"لولا عطفنا عليك وتوفيقنا لك ، لكنت من الهالكين" ^(٣).

وورد النمط:

لولا + جملة الشرط جملة اسمية + جواب الشرط جملة فعلية فعلها ماض منفى غير مقترن باللام.

من نحو قوله:

"إلهنا: لولا أنا نجد من روح هذا ما يبعثنا على مناغاة عبادك، ما ابتعثنا لذلك" ^(٤).

وورد النمط:

(١) الإشارات: ١٨٠ كذلك صفحات ١٨، ١٢٢.

(٢) الإشارات: ص ١٣٨. كذلك صفحات ١٤٤، ١٥٥.

(٣) الإشارات: ص ١٨٠. كذلك انظر صفحات ٥٧، ٥٩، ١٥٤، ١٦٣، ١٦٧، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٤٧، ٢٦٦، ٣٦٠، ٣٧٤.

(٤) الإشارات: ص ٢٢٤. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٤٦، ٥٣، ٦٣، ١٣٠، ١٦١، ٣٣٩، ٣١٦، ٣٧٢.

لولا + جملة الشرط جملة اسمية + اللام + جواب الشرط جملة فعلية فعلها ماض، منفي، مقترن باللام.

يقول التوحيدي:

"لولا إذنك (يقصد إذن الله) لما دعونا إليك" ^(١).

ترتيب أجزاء الجملة الشرطية في الإشارات:

هناك نظام من الترتيب في شكل الجملة الشرطية اتفق عليه النحاة ؛ وذلك بأن تنصدر أداة الشرط، ويليهما جملة الشرط، ثم جملة جواب الشرط. لكن "قد يتغير نظام جملة الشرط بتقديم عبارة الجواب على أداة الشرط فتبقى الدلالة ويبقى الأسلوب" ^(٢). وقد ورد كثير من الأمثلة في القرآن الكريم تعبر عن هذا التغيير في ترتيب أركان الجملة الشرطية، كما في قوله عز وجل: "فذكر إن نفعك الذكرى" (سورة الأعلى: آية ٩) وقوله عز وجل: "يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون" (سورة يوسف: آية ٤٣)، وغير هذا من الأمثلة . وعلى الرغم من ذلك فقد ذهب بعض النحاة إلى أن الجواب في هذا الشكل الشرطي محذوف يفسره ما جاء قبل الأداة ومبرر هؤلاء النحاة أن أداة الشرط تعمل فيما تأخر عنها ولا تعمل فيما يتقدمها لأنها عامل ضعيف، ومن ثم فإن ما يتقدمها لا يعد جوابا للشرط ^(٣). وواضح تأثر هذا الرأي بقضية العامل التي طالما سيطرت على معظم النحاة بوصفها إحدى مؤثرات علم المنطق الذي كان وسيلة من وسائل التقعيد لدى القدماء.

ويقول ابن جنى في " فصل في التقديم والتأخير " : "ولا يجوز تقديم الجواب على المجاب شرطا كان أو قسما أو غيرهما، ألا تراك لا نقول: أقم إن تقم فأما قولك أقوم إن قمت، فإن قولك: أقوم ليس جوابا للشرط، ولكنه دال على الجواب ، أى إن قمت قمتُ ودلت أقوم على قمت. ومثله أنت ظالم إن فعلت، أى إن فعلتَ ظلمتَ فحذفتَ ظلمتَ، وذلك قولك (أنت ظالم) عليه" ^(٤)، أى أنه من الخطأ أن يظهر أثر الجزم على ما قبل الأداة لأنه ليس جوابا للشرط فلا يظهر الأثر الإعرابي ، لذلك فإنه يرى أنه من الخطأ أن نقول " أقم إن تقم " بجزم الفعل "أقوم"،

(١) الإشارات: ص ٣٦١. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ٢٣٥، ٣٦٣، ٤٣٨.

(٢) في النحو العربي : ، ص ٢٨٩.

(٣) في النحو العربي، ص ٢٢١، ص ٢٩٠.

(٤) الخصائص : ج٢، ص ٣٨٩، ص ٣٩٠.

ومن الصواب أن نقول " أقومُ إن قمتَ " برفع الفعل "أقوم" إذ إنه ليس فعل الجواب، بل هو يفسره، فلا تعمل فيه الأداة. ولست أدري لِم لا تكون الجملة (التركيب) السابقة على الأداة هي جملة (التركيب) جواب الشرط مادامت متممة لمعنى الجملة الشرطية؟ ففي القول بأنها محذوفة تكلف وتضييق وإلغاء لموجود.

وقد وردت في الإشارات جمل شرطية تقدم فيها جواب الشرط على الأداة بوصفه إمكانية دلالية يتيحها نظام اللغة. فهذا التقديم للجواب تأكيد لأهمية الجملة (التركيب) المتقدمة (بغض النظر عن كونها الجواب أو ما يفسره. على الرغم من أن الجملة المتقدمة (التركيب) قد اقترنت بالرباط الفاء التي هي قرينة لفظية على الجزاء أو جواب الشرط في بعض المواضع، وهذا ما سيأتي ذكره إن شاء الله)، فهي محل اهتمام، ومحل هم من قبل التوحيدي (والأديب عموماً) فتم الإفصاح عنها أولاً "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم يبيانه أعنى" ^(١).

ومن ثم فقد ورد جواب الشرط في بعض المواضع متقدماً الأداة، وجاء جملة فعلية فعلها ماض (بالصيغة أو بالقرينة الزمانية "كان")، أو فعلها ماض معنى موافقا في ذلك شرط بعض النحاة، ومنهم سيبويه، في هذه الحالة التي انعدمت فيها الصدارة للأداة ^(٢).

وقد وردت الفاء مقترنة بجواب الشرط المتقدم على الأداة كقرينة لفظية عليه في بعض المواضع، وفُقدت تلك القرينة اللفظية على كونه جواب الشرط في مواضع أخرى. وقد جاء معدل المرات التي ترك فيها الفاء أكبر من معدل مرات إثباتها. ويلاحظ أن معظم جمل (تراكيب) أجوبة الشرط المتقدمة على الأداة هي من نوع تلك الجمل التي اشترط النحاة اقترانها بالفاء حين ترد جواباً للشرط حتى لا يظن أنها جمل مستأنفة . وقد سبق أن أوضحت تلك الأنماط التي اقترن فيها الجواب بالفاء، واتضح من عرضها أن أكثر هذه الأنماط وروداً تلك التي كان جواب الشرط فيها جملة إنشائية طلبية وهذا مرده إلى أسباب، هي:

- أن التوحيدي في نص الإشارات يوجه حديثه إلى ذاته التي لا يرضى عنها وإلى الآخر العاصي فينصح، ويرشد ويعاتب ، ويزجر، ويعنف ، وينهر، ويرغب، ويستميل، ويستفيق،

(١) الكتاب: ١، ص ٣٤.

(٢) النحو الوافي ، ج٤، هامش ص ٤٥٠، ص ٤٥١.

ويستنكر، ويتعجب ، وينفى ... إلى آخر هذه الانفعالات التى تعكس شعوره بالأزمة وعدم الرضى إزاء المتحدث إليه (الذات - الآخر).

- أن التوحيدي يتوجه إلى الذات العلية (الله عز وجل) داعياً، متمنياً مترجياً، متوسلاً ، منيباً، شاكياً، باثاً ما هو مسموح به من مكنونات النفس ، وما يكاد يكون غير مسموح به.

وعلى ذلك فلا يوجد ما هو أنسب من الأسلوب الإنشائي حتى يستخدمه هذا المبدع ليتواءم وتفاعله مع كل توجه. ولا يخفى ما تنتشع به الجمل الإنشائية من تنغيم يكشف عن انفعالات النفس وجيشانها لدى المتحدث، إذ تكون "النعمة صاعدة فى الاستفهام والأمر والنهي"^(١) ، فيكون ذلك من دواعى التأثير فى المتلقى، فتتلوه الاستجابة المرجوة.

وقد ورد النمط:

جواب الشرط مقترن بالفاء + أداة الشرط + جملة الشرط جملة فعلية فعلها ماضٍ إما بالصيغة، أو بالقرينة الزمانية "كان" أو ماضٍ معنى فقط.

يقول التوحيدي :

"... فاعذرني إن كنتُ مقصراً فى أمرك" ^(٢).

ويقول على تقدير مبتدأ محذوف:

"فيخلصك إذا قرعت بابه ذاكرة" ^(٣). أى فهو يخلصك.

وقد ورد النمط:

جواب الشرط غير مقترن بالفاء + أداة الشرط + جملة الشرط جملة فعلية فعلها ماضٍ إما بالصيغة أو بالقرينة الزمانية "كان" أو فعلها ماضٍ معنى فقط.

^(١) فى نحو اللغة وتراكيبها ، منهج وتطبيق ، خليل أحمد عميرة، عالم المعرفة بجدة ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ، ص ١٧٣.

^(٢) الإشارات: ص ٣٥٤ . توجد أمثلة فى صفحات ٨ ، ٤٤ ، ٥٤ ، ٧١ ، ٧٤ ، ١٣٠ ، ١٠٩ ، ١١٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٩ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٩٥ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٢١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥ ،

^(٣) الإشارات: ص ٣٠٧.

يقول:

"أين الفكر فيما له طائل إذا جاء الحق وزهق الباطل" ^(١) .

وقد ورد النمط الشرطي:

جملة فعلية فعلها ماض + الفاء + أداة الشرط (لما) + جملة الشرط + جملة جواب الشرط.

وقد ورد هذا النمط ليدل على وقوع الشرط وحدثه بوصفه رد فعل لحدث آخر حدث من قبل، وقد اقترنت أداة الشرط "لما" - التي وردت فقط ضمن هذا النمط والتي قال عنها سيبويه: "... هي الأمر الذي وقع لوقوع غيره" ^(٢) - بالفاء للدلالة على سرعة رد الفعل، وحدث الشرط، وقد ورد هذا النمط أكثر ما ورد في سياق معاتبة الذات الإلهية مستعظفا، ومتوسلا ، وذلك كما في قوله:

"إلهي : استزرتني، فلما جئت حجتني، دعوتني، فلما أجبت جفوتني ، خاطبتني، فلما استفهمتني أبهمت عليّ، ... " ^(٣) .

وورد النمط الشرطي:

ما يدل على جواب الشرط + و + أداة الشرط (إن - لو) + جملة الشرط.

وقد يأتي على الترتيب:

جزء مما يدل على جواب الشرط + و + أداة الشرط (إن - لو) + جملة الشرط + الجزء الباقي مما يدل على جواب الشرط.

وقد علق الخضري في حاشيته على هذا النمط الذي مثّل له بالقول: "زيد، وإن كثر ماله، بخيل" فإن "إن" هنا "زائدة على التحقيق لمجرد الوصل أي وصل الكلام ببعضه ، والواو للحال أي زيد بخيل والحال أنه كثر ماله ، وقيل شرطية (يقصد إن) حذف جوابها للدلالة عليه ببخيل والواو للعطف على مقدر أي إن لم يكثر ماله، وإن كثر فهو بخيل، لكن ليس المراد بالشرط فيه حقيقة

(١) الإشارات: ص ٢٥٤. توجد أمثلة في صفحات ١٢، ٣٣، ٤٣، ٤٦، ٥٤، ٥٩، ٥٥، ٩٠، ٩٦، ١١٠، ١٢٦، ١٢٩، ١٥٢، ١٦٠، ١٦٤، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٦، ٢٠٩، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٧، ٢٣٨،

(٢) الكتاب: ج ٤، ص ٢٣٤. كذلك معنى اللبيب ج ١، ص ٢٨٠.

(٣) الإشارات: ص ٣٨٢. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ٦٠، ١٧٩، ٢٢٤، ٢٢٥، ٣٢٦، ٤٣٩.

التعلق، إذ لا يُعلق على الشيء ونقيضه معا، بل التعميم، أى إنه بخيل على كل حال" ^(١). فالواو هنا تفيد تعميم الشرط وتدل على أن الجواب متحقق فى كلا الحالين.

وقد ورد هذا النمط من الشرط الذى يفيد التعميم و المتحقق الجواب مع الأداة "إن"، والذى يفيد تحقق الشرط على وجه "التقليل" ^(٢) مع الأداة "لو" . وقد كثر ورود هذا النمط مع "إن" وذلك كما فى قوله محذرا من النفس مشبها إياها بالعدو.

"... لا تغتر بالعدو وإن كان قريبا منك بالنسب، فالعدو عدو وإن أظهر اللين، كما أن الصديق صديق وإن أظهر الغلظة" ^(٣).

فالجواب متحقق على أية حال، أى: لا تغتر بالعدو إن كان قريبا، أو إن لم يكن قريبا - العدو عدو إن أظهر اللين، أو ان لم يظهره - الصديق صديق إن أظهر الغلظة، أو إن لم يظهرها.

وفى هذا يقول الرضى: "وقد تدخل الواو على "إن" المدلول على جوابها بالمتقدم ولا تدخل إلا إذا كان ضد الشرط المذكور أولى بذلك المتقدم الذى هو كالعوض من الجزاء من ذلك الشرط كقولك أكرمه وإن شتمنى، فالشتم بعيد من إكرامك للشتام، وضده وهو المدح أولى بالإكرام، وكذلك قوله (ص) اطلبوا العلم ولو بالصين" ^(٤).

يقول التوحيدى مخاطبا الله:

"... فواصفك، وإن أطنب، عيى، وذاكرك، وإن أسهب، نسى، والناظر إليك، وإن حدّق محبوب، والمتعرض لك، وإن تجلد، مغلوب" ^(٥).

فالواصف لله عيى، على كل حال، أطنب أو لم يطنب، والذاكر لله نسى، أسهب فى ذكره أو لم يسهب؛ لأن العبد لن يوفى الله حقه، والكافر العنيد، قوى أو ضعف، مغلوب من الله.

ويقول أيضا فى سياق النص:

"واعمل عملا تصل به إلى الرضى، وإن عُرِضَتْ على جمر الغضا" ^(٦).

^(١) حاشية الخضرى: ج ٢، ص ١٢٠.

^(٢) حاشية الخضرى: ج ٢، ص ١٢٦.

^(٣) الإشارات: ص ٤١٦، ص ٤١٧.

^(٤) شرح الرضى على الكافية: ج ٤، ص ٩٨.

^(٥) الإشارات: ص ٤٢٠.

^(٦) الإشارات: ص ٣٤٦، توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٢٤، ١٣، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٤٦، ٧٤، ٧٨، ٨٧، ١٠١،

١٢٣، ١٢٥، ١٥٣، ١٦٧، ١٦٩، ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٤٠، ٢٥١،

٢٥٩، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٦، ٣٤٣، ٣٤٦، ٣٥٥، ٣٦٧، ...

أما عن ورود الأداة الشرطية "لو" مع هذا النمط، فقد كان أقل . وقد أورد سيبويه في الكتاب "قول العرب: ادفع الشر ولو اصبعا، كأنه قال: ... ولو كان اصبعا" ^(١) فيلى "لو" اسم منصوب ... خبر لـ "لكان" محذوفة ... نحو " التمس، ولو خاتما من حديد ... وقوله:

لا يَأْمَنُ الدهرَ ذو بغي، ولو ملكا جنوده ضاق عنها السهلُ والجبلُ" ^(٢)

نلاحظ أن "لو" لم تعد في البيت التقليل حيث سبقتها الواو ولكنها أفادت التضخيم والأهمية لما بعدها فكانها تعطى معنى علي الرغم من وجود متحقق له أهمية وخطر من وجهة معينة إلا أنه يحدث ما يدل على عكس تلك الأهمية وذلك الخطر. وقد اتفقت تلك الدلالة مع قول التوحيدي عن المغرور المتمادي في غروره وفجوره:

"عنده أن الحزم كله في معاطاة الكأس بعد الكأس وشرب الخمر بعد الخمر ... ولو بخرق الدين ... " ^(٣) .

ويقول التوحيدي في سياق يفيد النصح حيث تفيد "لو" التقليل:

"يا هذا: إن كنت ظامئاً فردْ ولو حبوا" ^(٤).

على تقدير ولو كان حبوا، أى فرد، ولو كان أقل الورود، والظماً هنا كناية عن البعد عن الدين، وعن الله، والورود قرب من الدين، ومن الله.

-اجتماع القسم والشرط :

وورد النمط:

قسم + أداة الشرط (إن) + جملة الشرط + جواب القسم.

والنمط:

قسم + أداة الشرط (لو) + جملة الشرط + جواب الشرط.

اقترن القسم بالشرط في "الإشارات" في بعض المواضع، ومعلوم أنه لو اجتمع الشرط والقسم، فإن الجواب يكون للمتقدم منهما. يقول سيبويه: "فإذا بدأت بالقسم لم يجز إلا أن يكون

(١) الكتاب : ج ١ ، ص ٢٧٠ .

(٢) مغني اللبيب : ج ١ ، ص ٢٦٨ .

(٣) الإشارات : ص ٢٠١ . كذلك انظر ص ٢٣٣ .

(٤) الإشارات: ص ٣٢٠ .

عليه، ألا ترى أنك تقول لئن أثبتت لا أفعل ذلك لأنها لام القسم ولا يحسن فى الكلام لئن تأتت لا أفعل لأن الأخير لا يكون جزماً" (١).

ومفهوم هذا القول أنه لا ينبغي أن يكون الجواب جواب شرط إذا بدأ بالقسم وتلى بالشرط، فالأولى أن يكون الجواب للقسم المبدوء به لأن اليمين فى هذه الحالة ليس اعتراضياً لتأكيد الكلام فقط مثل قولنا "أنا - والله - إن تأتت آتت"، فاليمين لا تكون لغوا فى حالة البدء به، ويكون لآخر الكلام، وما بينهما (أى جملة الشرط) لا يمنع الآخر أن يكون على اليمين (٢) فلا يصح جزم الفعل فيه، ويكون جواب القسم مغنياً عن جواب الشرط المحذوف ومفهوماً له.

ذلك ما يخص اجتماع القسم والشرط غير الامتناعى أى الشرط المتضمن أدوات الشرط عدا (لو - لولا - لوما) التى تدل على امتناع الجواب. أما ما يخص اجتماع القسم والشرط الامتناعى الذى يتضمن الأدوات السابق ذكرها فإن الجواب يكون للشرط الامتناعى سواء أكان متقدماً على القسم أم متأخراً عنه (٣).

ورد القسم باللام مقترناً بأداة الشرط "إن" فى موضع واحد من الإشارات وكان الجواب للقسم المتقدم على حسب القاعدة، والقرينة فى ذلك اقتران فعل جملة جواب القسم المضارع المثبت الذى لم يقع باللام الداخلة على جواب القسم والنون (٤) اللذين يفيدان توكيد الوقوع مستقبلاً.

يقول التوحيدى فى سياق يفيد النصح:

"لئن بذلت قليلاً لتعوضن كثيراً، ولئن نصبت يسيراً لتستريحن طويلاً" (٥).

وقد ورد القسم والشرط الامتناعى بـ "لو" مجتمعين حيث كان الجواب للشرط الامتناعى، وجاء جملة فعلية فعلها ماضٍ مثبت بالصيغة أو بالقرينة الزمانية "كان"، وقد اقترن باللام التى تقع فى جواب "لو" لتأكيد الارتباط بين جملة الشرط وبين جملة جواب الشرط. يقول التوحيدى:

"والله لو كان هذا (يقصد حديثه) كله هزلاً لا جد معه، أو لعباً لا قصد فيه ... لكان ينبغي أن تراه غنيمة باردة، وكنزاً مظفوراً به ... " (١).

(١) الكتاب: ج ٣، ص ٨٤.

(٢) نفسه.

(٣) النحو الوافى، ج ٤، ص ٤٨٨.

(٤) الكتاب، ج ٣، ص ١٠٤.

(٥) الإشارات: ص ٣١٤.

وورد الجواب ماضيا منفيًا غير مقترن باللام في موضع واحد، إذ كان جواب الشرط الواقع بعد "لو" ماضيا، منفيًا، يغلب عدم اقترانه باللام.

يقول التوحيدى :

"والله لو ظاهرك على هذه النعم الجسيمة وعلى إحصاء هذه القسم الكريمة الثقلان: الجن والإنس ما قدرت على عشرين من ذلك" (٢) .

نجد أن الجواب في المثالين السابقين غير متحقق (امتناع) لأن الشرط غير متحقق (امتناع)، وهذا هو المعنى الذي تؤديه " لو " ؛ فكان الجواب للشرط .

(١) الإشارات: ص ١٦ .

(٢) الإشارات: ص ٣٣١ . توجد أمثلة في صفحات ١٦ ، ١٢٢ ، ١٧٤ ، ٢٠٠ ، ١٨٨ ، ٢٩٦ .

٢- الجملة الفعلية التى يقع فعلها مجزوماً فى جواب الطلب:

وقد اتضح وجود نوع آخر من الجملة التى تمتد عن طريق الترتب، وتمثل ذلك فى الجملة الفعلية التى يقع فعلها مجزوماً فى جواب الطلب أى مسببة عنه كتسبب جزاء الشرط (جواب الشرط) عن فعل الشرط ^(١)؛ فهو نمط شرطى بدون أداة شرط تكون قرينة على التعلق. يقول سيبويه "إنما انجزم هذا الجواب كما انجزم إن تأتتى بإن تأتتى، لأنهم جعلوه معلقاً بالأول غير مستغن عنه إذا أرادوا الجزاء كما أن إن تأتتى غير مستغنية عن آتاك" ^(٢).

وينجزم الفعل فى هذا النوع من الجزاء الخالى من الأداة الدالة عليه "إذا كان جواباً لأمر أو نهى أو استفهام أو تمن أو عرض. فأما ما انجزم بالأمر فقولك: انتتى آتاك. وأما ما انجزم بالنهى فقولك: لا تفعل يكن خيراً لك. وأما ما انجزم بالاستفهام فقولك: ألا تأتئيني أحدثك؟ وأين تكون أزرك؟ وأما ما انجزم بالتمنى فقولك: ألا ماءً أشربه، وليته عندنا يحدثنا. وأما ما انجزم بالعرض فقولك ألا تنزلُ تصبُ خيراً" ^(٣)، فيكون جزم المضارع الواقع جواباً لتلك الصور من هذا النمط الخالى من الأداة على الأخذ فى الحسبان أن فيها معنى "إن" ^(٤).

وهناك "الحروف التى تنزل بمنزلة الأمر والنهى لأن فيها معنى الأمر والنهى، فمن تلك الحروف: حسبك، وكفيك، وشرعك، وأشباهاها"، تقول حسبك ينم الناس. ومثل ذلك: "اتقى الله امرؤ، وفعل خيراً يثبُ عليه" لأن فيه معنى ليتق الله امرؤ وليفعل خيراً. وكذلك ما أشبه هذا" ^(٥) أى ومثل ذلك بعض الأساليب التى تدل على الأمر وإن لم يكن بالصيغة لدلالة الجزاء عليها.

وفى "الإشارات" اقتصر ورود الفعل المضارع المجزوم فى جواب الطلب الدال على الأمر. وقد اتضحت قرينة الجزم فى بعض المواضع دليلاً على التعلق، والشرطية فى ذلك النمط الخالى من أداة الشرط، وذلك كما فى قوله:

"... املك نفسك من نفسك، تتج نفسك من نفسك لنفسك" ^(٦).

(١) النحو الوافى، ج ٤، ص ٣٨٧.

(٢) الكتاب: ج ٣، ص ٩٣، ص ٩٤.

(٣) الكتاب: ج ٣، ص ٩٣.

(٤) انظر الكتاب، ج ٣، ص ٩٤.

(٥) الكتاب: ج ٣، ص ١٠٠.

(٦) الإشارات: ص ٢١١. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ١٦، ١٣٤، ١٥٢، ٢٥٩، ٢٦١، ٤٤٢.

إذ دلت قرينة جزم فعل الجواب "تنج" على معنى التعلق بينه وبين فعل الطلب الذى يفيد الأمر "املك". ولكننا نجد موضعين لم تتضح فيهما قرينة الجزم فى فعل الجواب، حيث لم تظهر علامة الجزم فى بنية الفعل ، إذ ورد صحيحا، فكانت القرينة إذ ذاك هى المعنى؛ وذلك فى قوله إذ تخيل حديثا مع الذات العلية:

"فاحترس الآن منا نحرسك بأنفسنا" (١) .

وقوله:

" اشهدُ ضعفك فى قوتك ، وأشرف على قوتك فى ضعفك ، تجدك منقوصا بعد الزيادة" (٢) . حيث لم تتضح قرينة الجزم وهى السكون فى هذين الموضعين ولكن يبدو من المعنى التعلق بين الفعلين، ففي المثال الأول : إن احترس العبد من الله واتقى مكره، فسيحرسه الله، فحراسة الله جزاء معلق على الاحتراس من الله الذى هو بمعنى " الإحسان" . وفى المثال الثانى: فإن الشعور بالنقصان سينبع عند الإحساس بالضعف والشعور به فى ثنايا القوة. وعلى هذا فحراسة الله ليست قائمة إلا بقيام فعل الطلب " احترس " ، والشعور بالنقصان ليس قائما إلا بقيام فعل الطلب (اشهد).

(١) الإشارات: ص ١٨٠ .

(٢) الإشارات: ص ٣١٣ .

٣-الفعل المضارع المنصوب بعد فاء السببية الجوابية على إضمار ((أن)) :

وردت الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع المنصوب على إضمار "أن" الناصبة للفعل المضارع بعد فاء السببية الجوابية المقترنة بفعل جملة جواب الطلب، وجملة جواب النفي المحض، وقد طالت الجملة بها طول ترتب حيث تكون جملة الجواب متسببة عن جملة الطلب أو جملة النفي ونتيجة لها، وذلك كما فى قوله تعالى: "لا تفترؤا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب" (سورة طه، آية ٦١)، وقوله تعالى: "لا يقضى عليهم فيموتوا" (سورة فاطر، آية ٣٦) ^(١)، حيث وقعت جملة "يسحتكم" جوابا لجملة الطلب "لا تفترؤا" متسببة عنه، فاقترنت الفاء بالفعل المضارع الذى انتصب بأن مضمرة، وكذلك وقعت جملة "يموتوا" جوابا لجملة النفي "لا يقضى" وقد انتصب الفعل المضارع "يموتوا" بعد "أن" مضمرة فحذفت النون.

وقد اقتصر ورود الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع المنصوب على إضمار "أن" واقعة جوابا لجملة الطلب حيث أفاد فى مواضعه الاستفهام - الأمر - النهى - التحذير فترتبت جملة الجواب على جملة الطلب.

يقول التوحيدى طالبا من "هذا" أن يستمع إليه:

"فهل من صبر فأَتَقَدِّمَ على مقدرة؟، أو هل تتوقف محتاطا فأَتَأَخَّرَ عن معذرة؟" ^(٢).

(١) الكتاب ، ٣، ص ٢٨ وما بعدها. كذلك انظر : النحو الوافى : ج٤ ص ٣٥٤ وما بعدها.

(٢) الإشارات: ص ٣٩٥. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٢٨٩، ٣٠٣، ٣٢٠، ٣٤٦، ٣٧٣، ٤٢٢، ٤٥٩.

الفصل الثالث

أعراض الجملة وتحولاتها

تمهيد

أعراض^(١) الجملة وتحولاتها:

العَرَضُ في اللغة: من أحداث الدهر من الموت والمرض ونحو ذلك قال الأصمعي: العَرَضُ الأمر يُعَرَضُ للرجل يُبْتَلَى به، والعرض والعارض الآفة تعرض في الشيء وجمع العرض أعراض... والعرض في الفلسفة ما يوجد في حامله ويزول عنه من غير فساد حامله، ومنه ما لا يزول^(٢).

وقد أوضح السيرافي العَرَض اصطلاحاً، فقال "يعنى ما يعرض في الكلام فيجىء على غير ما ينبغي أن يكون عليه قياسه"^(٣).

يحدد سيبويه البنية الأساسية^(٤) للجملة بنوعيتها، فيقول في باب المسند والمسند إليه: "هذا باب المسند والمسند إليه وهما ما لا يغنى واحد منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بُدأً. فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبنى عليه (يعنى الخبر) وهو قولك عبد الله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك يذهب عبدالله، فلا بد للفعل من اسم كما لم يكن للاسم الأول بد من الآخر في الابتداء"^(٥).

تتكون الجملة الاسمية في أبسط صورها، إذ تكون توليدية نواة، من المسند إليه (المبتدأ) + المسند (الخبر)، وتتكون الجملة الفعلية في أبسط صورها من المسند (الفعل) + المسند إليه (الفاعل). وتتسع تلك الجملة النواة بعناصر لغوية تدخل في علاقات تركيبية مع عنصرى الجملة وتكون مكملات، أو متعلقات للفعل في الجملة الفعلية، فتسهم في إتمام المعنى. ولكن هناك ما يطرأ على تلك البنية من تحولات وتغييرات من شأنها أن تنتج تراكيب ذات شكل جديد، تضيف على المعنى ثراءً وتضيف إليه أبعاداً، ووجهات دلالية أخرى يريدها المبدع ولا تقي بها الصورة الأساسية للجملة.

^(١) ورد هذا المصطلح - الذى يتفق إلى حد بعيد مع مصطلح التحويل عند التحويليين - عند سيبويه حيث يقول: "هذا باب ما يكون في اللفظ من الأعراض". الكتاب، ج ١، ص ٢٤.

^(٢) لسان العرب: مادة عرض.

^(٣) الكتاب: ج ١، ص ٢٤، هامش ٢.

^(٤) يقابل "البنية الأساسية" للجملة مصطلح الجملة التوليدية النواة في نظرية النحو التحويلي لتشوسكى، كما ذكرت آنفاً، وعندما يطرأ على تلك البنية الأساسية أو تلك الجملة التوليدية النواة أحد عناصر التحويل (تغيير الترتيب - الزيادة - الحذف - ...) فإنها تصبح جملة تحويلية.

^(٥) الكتاب: ج ١، ص ٢٣.

تلك التغييرات والتحويلات فى الجملة كثيرة أهمها: -الحذف-التقديم والتأخير (تغيير الترتيب)-
الزيادة.

ومن الطريف أن يسمى ابن جنى تلك التغييرات وتلك التحويلات، بوصفها رد فعل لغوى لإرادة الكاتب المبدع فى التعبير، "شجاعة العربية"⁽¹⁾ فإن ما يحدث لبعض عناصر الجملة، أو ما يحدث لبنية الجملة فى مجموعها من التغييرات السابقة الذكر ما هو إلا شجاعة، وقدرة، ومرونة، وكيفيات أتاحتها اللغة ؛ لتمكن المبدع من التعبير كيفما أراد فمن أين يولد الإبداع؟، وكيف السبيل إلى توصيل المعنى المختلف والمغاير إن لم يحدث تقديم لما حقه التأخير وتأخير لما حقه التقديم، وحذف لما حقه الذكر، وذكر لما حقه الحذف، ... إلى غير ذلك من أشكال التعبير؟

وكل تحول من هذه التحويلات ما هو إلا طريقة (أسلوب)، وشكل من أشكال التعبير فى تأليف الجملة. يقول عبد القاهر "وإذ قد عرفت أن مدار أمر "النظم" على معانى النحو، وعلى الوجوه والفروق التى من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها ونهاية لا تجد لها ازدياداً بعدها، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها فى أنفسها ومن حيث هى على الإطلاق، ولكن تُعرض بسبب المعانى والأغراض التى يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض"⁽²⁾.

ويتابع عبد القاهر فى موضع آخر مشيراً إلى هذه الأعراض والتحويلات والفروق والوجوه التى هى تخير لمواضع العناصر اللغوية، فيقول: "...فليس الفضل للعلم بأن "الواو" للجمع، "والفاء" للتعقيب بغير تراخ، و"ثم" له بشرط التراخى، و "إن" لكذا، و"إذا" لكذا، ولكن لأن يثأتى لك إذا نظمت شعراً وألفت رسالة أن تحسن التخير، وأن تعرف لكل من ذلك موضعه... والمزية لو كانت تجب من أجل اللغة والعلم بأوضاعها وما أراده الواضع فيها لكان ينبغى أن لا تجب...بالفصل وترك العطف، وبالحذف والتكرار، والتقديم والتأخير، وسائر ما هو هيئة يحدثها لك التأليف ويقتضيها الغرض الذى تؤم والمعنى الذى تقصد"⁽³⁾.

(1) الخصائص، ج ٢، ص ٣٦٢ وما بعدها.

(2) دلائل الإعجاز: ص ٨٧.

(3) دلائل الإعجاز: ص ٢٥٠.

وهناك من الأعراض والتحويلات ما تقره القاعدة النحوية^(١) ، وتوجيه كما فى وجوب تقديم ما يتعلق بالخبر المحذوف من جار ومجرور أو ظرف على المبتدأ النكرة، وهناك وجوب حذف خبر "لولا" الإمتناعية إذا كان كوناً عاماً...، وغيرها كثير. ومنها ما هو عدول عن الأصل كما فى حذف المبتدأ فى قوله تعالى: "طاعة وقول معروف" (سورة محمد، آية ٢١) أى أمرنا طاعة وقول معروف وهو كثير^(٢)، وهذا الجواز الذى هو عدول عن الأصل لدلالة ما مسموح به ما دام المعنى واضحاً غير ملتبس، ويدل عليه السياق اللفظى أو الموقف. وعندما "يقول ابن مالك مثلاً:

والأصل فى الأخبار أن تؤخر وجوزوا التقديم إذ لا ضرراً فإن معناه أن تقديم المبتدأ هو الأصل، والأصل فى النحو يتفق عادة مع المنطق الفطرى، فهذا المنطق يقضى بأنك إذا أردت أن تتحدث عن أمر ما سميته أولاً، ثم عيّنت بما تريد تقريره عنه فإذا عكست هذا الوضع، فقد عدلت عن الأصل الذى يقتضيه المنطق الفطرى، ولا يدفعك إلى ذلك إلا مؤثر آخر غير منطقي، أى مؤثر وجداني"^(٣).

إذن فهناك القاعدة (النموذج)، وهناك تحولات عن القاعدة إما تلك التى فرضتها اللغة ونظامها وإما تلك التى أجازها الاستعمال وأجازها واقع اللغة وتلك التى وردت فى كتب اللغويين والبلاغيين القدماء، وإما تلك التى تفرضها إرادة المبدع ذاته فتكون مخالفة؛ وذلك لزيادة كشف عما يريده، وهذا يتضح بشكل كبير من خلال إبداعات المحدثين الشعرية. فممارسة المبدع لأى من تلك الحالات اختيار يعزى إليه يكشف من خلاله عن رؤيته وعما فى سريره.

ومن أبرز التحويلات والأعراض التى عرضت للجملة فى نص الإشارات:

الحذف- تغيير الترتيب (التقديم والتأخير)- الزيادة ومنها الاستفهام والاعتراض. وسوف أتناول تلك التحويلات بالدراسة للكشف عند مقدرة التوحيدى فى الإفادة من "شجاعة العربية".

^(١)الأصول، دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوى عند العرب، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢، ص ١٣٠ وما بعدها.

^(٢) الخصائص: ج٢، ص ٣٦٤

^(٣)اللغة والإبداع: شكرى محمد عياد، انترناشيونال برس، ط١، ١٩٨٨، ص ٨٦.

المبحث الأول

من عناصر التحويل في الجملة:

الحذف Deletion

الحذف^(١) هو نقص عنصر أو أكثر في بنية الجملة سواء أكان إسنادياً أم غير إسنادي لدلالة معينة دون الإخلال بالفائدة التي يحسن السكوت عليها ، فهو وسيلة لغوية تبين عما في النفس. وليس هناك تناقض بين الحذف والإبانة "فالصمت عن الإفادة أزيد للإفادة"^(٢). وقد يكون الإنسان في موقف ما^(٣) أنطق ما يكون إذا لم ينطق، وأبين ما يكون إذا لم يُبين^(٤).

ولكى يؤدي الحذف وظيفته في الإبانة، ويكون في موضعه أحسن من الذكر، ويكون "إضماره في النفس أولى وأنس من النطق به"^(٥). لا بد أن يدل على هذا الحذف دليل ليعلم موضعه لدى القارئ والسامع وإلا أصبح ضرباً من الغموض وضرباً "من تكليف علم الغيب في معرفته"^(٦) و"لغواً من الحديث لا يجوز بوجه"^(٧)، فيفقد التواصل بين المنشئ والمستقبل ويفقد الحذف غرضه بوصفه نمطاً من الإفادة، وشكلاً تعبيرياً متميزاً؛ وذلك لأنه يؤدي إلى توسيع دائرة الدلالة والتصور بالنسبة للمتلقى^(٨) الذي يجتهد للوصول إلى هذا المحذوف الذي ربما يتعدد متناسباً مع الأحاسيس والأفهام المتعددة.

وقد أوضح ابن عصفور في "المقرب" أسباب الحذف عند حديثه عن السبب الذي لأجله يحذف الفاعل في "باب ما لم يسم فاعله" وهي أسباب يمكن أن تنطبق على غيره من العناصر اللغوية المحذوفة، فيقول: "وأما السبب الذي لأجله يحذف الفاعل فإنه يحذف إما لعلم المخاطب، أو لجهل المخاطب، أو للخوف منه، أو للخوف عليه، أو للتعظيم، وذلك إذا كان المفعول حقيراً، أو

(١) "وإنما كلامنا على حذف ما يحذف وهو مراد". الخصائص: ج٢، ص ٣٨١.

(٢) دلائل الإعجاز: ص ١٤٦. كذلك المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٩٠م، ج٢، ص ٧٧.

(٣) حالي أو مقالي.

(٤) دلائل الإعجاز، ص ١٤٦. كذلك المثل السائر، ج٢، ص ٧٧.

(٥) دلائل الإعجاز: ص ١٥٣.

(٦) الخصائص: ج٢، ص ٣٦٢.

(٧) المثل السائر: ج٢، ص ٧٧.

(٨) تحليل لغوي أسلوبى لنصوص من الشعر القديم، عبدالرحيم الرحموني، دار الأمان، الرباط، ط ١، ١٩٩٠م، ص ١٦، ص ١٧.

للتحقير، وذلك إذا كان المفعول عظيماً، أو إيثاراً لغرض السامع، أو لإقامة الوزن، أو لتوافق القوافي، أو لتقارب الأسجاع^(١). ويمكن أن تكون هذه أسباب عامة لسائر المحذوفات كما ذكرنا. وقد حوى كثير من كتب القدماء^(٢) مواضع الحذف والاختصار^(٣).

(١) المقرَّب: ابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى، وعبد الله الجبورى، مطبعة العانى، بغداد، ١٩٨٦م، ص ٨٦.

(٢) على سبيل المثال كتب: "تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة، و"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني، و"الخصائص" لابن جنى، الجزء الثانى، و"مغنى اللبيب" لابن هشام، الجزء الثانى، و"المثل السائر" لابن الأثير، الجزء الثانى، والأقصى القريب في علم البيان للتتوخي .

(٣) يريدون بالاختصار "الحذف لدليل" (مغنى اللبيب، ج٢، ص ٦١١) "إما بجرى ذكر أو دليل حال" (دلائل الإعجاز، ص ١٥٥)، أى أنه مقصود ومنوئ، ومعين، ولكن يراد إخفاؤه لغرض ما، وقد يكون فى خفائه ظهوره. والمقصود "بجرى ذكر" أى دلالة المقال عليه، يقول عبد القاهر "ومن المواضع التى يطرد فيها حذف المبتدأ القطع والاستئناف، يبدأون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره ثم يدعون الكلام الأول، ويستأنفون كلاماً آخر، وإذا فعلوا ذلك، أتوا فى أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ مثال ذلك قوله (الهاء تعود على الشاعر عمرو بن مع يركب):

وعلمت أنى يوم ذا ك منازِلُ كَغَباً ونَهْداً

قوم إذا لبسوا الحديد د تَمَرُوا حَلَقاً وقَدَا (دلائل الإعجاز: ص ١٤٧، ص ١٤٨).

والمقصود بـ "دليل حال" هو السياق غير اللغوى، وفى ذلك يقول ابن جنى عند حديثه عن حذف الصفة التى قد دلت الحال عليها فحذفت "وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سِيرَ عليه ليل وهم يريدون: ليل طويل. وكان هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلّ الحال على موضعها. وذلك أنك تحس فى كلام القائل لذلك من التطويح، والتطريح، والتفخيم، والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك (يفهم من "نحو ذلك" أن المحذوف قد يتعدّد تقديره كما ذكرت آنفاً) وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملت، وذلك أن تكون فى مدح إنسان والثناء عليه، فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد فى قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة، ولتتمكن فى تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها أى رجلاً فاضلاً أو شجاعاً، أو كريماً، أو نحو ذلك... وعلى هذا وما يجرى مجراه تحذف الصفة، فأما إن عريت من الدلالة عليها من اللفظ أو من الحال فإن حذفها لا يجوز" (الخصائص: ج٢، ص ٣٧٢، ص ٣٧٣). إذن فلا بد من دليل على المحذوف وإلا فإن " هذا لغو من الحديث وجور فى التكليف" (الخصائص: ج٢، ص ٣٧٣)

= وقد أورد ابن قتيبة كثيراً من نماذج الاختصار لدليل، يقول: "ومن الاختصار: القسم بلا جواب إذا كان فى الكلام بعده ما يدل على الجواب... قوله عز وجل: (والنازعات غَرْقًا، والناشطات نشْطًا والسابحات سَبْحًا،

وقد تنوع المحذوف فى نص "الإشارات" ما بين حرف ومفرد وتركيب وجملة.

- حذف الحرف:

تنوعت الحروف المحذوفة وكان أهمها:

- حذف حرف النداء:

حذف حرف النداء مع صيغ المنادى: إلهى، إلهنا، حبيبى، سيدى، أحنأى، أحنأبى، أئى^(١). وحذف أداة النداء مع المنادى فى الإشارات يعكس القرب الشديد والتودد للآخر المنادى إما لكسب عطفه ومشاركته وإما لاستتمالته عند النصح. أما حذفها مع المنادى "الذات العلية"

فالسابقات سبأ، فالمدبرَات أمرأ) (سورة النازعات: الآيات من ١-٥) ثم قال: (يومَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ) (سورة النازعات: آية ٦) ولم يأت الجواب لعلم السامع به، إذ كان فيما تأخر من قوله دليل عليه، كأنه قال: والنازعات وكذا وكذا، لتُبَعَثَنَّ... ومنه: أن تحذف "لا" من الكلام والمعنى إثباتها كقوله سبحانه: (تالله تفتؤ تذكر يوسف) (سورة يوسف: آية ٨٥) أى لا تزال تذكر يوسف... (تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، شرح ونشر: السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٣م، ص ٢٢٣، ص ٢٢٤، ص ٢٢٥. كذلك انظر الصفحات من ٢١٠-٢٢٢، الصفحات ٢٢٦-٢٣١).

وعكس "الاختصار" "الاقتصار" وهو الحذف لغير دليل ويمثلونه بحذف المفعول فى نحو قوله تعالى: "كلوا واشربوا" (سورة البقرة: آية ٦٠) أى أوقعوا هذين الفعلين فليس المقصود تعيين المفعول وهو نوع الأكل والشراب، بل المقصود بـ وقوع الفعلين فى إطار عدم الإسراف إذ يقول تعالى بعد ذلك "ولا تسرفوا" فاقصر على الفعل والفاعل. ويتضح هذا الاقتصار أيضاً فى قوله تعالى: "ربى الذى يحيى ويميت" (سورة البقرة: آية ٢٥٨) فالمراد أن الله هو الذى يفعل الإحياء والإماتة. (مغنى اللبيب، ج ٢، ص ٦١٢) فهذا النوع من الحذف يُعمد إليه للدلالة على التركيز على أهمية المذكور بغياب المحذوف لعمومه، ومعرفة العقل به وفى الحذفين (الاختصار والاقتصار) إثارة مخيلة الذهن لتحسس العنصر الغائب تحقيقاً للتواصل والتفاعل بين المنشئ وبين القارئ أو السامع، وقد أثر عن العرب قولهم "من يسمع يخل" (مغنى اللبيب، ج ٢، ص ٦١٢) وقياساً على هذا يمكن القول "من يقرأ يخل".

(١) أما المنادى "اللهم" الذى افتتح به كثير من الفقرات، ولا سيما فى بداية الرسائل فقد ورد دون إثبات أداة النداء، وهو من الواجب؛ إذ إن الميم فى اللهم "ها هنا بدل من يا" فهى ها هنا فيما زعم الخليل رحمه الله فى آخر الكلمة بمنزلة "يا" فى أولها" (الكتاب: ج ٢، ص ١٩٦).

فهى تعكس التأدب، فالله هو القريب من عباده^(١).

يقول التوحيدى على سبيل المثال:

"اسمع أيها الجليس المؤانس، والصاحب المساعد حتى أصف لك تصارييف حالى، ومتقلب أمرى وجميع ما يدل على شكرى، وشكواى، وراحتى، وبلواى..."^(٢).

ويقول أيضا:

"أيها الحيران فى سعيه..."^(٣)

ويقول:

"أيها المستأنس بالوحشة..."^(٤).

ويقول:

"إلهى: كل ما أقوله فأنت فوقه..."^(٥).

(١) ومقابل ذلك توجد مواضع تثبت فيها أداة النداء "يا" عند مناجاة الله، وهنا ينتفى القول بأن أداة النداء "يا" لنداء البعيد المتراخى، أو المعرض، أو النائم كما يقول الزمخشري (شرح المفصل، ج١، ص ١٥) يقول التوحيدى: "فياولى النعم، ويا محرك الهمم، وياواهب القسم، ويا مذكورا بالكرم، ويا معروفاً عند جميع الأمم، ويا موجوداً على بُعد ... ويا مناجى بصنوف الكلم، ويا معبوداً على القدم، ويا منشئاً من العدم، ويا جاعلاً من شئت كالعالم ويا من علم بالقلم" (الإشارات: ص ١٤٦) فيعطينا التوحيدى إيحاء بانفعال نفس وجيشان شديدين، وكأنه يصرخ ويستغيث بالله، فهو فى أمس الحاجة إليه، فيأتى النداء كاملاً ويكون "كتلة نطقية واحدة" (من وظائف الصوت اللغوى: ص ١٠٤). ولا يخفى ما فى ألف المد فى "يا" من الامتداد والإطالة تتناسب وتلك الاستغاثة.

وتوجد مواضع تثبت فيها أداة النداء أيضاً عند نداء الآخر حيث تعكس مدى الغفلة من قبل المنادى المنصوح ومدى انحرافه وميله، فيحتاج إلى الإفاقة، والتنبيه، والقلقلة. يقول التوحيدى على سبيل المثال: "يا عدو نفسه، يا جانبا على روحه، يا جالبا لحقته بيده، يا شاربا للسم بكأسه على علم منه به" (الإشارات: ص ١٦٢).

وقد يراوح بين حذفها وإثباتها مراوحته بين الشدة واللين فى أسلوب النصيح فيقول: "يا أهل الجفاء، تأهبوا لقوارع البلاء، يا أهل الولاء، توقعوا حلاوات الصفاء، يا أهل الغرق فى النعم، تقربوا إلى واهبها بالهبة منها، أيها المعرضون عن الله، استأنفوا إقبالكم إليه" (الإشارات: ص ٣٣٢).

(٢) الإشارات: ص ١٠.

(٣) الإشارات: ص ١٤٠.

(٤) الإشارات: ص ١٤٧.

(٥) الإشارات: ص ٢٠٩.

- حذف الرابط اللفظي:

ويتبع حذف حرف النداء في الشيع حذف الرابط اللفظي: أداة العطف - "اللام" و "الفاء" الواقعتين في جواب الشرط.

- حذف أداة العطف:

حذفت أداة العطف في مواضع كثيرة ، ويؤدي ذلك الحذف إلى تعدد الوظيفة النحوية سواء أكانت للمفردة أم للتركيب (التركيب غير المستقل) الذي يحل محل المفرد فيؤدي ذلك إلى طول الجملة الكبرى، وامتدادها، واتساعها، وامتداد المعنى وتشعبه. وفي حذف العاطف دمج بين المفردات والتركيب والجمال بعضها ببعض فتتحد معانيها في الوقت نفسه، وتتداخل وتتكاتف فلا يفصل بينها فاصل معبرة عن الحالة الشعورية ومعبرة كذلك عن الموقف والرؤية. يقول التوحيدي، ناصحاً المخاطب:

"...انظر: هل تجد لهذا الكلام مصافحة له، أو أثراً فيه ... فإن كنت تجد فأنت، والله، المخصوصُ بالمنحة الكبرى، المعمومُ بالنعمة العظمى، المرشَّحُ للغاية القصوى، المرادُ بصادق البشري، المذكورُ في الملاء الأعلى، المأخوذُ بيده إلى سدره المنتهى، المقرَّبُ إلى الذروة العليا بلا عدوى ولا دعوى" (1).

فما أعظم عاقبته إذا انتصح، فقد تتابعت بشارات التوحيدي ؛ ترغيباً له حتى وصلت أقصاها: "المقرب إلى الذروة العليا" حيث الذات الإلهية، أما إذا لم ينتصح فيقول له : "فأنت والله الشقي، اللقي" (2)، المطرودُ من باب الكرامة إلى فناء الهوان" (3).
فما أتعس عاقبته حيث يجتمع الشقاء والشر والطرْد من عزة الله إلى ذلة الفناء؛ تنفيراً له.

ويقول في موضع آخر:

"يا هذا: ... ثبَّ عن مكانك هذا وثبة الطالب لنجاته، العاملِ بوصاته، الواثقِ برجائه، الكابِتِ لعداته، النازعِ إلى مسرَّاته، النائلِ لحياته، الجامعِ بين ولاته وحُماته، الواصلِ إلى هُداته وثقَّاته، المتخلصِ من آفاته وعاهاته" (4).

(1) الإشارات: ص ٢٨٠.

(2) أى "لا يزال يلقي شراً" لسان العرب، ج٥، مادة لقا.

(3) الإشارات: ص ٢٨٠.

(4) الإشارات: ص ٣٠٣.

حذف العاطف بين المضافات إليها فتعددت ، فتكثف تخصيص المضاف "وثبة" فهي ليست وثبة "الطالب لنجاته" فقط أو وثبة "العامل بوصاته" فقط أو وثبة ... فقط بل هي وثبة هؤلاء جميعاً.

ويقول أيضاً حيث ربط ربطاً سياقياً بين تركيبى الحال:

"فإن كنت من الذين عمّتهم نعمته (أى نعمة الله) وأنت قانع بذلك، لا تتوق إلى أكثر منه، فأنت على شأنك غير ملوم ولا مذموم" (١) ..

ومن حذف العاطف بين الجمل حيث ربط بينها ربطاً سياقياً قوله:

"... هذا ربيع لا يرعاه إلا المهزولون، هذا منهلٌ لا يريده إلا اللاهثون ، هذا صوب لا يستسكبه إلا المُمجّلون ، هذا فناء لا ينزله إلا المطرودون، هذا مقام لا يصبر عليه إلا المقبولون، هذا حرم لا يختاره إلا المخصوصون ، هذا باب لا يقرعه إلا المتقون، هذا غناء لا يطرب عليه إلا العاشقون ، هذا بساط لا يطؤه إلا المقرّبون، هذا عتاب لا يستلذه إلا المهجورون، هذا سر لا يفهمه إلا المحترقون، هذا غيب لا يشهده إلا المُصطَفَوْنَ ، هذا ... " (٢).

- حذف "اللام" و "الفاء" الواقعتين فى جواب الشرط:

حذفت "اللام" الرابطة بين تركيبى جملة الشرط المصدرة بـ "لو" (٣) وذلك كما فى قوله: "قلو انكشف عنك غطاء أمرى وبدا لتصفحك وجه عذرى أشرفت على حقيقة عُرْفى ونُكرى ... " (٤) .

حيث ورد فعل جملة الجواب "أشرفت" ماضياً مثبتاً والأكثر اقترانه باللام (٥).

وحذفت الفاء الرابطة بين تركيبى جملة الشرط حيث يجب اقترانها (٦) به، وذلك كما فى

قوله:

(١) الإشارات: ص ٩٩ .

(٢) الإشارات: ص ٤١٣ .

(٣) سبق توضيح ذلك فى مبحث اتساع الجملة بالترتب .

(٤) الإشارات: ص ٢٤٥ . توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات: ٣٠ ، ٣٥ ، ٢٨٦ ، ٣٤٩ ، ٣٩٤ .

(٥) فى مقابل حذف اللام المقترنة بجواب "لو" فى تلك الحالة، نجد ثبوتها واقترانها بجوابى "لو"، و"لولا" فى حالة الماضى المنفى والأكثر عدم اقترانها به وذلك كما فى صفحات: ١٨ ، ١٢٢ ، ١٨٠ ، ٢٣٥ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٤٣٨ .

(٦) سبق توضيح ذلك فى مبحث اتساع الجملة بالترتب .

"فإذا كانت أياديه عندك قديمة، وجناياتك عنده حديثة، كيف تقول؟" ^(١). أى فكيف تقول؟

-حذف حرف من الكلمة بغرض التخفيف والتناسب الصوتي:

أما عن الحذف بغرض التخفيف حيث اجتمع المتماثلان هروباً من الثقل ^(٢)، فقد تمثل في حذف التاء في أول المضارع، وذلك كما في قوله:

"علم يصح بكل بيان وحجة تَصِحُّ في كل أوان" ^(٣).

حيث حذفت التاء في "تتضح" وهو من تحريف الفعل ^(٤).

ومن تحريف الفعل أيضاً قوله:

"قد أُقِلْتُ العيد. ولبست الجديد" ^(٥).

والمراد: قد استقبلت العيد.

وقوله حيث حُرِّف الحرف ^(٦):

" إلى متى نختان أنفسنا كأنا على رشد أو غبطة ... " ^(٧).

والمراد: كأننا.

أما عن الحذف بغرض التناسب الصوتي مراعاة للتوازن الإيقاعي لنهايات الجمل، فقد ورد كما في قوله:

" ... وليس يكمل لك هذا الرأي ولا ينصع في نفسك هذا النصح حتى تقشر جملتك قشراً ، وتتشرب تفصيلك نشراً ، ثم تطوى معنالك طياً، وترتد عن غيِّك شيئاً فشيئاً" ^(٨).

والأصل: ... وترتد عن غيِّك شيئاً فشيئاً ، فحذفت الهمزة للتناسب الصوتي في المقام الأول.

(١) الإشارات: ص ٤٢٩.

(٢) ظاهرة التخفيف في النحو العربي، أحمد عفيفي، الدار المصرية اللبنانية، ط ١، ١٩٩٦م، ص ١١١.

(٣) الإشارات: ص ١٢٩.

(٤) انظر الخصائص: ج ٢، ص ٤٤٠، ص ٤٤١.

(٥) الإشارات: ص ٢٥٩. كذلك ص ١٢٣، ص ٣٥٩.

(٦) انظر الخصائص: ج ٢، ص ٤٤٢.

(٧) الإشارات: ص ٢٠.

(٨) الإشارات: ص ٢٤٢. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ١٩٣، ٨٧، ٢١٦، ٢٧٥، ٢٨٠، ٣٠٠، ٣١٦، ٣٢٢، ٣٢٧.

ومثل ذلك قوله:

"... وأمست الدنيا وحلوها مرّ ونفعها ضرّ. غلب والله اليأس لما قد غمر الناس" (١).
والأصل: غلب والله اليأس

ومن تحريف الاسم (٢) قوله حيث حذف حرف الياء من كلمة "النادى" لإفادة التناسب الصوتي :

"يا قوم: ماذا أقول لكم، وكيف أعرض نصحي عليكم، وما أنتم في الحقيقة مرادى، بل أنا ذلك المراد، وأنا الحاضر ذلك الناد، وأنا القادح لذلك الزناد ... " (٣).

- حذف حرف النفي:

وذلك كما في قوله متوجهاً إلى الله.

"فنسألك بإلهيتك المشتملة على عبوديتنا وبقدرك المستوفية لعجزنا، وبحكمتك المحيرة لعقولنا، وبرحمتك المتلافية لكل خلل منا إلا (ما) (٤) أغضيت عنا ... " (٥).
والتقدير فما نسألك بإلهيتك ... إلا أغضيت عنا.

- حذف حرف الاستدراك:

حذف حرف الاستدراك "بل" في موضع واحد حيث يقول عن صنع الله وفعله في عالمه:
" ... وطوى الأسرار في الأسرار وطمس صوّاه (٦)، وأخفى الآثار في الآثار، وأدمج أولاهها في أخراها، وعمّ من وجه اشتراك الجميع فيه، وخصّ من وجه اضطرب الكل عليه، فالحس مشغول بزينة عالمه، والعقل مبهور في بدائع صنعه، والنفس ولّهي مع دوام الحاجة إليه، والحجة داحضة عند محاولة الاعتراض عليه. فلا عجبى مما رأيت منه، عجبى منى فيه بما أراذنى منى" (٧).
والتقدير فلا عجبى مما رأيت منه، بل عجبى منى.

- حذف الحرف المصدرى:

(١) الإشارات: ص ٣٢٢.

(٢) الخصائص، ج ٢، ص ٤٣٨.

(٣) الإشارات: ص ٣٧١.

(٤) أضافت الدكتورّة وداد القاضي محققة نص الإشارات حرف النفي "ما" بعد "إلا" وذكرت في الهامش أن هذه الزيادة "زيادة ضرورية". وأرى أنها ليست في موضعها فحق هذه الزيادة قبل الفعل "تسألك" حتى يكون الاستثناء مفرغاً ويؤول الفعل والفاعل بعد "إلا" بمصدر منسبك بغير سابق تقديره "الإغضاء" مفعول به ثان.

(٥) الإشارات: ص ٤٧.

(٦) الصوّة: حجر يكون علامة في الطريق. والجمع صوى وأصواء. لسان العرب، ج ٤، مادة صوى.

(٧) الإشارات: ص ٣٤١.

حذف الحرف المصدرى "أن" حيث يقول:

"عز - والله - على خُتِمت النبوة" ^(١).

والتقدير: عزّ - والله - على أن خُتِمت النبوة. وتوؤل "أن" والفعل بمصدر يعرب فاعلاً تقديره (خُتِم).

حذف المفردات:

- حذف المسند إليه في الجملة الاسمية (المبتدأ):

حُذِفَ المبتدأ في مواضع متعددة من الإشارات، إما اهتماماً بالخبر، وإبرازاً له، وإما اهتماماً بالمبتدأ المحذوف نفسه؛ الأمر الذى يعكس أسلوباً مختلفاً من الاهتمام فى سياق قد يفيد التعظيم، أو التحقير أو يفيد الخطورة أو المساوية وقد يفيد التعميم.

وقد حذف المبتدأ فى الجمل المستأنفة كما فى قوله متحدثاً عن كنف الله عز وجل:

"كنف ما أوى إليه أحد إلا وجد أماناً من البؤس" ^(٢).

والتقدير: هو كنف.

ويقول موبخاً:

"قلب لا يهب فيه نسيم الوجد... " ^(٣).

ويقول أيضاً فى سياق يفيد تحقير الدنيا.

"... وانظر هذه الدار: أدار مقام، فتسكن إليها؟" ^(٤).

والتقدير: أهى دار...؟

وحذف المبتدأ الواقع فى تركيب جواب الشرط كما فى قوله:

(١) الإشارات: ص ٤٣٣.

(٢) الإشارات: ص ٤٥.

(٣) الإشارات: ص ٤١. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٦، ١٤، ٢٣، ٢٨، ٣٣، ٤٥، ٥٩، ١٢٩، ١٣١،

١٣٢، ١٣٣، ١٤٢، ١٥٢، ١٩٣، ٢٠٦، ٢١٣، ٢٤٧، ٢٧٩، ٢٩٢، ٢٩٩، ٣٢١، ٣٢٦، ٣٣٤، ٣٤٣،

٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٨، ٤٦٠، ٣٨١، ٣٨٠، ٣٧٩.

(٤) الإشارات: ص ٤٢٢.

"... اسمع حديثي عن شوق إليك لاهب، ووجد به غالب، وعين نحوك رانية، ونفس في يدك عاتية، وكلّ عندك رهين، وبعض سوء إغفالك له مَهين، وجُلّ إذا سُرّ كاسد، ودِقّ إذا فُتّش فاسد"^(١).

أى: فهو كاسد ...، فهو فاسد.

وقد حذف مبتدأ نائب الفاعل الذى ورد جملة حيث يقول شارحاً حاله :

"... وغضضتُ حتى قيل من العُميان" .^(٢)

أى: قيل هو من العُميان.

وحذف مبتدأ المضاف إليه الذى ورد جملة حيث يقول:

"... فهل من سامع نجوى أهل الحق لباله الكاسف، وطمعنه الآزف إلى صراط الله المستقيم، ومقامه الأيمن حيث لا خوف، ولا حزن، ولا أنين ، ولا حنين حيث قرار معين"^(٣).

فحذف المبتدأ وتقديره "هو" فى جملة المضاف إليه بعد حيث. والتقدير: "هو قرار معين".

وحذف مبتدأ المستثنى الذى ورد جملة فى قوله:

"قالويل لمن رفع بثه إلى غير الله ، ويئس بجهله مما عند الله، وظن أن له فرجاً إلا بالله. اللهم، إنا لا نملك ضرراً ولا نفعاً إلا بك ،ولا نرجو خيراً ولا ميئراً إلى منك، ولا نخاف بواراً إلا عليك، ولا نطمع إلا فيما لديك"^(٤).

والتقدير: ... وظن أن له فرجاً إلا الفرج بالله ... لا نملك ضرراً ولا نفعاً إلا الضر والنفع بك ولا نرجو خيراً ولا ميئراً إلا الخير والمير منك، ولا نخاف بواراً إلا البوار عليك، ولا نطمع إلا الطمع فيما لديك حيث إن كل مبتدأ من المبتدآت (الفرج - الضر - الخير - البوار - الطمع) مع كل متعلق بالخبر المحذوف من المتعلقات الآتية: (بالله - بك - منك - عليك - فيما) فى محل نصب على الاستثناء.

وحذف اسم الناسخ فى قوله: "عنده (يقصد المتماذى فى غروره) أنّ الحزم كله فى معاطاة الكأس بعد الكأس، وشرب الخمر بعد الخمر، ونيل الشهوة بعد الشهوة، وبلوغ اللذة بعد اللذة، ولو

(١) الإشارات: ص ٧٣. توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ١٠، ٢١٠، ٢٦٠، ٢٧٢، ٢٩٦، ٣١٣.

(٢) الإشارات : ص ٢٨.

(٣) الإشارات: ص ٣٧٩.

(٤) نفسه.

بخرق الدين ، ولو بمفارقة المسلمين، ولو بترك الحياء بين جميع المبصرين والسامعين، ولو على رؤوس الأشهاد من الصالحين والطالحين^(١).

فحذف الناسخ "كان" واسمه^(٢) بعد "لو".

-حذف المسند في الجملة الاسمية (الخبر):-

ورد حذف^(٣) خبر لا النافية للجنس في كثير من الجمل حيث أفاد التعميم والإطلاق. وذلك كما في قوله يائسا متحسرا.

"فلا ذكرَ إلا وقد خانته النسيان، ولا عشقَ إلا وقد شعثه السلو ، ولا وجدَ إلا وقد قدح فيه النقص، ولا فؤادَ إلا وقد كُدرَ بالزيب ولا طَرْفَ إلا وقد ازورَ بالملل ، ولا أذنَ إلا وقد برمت بالإصغاء، ولا لسانَ إلا وقد كَلَّ من الإسهاب، ولا صبرَ إلا وقد عزَّبَ عن المساعدة، ولا صاحبَ إلا وقد ملَّ من المجاملة ولا عينَ إلا وقد جمُدت من البكاء، ولا بدنَ إلا وقد فتر من العناء، ولا خاطرَ إلا وقد وقف عن السنوح ولا وجهَ إلا وقد سَمَّج بالكلوح، ولا بالَ إلا وقد كسف بالقنوط ولا حالَ إلا وقد ثبت على الهبوط، ولا عزَّ إلا وقد انتهى إلى الذل، ولا قولَ إلا وقد عيب بال تكرار، ولا صدرَ إلا وقد امتأ بالوجيب، ولا أمرَ إلا وقد استمر على وصف عجيب"^(٤).

(١) الإشارات: ص ٢٠١.

(٢) مغنى اللبيب، ج ١، ص ٢٦٨. كذلك شرح الرضى على الكافية: ج ٤، ص ٩٨.

(٣) في مقابل ذلك فقد ثبت خبر لا النافية للجنس في مواضع ليفيد التخصيص كما في قوله: "لا عينَ تدمع بالاعتذار، ولا يدَ ترفع إلى الله بالاستغفار ، ولا قلبَ يخضع عند تصرّف الأقدار، ولا نفسَ تخشع لما فاتها من التذكرة والاستبصار" (الإشارات: ص ١٤٩).

ويقول في موضع آخر حيث راوح بين ذكر خبر "لا" في بعض الجمل وبين حذفه في الأخرى: "... وعند الحقيقة لا معاج إلا إلى الله ، ولا معرَجَ إلا على باب الله ، ولا ظنَ يحسنُ إلا بالله ، ولا أملَ يصحُّ إلا في الله ولا رجاءَ يستقيم إلا فيما عند الله ، ولا خيرَ يحق إلا عن الله ، ولا توكلَ إلا على الله ، ولا نجاةَ إلا بروح الله ولا أنسَ إلا بكرامة الله ...". (الإشارات: ص ٤٧، ص ٤٨).

(٤) الإشارات: ص ١٤، ص ١٥.

وقد ورد حذف خبر "لا" النافية للجنس وجوباً حيث استعمل التوحيدي أساليب اشتهرت لدى العرب محذوف خبرها للعلم به. من تك الأساليب ("لا جرم" ، و "لا عجب") ^(١) كما في قوله: "فلا جرم لا إشارة ولا عبارة إلا على وجه الاستعارة والإعارة"^(٢).

وحذف الخبر ضمن أساليب شاعت لدى العرب تتضمن الدعاء بالويل والخيبة وتقديره "مطلوب"^(٣) وذلك كما في قوله:

"... الويل لمن أن تحت هذا الثقل الفادح، والخيبة لمن شكا بثه إلى القريب أو النازح"^(٤).

وقد حذف خبر لولا^(٥) إذ ورد دالاً على كون عام^(٦) في جل مواضعه فوجب حذفه للعلم به وذلك كما في قوله:-

"اللهم لولا إذنك لما دعونا إليك، ولولا تفضلك لما دللنا عليك، ولولا إيناسك لما استوحشنا من غيرك، ولولا رجاؤك لما بسطنا إلفنا على خيرك"^(٧).

حيث حذف خبر لولا في كل جملة لدلالته على كون عام تقديره "موجود".

وحذف خبر الناسخ في قوله مناجياً الله:

"اللهم، ... كن لنا دوننا، فإننا إن كنّا كنّا بعجزنا وضعفنا"^(٨).

فحذف خبر "كان" الأولى في "كنا".

(١) انظر: معاني القرآن، الفراء، تحقيق محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ج ٢، ص ٨. توجد أمثلة كما في صفحات ١٤٢، ١٩٧، ٢٠٢، ٢٢٩، ٢٤٦، ٢٥٧، ٢٧٠، ٢٧٥، ٢٩٤، ٣١٦، ٣٢٢، ٣٥٢، ٣٤٠، ٣٦٩، ٣٣٢، ٣٧٤، ٣٧٦، ٤٥١.

(٢) الإشارات: ص ١٩٧.

(٣) النحو الوافي ج ٢، ص ٢٣٢.

(٤) الإشارات: ص ٣٧٥. توجد أمثلة أخرى في صفحات ١٣٧، ٢٠٠، ٢٣٧، ٢٥٣، ٢٩٣، ٣٠٤، ٣٤٣، ٣٦٦.

(٥) سبق أن فصلت الحديث عنها في مبحث الترتيب.

(٦) إذا ورد الخبر دالاً على كون خاص جاز ذكره إذ يقول ابن عصفور في المقرب "... لُحْنُ المعرّي في قوله:

يذيبُ الرعبُ منه كلَّ عصب
فلولا الغنْدُ يُمسكه لسالا"

إذ أثبت الخبر (يمسكه) وهو جائز الذكر لأنه كون خاص (المقرب: ص ٩١). وقد ذكر الخبر الدال على كون خاص كما في قول التوحيدي: "... ولولا أن الرب سبحانه يمسك العقول عن التهافت ... لتبدد منها الشمل الملموم" (الإشارات: ص ١٥٤).

(٧) الإشارات: ص ٣٦١.

(٨) الإشارات: ص ٢٩٠.

وحذف خبر كأن؛ إذ يجوز حذف خبر^(١) الحروف التي تنصب الاسم وترفع الخبر إذا دلّ عليه دليل كما في قول الأعشى:

إِنَّ مَحَلًّا وَإِنْ مَرْتَحَلًّا وَإِنْ فِي السَّفَرِ مَا مَضَى مَهَلًا
أى إن: لنا محلاً^(٢) (على اعتبار أن الجار والمجرور هو الخبر).

وقد حذف خبر كأن في قول التوحيدي محثاً:

"... فاشدد الآن وسطك واطلب قسطك، وشمر ذيلك، وقطّع ليلك، فكأنك وقد رأيت مساءك صباحاً، وظلامك مصباحاً"^(٣).

- حذف المنعوت وإقامة النعت مقامه:

حذف المنعوت وعوض عن المحذوف بالنعت في عدد من المواضع في الإشارات وقد دل السياق اللغوي عليه وذلك كما في قوله متحدثاً إلى منصوحه:

"إِنَّ مُكَلِّمَكَ (يقصد نفسه) لَشَرٌّ مِنْكَ كَثِيرًا، وَأَقْدَمُ مِنْكَ فِي الضَّلَالِ بَعِيدًا"^(٤).

فحذف المنعوت "شرا" وأقيم النعت "كثيراً" مكانه، وكذلك حذف المنعوت "قديماً" وأقيم النعت "بعيداً" مكانه.

ويقول في موضع آخر:-

"يا هذا: قف على قليلاً، واعتبر في طويلاً..."^(٥).

والتقدير: قف على وقوفاً طويلاً واعتبر في اعتباراً طويلاً.

(١) "كما يجوز حذف أسماء هذه الحروف في فصيح الكلام إذا دل على ذلك دليل... إلا أن يكون الاسم ضمير

أمر أو شأن فإنه لا يحسن حذفه إلا في ضرورة... نحو قول الأهطل التغلبي:

إِنَّ مَنْ يَدْخُلُ الْكَنِيسَةَ يَوْمًا يَلْقَى فِيهَا جَاذِرًا وَظَبَاءًا.

والتقدير: إنه" (المقرب: ص ١١٩، ص ١٢٠).

(٢) المقرب: ص ١٢٠، ص ١٢١.

(٣) الإشارات: ص ٣٦٢.

(٤) الإشارات: ص ٢٠٠.

(٥) الإشارات: ص ١٣١ توجد أمثلة في صفحات ٢٧، ٣٩، ٥٢، ٦٠، ١١٢، ١٢٨، ١٤٤، ١٦٠، ١٨٥،

٢١٣، ٢٠٤، ٢١٤، ٢١٨، ٢٣٦، ٢٤٦، ٣٠٠، ٣١٣، ٣١٤، ٣٤٤، ٣٧٣، ٤٥٤.

- حذف المضاف إليه:-

حذف المضاف إليه بعد الظرفين "بعد" و"قبل" حيث بنيا على الضم فحذف المضاف إليه ونُوى معناه دون لفظه^(١)، فعوّض عن المضاف إليه المحذوف بلزوم حركة الضم، وذلك كما فى قوله فى سياق يفيد أهمية ما يأتى من كلام:

"وبعدُ وقبلُ: فإن أمكنك أن تكون يقظان فلا تنعس، وإن استطعت أن تقرر الباب فلا تكسل، ..."^(٢).

والتقدير: وبعدَ كل شىء، وقبلَ كل شىء..

- حذف المنادى:-

يقول ابن هشام عن حذف المنادى: "إذا وَلَّى "يا" ما ليس بمنادى كالفعل فى "ألا يا اسجدوا" (النمل: ٢٥)... والحرف فى نحو: "يا ليتنى معهم فأفوز" (النساء: ٧٣) "يارب كاسيةٍ فى الدنيا عاريةٌ يوم القيامة" والجملة الاسمية كقوله:

يَا لعنة الله والأقوام كُلَّهُمْ والصالحين على سَمْعَان من جَارِ

ف قيل: هى للنداء والمنادى محذوف وقيل: هى لمجرد التنبيه لئلا يلزم الإجحاف^(٣) بحذف الجملة كلها^(٤). ويقول فى موضع آخر حيث يتحدث عن حذف الكلام بجملته "بعد حروف النداء مثل "يا ليت قومى يعلمون" (يس: ٢٦) إذا قيل إنه على حذف المنادى، أى: يا هؤلاء"^(٥).

وقد ورد حذف المنادى الذى من هذا النوع فى الإشارات. كما فى قوله:

"فيا عجباً: أين العطف والرأفة والشفقة..."^(٦).

(١) حاشية الخضرى، ج ٢، ص ١٦.

(٢) الإشارات: ص ٢٨١. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ١٦٠، ٣٢٣، ٣٥٣، ٣٦٠، ٤٠٣.

(٣) هذا الرأى ينتمى إلى بعض النحاة ومنهم "ابن جنى" الذى يقول فى الخصائص: "وقد تُجرّدها من النداء (يقصد: يا) للتنبيه ألبتة نحو قول الله تعالى: (ألا يا اسجدوا) كأنه قال: (ألا ها اسجدوا) ... وأما قول أبى العباس: إنه أراد ألا يا هؤلاء اسجدوا فمردود عندنا" (الخصائص: ج ٢، ص ١٩٨). ويعلق محقق الخصائص فيقول: "وجه رده أن فى حذف المنادى مع حذف الفعل الذى ناب عنه حرف النداء وحذف فاعله إجحافاً". (الخصائص: ج ٢، ص ١٩٨ وهامش ٣ بالصفحة نفسها).

(٤) معنى اللبيب: ج ٢، ص ٣٧٣، ص ٣٧٤.

(٥) معنى اللبيب: ج ٢، ص ٦٤٩.

(٦) الإشارات: ص ٢٧٩. توجد أمثلة كما فى صفحات ١٩٧، ٢٤٦، ٢٨٩، ٣١٢، ٣٢٦.

والتقدير: فيا هؤلاء عجباً، مع ملاحظة حذف الفعل "أعجب" أيضاً، وقد عوض عنه بالمصدر النائب عنه.

- حذف المفعول به:

يقول التوحيدى:

"أيها المغتر بالصحة والشباب اعلم أنك ستسقم، أيها المسرور بالمال والولد والريح والنعمة تنبه لعلك تُعَدِّمُ أو تُعَدِّمُ"^(١).

والتقدير: لعلك تعدمهم . وقد حذف المفعول به لأنه قد يكون هناك من النعم الأخرى الكثيرة غير المال، والولد، والريح، والنعمة، يخسرها المغتر، فلم يحدد المفعول به لعدم حدودية النعم.

ويقول فى موضع آخر:

"... إن كنت عاتباً فتلطّف فلك العُتْبَى، وإن كنت مُبْتَلًى فواصل، فإنه تُصرف عنك البلوى..."^(٢).

والتقدير قد يكون: فواصل الحمد، أو فواصل الصبر، فإن طرق مجاهدة البلاء متعددة ؛ فلم يحددها؛ لتكون الاستعانة بها جميعاً.

- حذف المفعول لأجله:

وذلك فى قوله مناجياً الله:

"ونسألك -إلهنا- أن تجعلنا فى كنف من ضمانك، فقد رمانا خَلَقَكَ عن قوس واحدة، وقذفونا بألسنة حداد. لأننا ذكرناك لهم ودعوناهم إليك، وغرنا عليك أن يكونوا جاهلين بك..."^(٣).

والتقدير: ... وغرنا عليك خشية أن يكونوا جاهلين

- حذف الناسخ:

كما فى قوله:

(١) الإشارات: ص ٣١٧.

(٢) الإشارات: ص ٣٢٠. يوجد مثل آخر ص ٣٢٣.

(٣) الإشارات: ص ١٨٠.

"... واجتهد أن تكون من أولياء الله المخلصين، وإلا فمن أحبائه المقربين وإلا فمن خَدَمه المندوبين، وإلا فمن السُّفراء والمكرِّمين، وإلا ..."(١).

والتقدير: وإلا فكن من أحبائه المقربين وإلا فكن من خدمه المندوبين،...

- حذف كم "الخبرية:

كما فى قوله:

".... فسَقِيًّا لعيش مضى نضيراً فى ظلال صحبتكم....، وسَقِيًّا للرسائل التى كانت تجرى بيننا وبينكم... والأحباب تتهادى بحديثنا وحديثكم: فَمِنْ كاذِبٍ قد صدق وَمِنْ صادقٍ قد كذب، وكل ذلك يحلو بذكركم" (٢).

والتقدير فكم من كاذب... وكم من صادق.

حذف العبارة:

- حذف الجار والمجرور:

يقول التوحيدى:

"أيها الحيران فى سعيه، والسكران فى رعيه، والمتغافل عن حظه، والمتجاهل بين لحظه ولفظه، والمتكاسل عن خدمة ربه والمتحامل على حِبِّه بحُبِّه"(٣).
فيمكن أن يكون التقدير هنا: والمتحامل على حِبِّه بحُبِّه للدنيا.

ويقول فى موضع آخر:

"... وقد قيل لبعض السلف: متى يكون العيد؟، فقال: كلُّ يوم لا تعصى الله فهو عيد"(٤)
والتقدير: ... لا تعصى الله فيه.

(١) الإشارات: ص ٢٦٤.

(٢) الإشارات: ص ٢٦، ص ٢٧.

(٣) الإشارات: ص ١٤٠.

(٤) الإشارات: ص ٢٥٩.

وقد حذف الجار والمجرور اختصاراً بوصفه المتعلق بالخبر المحذوف وجوباً في جملة الختام للفقرة كما في قوله:

"...تأمل هذا الكلام بعقلك كله فإنه جُماع كل نصيحة، ونظام كل موعظة، وباب كل نجاح، وطريق كل فلاح، ومنهج كل صلاح ، فإذا تبصّرت ما في ضمنه، فثب إلى المكان الذي دُعيت إليه، ولا تكسل كسل الجاهل الغوّي. والسلام"^(١).

والتقدير "والسلام عليكم".

- حذف الظرف والمضاف إليه:

في قوله:

"يا مَنْ ذنوبه لا تُحصى مع التضييع لما أمر به ، قد رَضِيَ أن يكون مطروداً عن باب ربه لا يراه أهلاً لمعاملته . صدق الحكيم المتقدم :

لا يبلغُ الأعداءُ من جاهلٍ ما يبلغُ الجاهلُ من نفسه"^(٢)

والتقدير : صدق الحكيم المتقدم إذ يقول ، فأسرع بسرّ البيت الشعري اهتماماً بتوصيل المعنى المراد عن طريقه.

حذف التركيب

- حذف فعل القسم:

ورد القسم "بالله" و"تالله"، و"والله" وأصله أقسم بالله فحذف الفعل والفاعل وبقيت الحال من

الجار والجواب دليلاً على الجملة المحذوفة "^(٣) وذلك كما في قول التوحيدى:-

"تالله: أما ترى هذا التهادى والتمایل في هذه المعانى " ^(٤).

والتقدير: أقسم بالله...

(١) الإشارات: ص ٢٦٠. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ١٠٨، ١٢٣، ٢٠٩، ٢٦٠، ٢٧٥، ٢٩٢، ٣٢٣.

(٢) الإشارات: ص ٣١٠.

(٣) الخصائص: ج ٢، ص ٣٦٢.

(٤) الإشارات: ص ١٦.

- حذف جواب القسم:

يحذف جواب القسم إذا اقترن بالشرط الامتناعي سواء أكان متقدماً أم لا^(١)، فيكون الجواب للشرط وذلك كما في قول التوحيدى:

"والله لو لم يكن ههنا واعظٌ ولا موقظٌ إلا الموت، لكان الحزم فى أخذ العتاد له"^(٢).

فالجواب للشرط وحذف جواب القسم لدلالة جواب الشرط عليه.

ويحذف جواب القسم أيضاً "إذا تقدم عليه أو اكتتفه ما يغنى عن الجواب فالأول نحو: "زيد قائم والله" ومنه "إن جاءنى زيد والله أكرمته" والثانى نحو: "زيد والله قائم"^(٣). وقد ورد القسم فى مواضع كثيرة من الإشارات وقد اكتتفه ما يغنى عن جوابه مثال ذلك قوله:

"سار والله الركب المخبون وتركوك، ونجا - والله - المخفون ولم يُلوا عليك"^(٤).

ويقول فى موضع آخر حيث احتدم حاله:

"أنا - والله - فى أمر لا يُنادى وليده..."^(٥)

حيث ورد القسم معترضاً بين ما يدل على جوابه.

- حذف فعل الشرط:

يقول التوحيدى فى سياق يفيد الاستمالة:

"يا هذا: كم تعذبنى وتؤذبنى... والله ما يحل لك، ليس هذا من حق الصحبة، ولا من ذمام العشرة ... أبقي على لى وإلا^(٦) فأبقنى لك"^(٧).

(٢) سبق توضيح تلك المسألة فى مبحث اتساع الجملة عن طريق الترتيب.

(٣) الإشارات: ص ١٨٨. توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات: ١٦، ١٢٢، ٢٠٠، ١٧٤، ٢٩٦، ٣٣١.

(٤) مغنى اللبيب: ج ٢، ص ٦٤٥.

(٥) الإشارات: ص ٤٢.

(٦) الإشارات: ص ١٢٢.

(٧) أصل "إلا" "إن" الشرطية وقد اقترنت بـ "لا" النافية، فيظن من لا معرفة له أنها "إلا" الاستثنائية نحو: إلا تنصروه فقد نصره الله... والتقدير "إن لا تنصروه فقد نصره الله" (مغنى اللبيب: ج ١، ص ٢٢). ويقول ابن هشام فى موضع آخر "ليس من أقسام "إلا" التى فى نحو "إلا تنصروه فقد نصره الله" وإنما هذه كلمتان "إن" الشرطية و"لا" النافية. ومن العجب أن ابن مالك على إمامته ذكرها فى شرح التسهيل بين أقسام "إلا" (مغنى اللبيب: ج ١، ص ٧٣).

(٨) الإشارات: ص ٦٤. توجد أمثلة أخرى كما فى صفحات ٩، ٢٧، ٥٤، ٥٦، ١٤٩، ١٧٩، ١٨١، ١٨٤،

٢٥٩، ٢٧٠، ٢٧٧، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣٨٤، ٣٧٣، ٣٨٧، ٤٢٦، ٤٤٠.

التقدير: أبقِ علىّ لى وإن لم تُبقِ علىّ لى فأبقنى لك.

- حذف تركيب جواب الشرط دون مكملاته .

يقول التوحيدى:

"يا هذا: صارف نفسك فى أنفاسها وفى خواطرها، فإن لم تقدر ففى نيّاتها وعزماتها، فإن لم تقدر ففى مقاصدها ومراصدها، فإن لم تفعل ففى أفعالها واختياراتها، فإن لم تقدر ففى أبدالها وفيما يقوم مقامها " (١).

والتقدير: فصارفها فى نيّاتها وعزماتها... فصارفها فى مقاصدها ومراصدها... فصارفها فى أفعالها واختياراتها... فصارفها فى أبدالها...

- حذف تركيب جواب الشرط:

حيث يسبق الجملة الشرطية ما يحتاج إلى خبر فى بعض المواضع فيدل على تركيب جواب الشرط، فيحذف ، وذلك كما فى قوله مناجياً الله:

"إنى إن نسيت هذه اللطائف (يقصد منح الله له) وسهوت عن هذه الطرائف لممن لا خير له فى حياته..." (٢).

وحذف جواب الشرط فى قوله أيضاً:-

"والحازم من الناس من سدّ بالرأى ثغور الهوى ورابط فيها بجيوش النّهى: إما بالإباء المر، والاعتزام الفحل إن وثق من مُنته بالقوة والاستقلال، وإما بالتفويض إلى النصحاء إن أحسّ منها بالضعف والانخزال لأنه إنما يجاهد عدوا نازلاً بين حجابيه مالكاً لجميع جوراحه عليه، فإن أطاقه على الانفراد وإلا فليساوره بالأعوان والأعضاء" (٣).

حيث حذف جواب الشرط لفعل الشرط "إن أطاقه على الانفراد" الذى قد يكون تقديره "فقد كان". مع ملاحظة أن جواب الشرط "فليساوره بالأعوان..." قد حذف فعله، والتقدير "وإن لم يطقه" وقد سبق توضيح ذلك فى حذف فعل الشرط.

(١) الإشارات: ص ١٠٠. توجد أمثلة كما فى صفحات ٣٠، ٢١٦، ٢٩٦، ٣٤٥.

(٢) الإشارات: ص ٢١٠. توجد أمثلة فى صفحات ٢٣، ٦٦، ١٣٣، ١٧٤، ٢٤٨، ٢٦٥، ٢٧٠، ٣٠٥،

٤٢٩، ٣٧٦، ٣٨٥.

(٣) الإشارات: ص ٣٨٧.

وحذف تركيب جواب الشرط في قوله مستعطفا الله:

"... وسورنا مهدوم إلا إذا كَفَيْتَ، وحريماً مستباح إلا إذا حَمَيْتَ" ^(١).

والتقدير إلا إذا كفيت فسورنا غير مهدوم ، ... إلا إذا حميت فحريماً غير مستباح.

وحذف جواب الشرط المتقدم على الأداة في قوله:

"... أما سمعتَ مَنْ قال : أين تُقْتَطَف ثمار العقبي ؟ ، فقليل له : حيث تُغرس أشجار البلوى، فقال: فمتى يُقضى ذمام الصحبة ؟ فقليل له : إذا سكن في مساكن الغربة يتجرع الكُرْبَة بعد الكربة ... " ^(٢).

والتقدير: تُقْتَطَف ثمار العقبي حيث تغرس ... ويُقضى ذمام الصحبة إذا سكن ...

وحذف جواب الشرط حيث اقترنت لام القسم بأداة الشرط "إن"، وكان الجواب للقسم المتقدم، فأغنى عن جواب الشرط، ودلت اللام الواقعة في جواب القسم عليه . يقول التوحيدي:
"لئن بذلت قليلاً، لتُعَوِّضَنَّ كثيراً، ولئن نصبتَ يسيراً، لتستريحَنَّ طويلاً" ^(٣).

- حذف التركيب المكون من الفعل والفاعل والتعويض عن المحذوف بالمصدر النائب عن الفعل:

ورد المصدر النائب عن فعله في الدلالة فصار بدلاً منه "فحذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه" ^(٤)، وذلك كما في قوله ساخطاً:

"... ثم إنك بعد هذا كله بصفاقة وجهك وبذاعة لسانك ... تدعى منازل الصادقين، وتبحث عن ضمائر النبيين وتساءل عن أسرار الملائكة المقربين...، وتعرض على أفعال رب العالمين كأنك شريك له في خلق الخلائق. سواءً لك، وبراءةً منك " ^(٥).

(١) الإشارات: ص ٣٧٠. كذلك ص ٤٤٠.

(٢) الإشارات : ص ٦٨.

(٣) الإشارات: ص ٣١٤.

(٤) الكتاب: ج ١، ص ٢٩٥.

(٥) الإشارات: ص ٢٠٠. توجد أمثلة أخرى كما في صفحات ٢٦، ٢٧، ٥٤، ٧٥، ٨٦، ١٦٩، ٢٢١، ٢٢٧،

٢٤٦، ٣٣٦، ٣٤٣.

- حذف التركيب المكون من الفعل والفاعل والتعويض عن المحذوف بالمفعول به:

وذلك ضمن أساليب شاعت لدى العرب اطرده استعمالها في سياق الترغيب والترهيب والرجاء^(١) وذلك كما في قول التوحيدى:

"يا هذا: إنك لمُراد بأمر عظيم، ومرشّح لسر مكتوم، فالجدّ الجدّ^(٢)"^(٣).
أى الزم الجدّ.

ويقول في موضع آخر:

"الله الله في نفسك الضعيفة، لا تغتر بمواتاة الأيام لك"^(٤).
أى اتق الله.

ويرجو رحمة الله وعنايته فيقول مسارعاً بطلبهما:

"رحمتك اللهم رحمتك، ونظرك اللهم نظرك، فقد ضاقت المسالك إلا إليك"^(٥).

- حذف التركيب بعد أداة الاستفهام:

حيث يقول مستكراً:

"تالله: أما ترى هذا التهادى، والتمايل في هذه المعانى التى تلفظها من ناحية العقل... والله، لو كان هذا كله هزلاً لا جد معه أو لعباً لا قصد فيه ...، لكان ينبغى أن تراه غنيمة باردة وكنزاً مظفوراً به وباباً مفتوحاً إلى الرضى ... فكيف، وهو ينادى صارخاً بصحة اللواء؟"^(٦).

والتقدير: فكيف لا تراه ... وهو ينادى صارخاً ...

- حذف التركيب بعد حرف النفي "لا":

كما في قوله:

"... فلا يؤمّنك من هذه المزلقة إلا إذا توكلت عليه ... لا، وحقك، حتى تودع كل ما ألفت من هذه العرصة"^(٧).

(١) الإشارات: انظر صفحات ٥٦، ١٥٢، ١٨٢، ٢٠١، ٢٠٧، ٢٧٥، ٢٧٩، ٤١٩، ٤٢٩، ٤٥٠.

(٢) تعرب توكيداً لفظياً.

(٣) الإشارات: ص ٢٠٧.

(٤) الإشارات: ص ٤٥٠.

(٥) الإشارات: ص ٤١٩.

(٦) الإشارات: ص ١٦.

(٧) الإشارات: ص ٣٧٧ . يوجد مثال آخر ص ٣٤٢.

والتقدير: لا ،وحقك، لن يؤمنك...حتى ...

وحذف فعل القول بعد حرف النفي فى قوله:

"فَلَمْ لَا نَدْعُوكَ بِلِسَانِ الضَّرْعِ تَارِكِينَ لِأَسْبَابِ الْمَكْرِ وَالْخُدْعِ، نَاصِحِينَ لَأَنْفُسِنَا عِنْدَ النَّجْعِ وَالرَّجْعِ لِعَلَّكَ تَرْحَمَنَا رَحْمَةً تَسْلِينًا عَمَّنْ سِوَاكَ ، وَلَا لَعْلَ"^(١).

والتقدير: ولا أقول لعل؛ إذ تراجع عن رجائه " لعلك ترحمنا" ثقة فى نفاذ رحمة الله عز وجل الذى كتب على نفسه الرحمة.

- حذف التركيب المكون من الفعل والفاعل والمصدر بحرف نفي معنى:

كما فى قوله:

"اللهم: إنك شاهدنا، وشاهد فينا، وشاهد بنا، وشاهد علينا، فبحرمة شهادتك التى قد اكتفتتنا منك، وبقدرتك التى أبرزتنا لك، وبجلالتك التى حققت فافتنا إليك، وبنورك الذى سطع علينا منك وبنعمتك التى غمرتنا بك، وبرحمتك التى جمعتنا على بابك، وبسلطانك الذى قهرنا لعزك، وبالخير الذى توالى عندنا من جهتك، وبكلمتك التى سمعناها على لسان المبلِّغ عنك، وبسرك الذى حببتنا عنه بحكمتك إلا بشرتنا برضاك عنا..."^(٢).

والتقدير: فما أسألك^(٣) بحرمة شهادتك ... وما أسألك بقدرتك ... وما أسألك بجلالتك ... وما أسألك بنورك ... وما أسألك ... إلا البشرى برضاك عنا.

- حذف التركيب المصدر بحرف الجواب "لا":

فى قوله:

"... فقلت بلسان العدم: يا وَلِىَّ الْقِدَمِ، أَمَعَاقِبَ فِى عَشْقِكَ أَنَا، قَالَ: بَلْ مَعَاقِبَ أَنَا فِى صَدْقِكَ فِى عَشْقِكَ"^(٤).

والتقدير: قال : لا لستَ معاقباً فى عشقى أنت بل معاقب أنا ...

(١) الإشارات: ص ٢٩٠.

(٢) الإشارات: ص ٢٥٥.

(٣) " الاستثناء ... مفرغ يقتضى أن يكون الكلام فى معناه غير تام وغير موجب ... ، فقد اجتمع فى الكلام الأمران معاً تقديرًا (وهما عدم التمام وعدم الإيجاب)، واجتمع معهما أمر ثالث هو أن الفعل مع فاعله بعد "إلا" مؤول بمصدر منسبك بغير سابق" (النحو الوافى: ج ٢، ص ٣٢٦. و هامش ٢ بالصفحة نفسها).

(٤) الإشارات: ص ٦٠.

- حذف الجملة

- حذف الجملة بعد حرف الجواب "لا" :

كما فى قوله موبخاً:

"أبك صمم ؟ أبك بله ؟ أبك جنون ؟ لا والله ما أنت إلا سوى بصير ... " (١).

والتقدير: لا -والله- ليس بك صمم، ولا بله، ولا جنون.

- حذف الجملة الاستفهامية:

وقد دل عليها حرف الجواب وذلك كما فى قوله:

"بلى، بقيت عين مغرورة بمسالك الدموع مع نفس قد احترقت بملاهب الضلوع ... " (٢).

فحذف جملة استفهام تقديرها "ألم تنق عين ... ؟".

(١) الإشارات: ص ٣٣٧. توجد أمثلة فى صفحات ٣٨، ٩٣، ٣٢٢، ٣٥٥.

(٢) الإشارات: ص ٢٢٤. يوجد مثلين آخرين فى صفحتى: ٧٥، ٣٢٣.

المبحث الثانى

تغيير الترتيب: Permutation

خصص النحاة رتباً ومواقع محفوظة لبعض عناصر الجملة تكون قرينة على المعنى، ومن ثم فإن العدول عن تلك المواقع وتحويلها^(١) يعد نوعاً من الخروج عن القاعدة، وعَرَضَ من أعراض الجملة حيث وضع الكلام فى غير موضعه لغرض يتصل بالمتكلم فيرتب عناصر الجملة على "حسب ترتب المعانى فى النفس"^(٢).

وقد عرض سيبويه للتقديم والتأخير وأثرهما فى المعنى فى معرض حديثه عن "الفاعل الذى يتعده فعله إلى مفعوله" فيقول: "وذلك قولك : ضرب عبد الله زيدا فعبد الله ارتفع هنا كما ارتفع فى ذهب وشغلت ضرب به كما شغلت به ذهب، وانتصب زيد لأنه مفعول تعدى إليه فعل الفاعل ، فإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى فى الأول وذلك قولك: ضرب زيدا عبد الله ، لأنك إنما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً ولم تُرد أن تشغل الفعل بأول منه، وإن كان مؤخراً فى اللفظ، فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدماً، وهو عربى جيد كثير كأنهم إنما يقدمون الذى بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وإن كانا جميعاً يُهمّانهم ويعنيانهم"^(٣).

فهو يوضح أن تقديم ما حقه التأخير، والعكس لم يغير فى المعنى الأساسى للجملة ولكن غير فى الدلالة حيث يبرز ما هو أهم، ويحدث تأثيراً مخالفاً لما هو متوقع من الترتيب النمطى.

وفى هذا المعنى يقول عبد القاهر، إذ يأخذ قول الله تعالى: "وجعلوا لله شركاء الجن" (الأنعام:

١٠٠) مثلاً لتوضيح الفائدة: "ليس بخاف أن لتقديم "الشركاء" حسناً وروعة ومأخذاً من القلوب، أنت لا

(١) هكذا عبّر عبد القاهر عن معنى ظاهرة التقديم والتأخير بأنها عملية "تحويل" إذ يقول "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعة ويفضى بك إلى لطيفة ، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء وجّول اللفظ عن مكان إلى مكان" (دلائل الإعجاز: ص ١٠٦). وفى هذا المعنى يقول الدكتور تمام حسان عن ظاهرة التقديم والتأخير إنها "مؤشر أسلوبى ووسيلة إبداع، وتقليب عبارة، واستجلاب معنى أدبى" (البيان فى روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآنى: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٩٩٣ ، ص ٩١).

(٢) دلائل الإعجاز: ص ٤٩.

(٣) الكتاب: ج ١ ، ص ٣٤.

تجد شيئاً منه إن أنت أخرت فقلت. "وجعلوا الجنَّ شركاءَ الله..." والسبب هو أن للتقديم فائدة شريفة ومعنى جليلاً لا سبيل إليه مع التأخير. بيانه، أنا وإن كنا نرى جملة المعنى ومحصوله أنهم جعلوا الجن شركاء وعبدوهم مع الله تعالى، وكان هذا المعنى يحصل مع التأخير حصوله مع التقديم، فإن تقديم "الشركاء" يفيد هذا المعنى ويفيد معه معنى آخر، وهو أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك، لا من الجن ولا غير الجن.. فانظر الآن إلى شرف ما حصل من المعنى بأن قُدم "الشركاء" فإنه ينبغي لكثير من الأمور ويدلك على عِظَم شأن "النظم" وتعلم به كيف يكون الإيجاز به ... وكيف يُزاد في المعنى من غير أن يُزاد في اللفظ ، إذ قد ترى أن ليس إلا تقديم وتأخير ، وأنه قد حصل لك بذلك من زيادة المعنى ما إن حاولته مع تركه لم يحصل لك ، واحتجت إلى أن تستأنف له كلاماً ، نحو أن تقول "وجعلوا الجن شركاء لله وما ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غيرهم" ^(١).

يضيف عبد القاهر فائدة يحققها التقديم والتأخير وهي الإيجاز والاختصار وهما من دواعي البلاغة والأسلوب الأدبي ، وعلى المتلقى أن يفهم ويتخيل ما كان حقه أن يذكر من عناصر لغوية أغنى عنها "تقليب العبارة" .

فالتقديم والتأخير ترتيب معين ارتآه المبدع لبناء جملته ليصبح " وسيلة يُقَرَّب بها المعنى العميق والدلالة البعيدة ... ناقلًا معناها إلى معنى جديد تربطه بالمعنى الأول رابطة واضحة" ^(٢).

(١) دلائل الإعجاز: ص ٢٨٦ - ٢٨٨ .

(٢) في نحو اللغة وتراكيبها : ص ٩٢ ، ص ٩٣ .

وفى سياق إيضاح فائدة تغيير الترتيب فى المعنى نجد أن عبد القاهر يرفض القول بأن التقديم والتأخير يكون تارة بغرض العناية والاهتمام بالمتقدم الذى حقه التأخير، ويكون تارة توسعة للشاعر والكاتب حتى يتم التواءم للقوافى وللواصل "ذاك لأن من البعيد أن يكون فى جملة النظم ما يدل تارة، ولا يدل أخرى. فمتى ثبت فى تقديم المفعول مثلاً على الفعل فى كثير من الكلام أنه قد اختص بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخير، فقد وجب أن تكون تلك قضية فى كل شيء وكل حال ومن سبيل من يجعل التقديم وترك التقديم سواء أن يدعى أنه كذلك فى عموم الأحوال، فأما أن يجعله شريحين (يعنى قسمين متساويين) فيزعم أنه للفائدة فى بعضها ، وللتصرف فى اللفظ من غير معنى فى بعض ، فمما ينبغى أن يُرغَب عن القول به"^(١).

ويجعل عبد القاهر تنبيه المخاطب، وتأکید الكلام، وتحقيقه، ومنع الشك من فوائد تغيير الترتيب إضافة إلى الاهتمام والعناية والتخصيص^(٢) وقد ذكره صاحب الكتاب فيقول عبد القاهر: "وهذا الذى قد ذكرت من أن تقديم ذكر المحدث عنه يفيد التنبيه له، قد ذكره صاحب الكتاب فى المفعول إذا قُدم فرفع بالابتداء ، وبُنِى الفعل [الذى كان له ناصبا] عليه، وعُدِّيَ إلى ضميره، فشُغِلَ به كقولنا فى "ضربت عبد الله: عبد الله ضربته" فقال و "إنما" قلت "عبد الله" فنَبَّهتُه له ، ثم بنيت عليه الفعل ، ورفعته بالابتداء ... فإن ذلك من أجل أنه لا يُؤتى بالاسم مُعرّى من العوامل إلا لحديث قد نُوى إسناده إليه. وإذا كان كذلك ، فإذا قلت: "عبد الله" فقد أشعرت قلبه بذلك أنك قد أردت الحديث عنه فإذا جئت بالحديث فقلت مثلاً: "قام" أو قلت "خرج" أو قلت: " قَدِم " فقد عَلم ما جئت به وقد وطأت له وقَدِّمت الإعلام فيه، فدخل على القلب دخول المأنوس به وقَبِلَه قبول المهيأ له المطمئن إليه وذلك لا محالة أشدّ لثبوته ، وأنقى للشبهة ، وأمنع للشك وأدْخَلَ فى التحقيق"^(٣).

(١) دلائل الإعجاز: ص ١١٠، ص ١١١.

(٢) المصدر السابق: ص ١٢٨، وما بعدها.

(٣) المصدر السابق: ص ١٣١، ص ١٣٢.

وقد أبرز النحاة والبلاغيون ما هو جائز تقديمه، وتأخير، فيصح ما دام لا يؤدي إلى لبس أو غموض، وما لا يجوز، فلا يصح^(١). وقد تقرض القاعدة، ويفرض بناء التركيب النحوي تغيير الترتيب ويوجبه، فينتقى طابع التجوز، والعدول، والانحراف، وينتفى القول بأن هناك طريقة في القول، وذلك كما في وجوب تقديم الخبر على المبتدأ حينما يكون الخبر " اسم استفهام، أو كم الخبرية، أو يكون المبتدأ نكرة لا مسوغ للابتداء بها إلا كون خبرها ظرفاً أو مجروراً متقدماً عليها (يتفق ابن عصفور مع رؤية بعض النحويين الذين رأوا أن الخبر هو الظرف أو الجار والمجرور)، أو يكون المبتدأ أنّ ومعموليه، أو قد اتصل به ضمير يعود على شيء في الخبر، أو يكون الخبر قد استعمل مقدماً على المبتدأ في مثل أو كلام جار مجراه"^(٢).

وتغيير الترتيب لا ينقل العنصر اللغوي من حكم إعرابي إلى حكم إعرابي آخر، بل يظل محتفظاً ببابه النحوي. وفي هذا يقول عبد القاهر حيث يتحدث عن التقديم الذي هو على نية التأخير "وذلك في كل شيء أقررت مع التقديم على حكمه الذي كان عليه ... كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل كقولك: "منطلق زيد" و "ضرب عمراً زيد". معلوم أن "منطلق" و "عمراً" لم يخرجوا بالتقديم عما كانا عليه، من كون هذا خبر مبتدأ ومرفوعاً بذلك، وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً من أجله، كما يكون إذا أخّرت"^(٣).

وقد برز تغيير الترتيب لبعض العناصر اللغوية داخل الجملة في نص الإشارات؛ إذ لا تكاد تخلو صفحتان متتابعتان من تلك الظاهرة التي عدها ابن جني واحدة من مظاهر شجاعة اللغة وقدرتها ومرونتها. وقد ورد التقديم لما حقه التأخير، والتأخير لما حقه التقديم أكثر ما ورد في سياق مناجاة الله، والثناء عليه، والتضرع له، وقد حقق أغراضاً عدة. فقد أفاد التخصيص، وأفاد العناية والاهتمام بما تقدم. ولميل التوحيدى إلى إنشاء الجملة المركبة حيث يعطف على التركيب المستقل تراكيب أخرى أو يربط بينها ربطاً سياقياً يغيب فيه الرابط اللفظي، فإن تغيير الترتيب قد حقق توازياً بين التراكيب التي اتضحت فيها تلك الظاهرة.

(١) انظر على سبيل المثال: الخصائص، ص ٣٨٤ - ص ٣٩١. كذلك المثل السائر، ج ٢، ص ٢١٠ - ص ٢٢٢.

كذلك دلائل الإعجاز، ص ١١١ - ص ١٤١.

(٢) المقرب: ابن عصفور، ص ٩٢.

(٣) دلائل الإعجاز: ص ١٠٦.

- تقديم المفرد:

- تقديم الخبر (المسند) على المبتدأ (المسند إليه):

تقدم الخبر المفرد جوازاً على الفعل الناسخ "كان" ^(١) في قوله:

".... وكل عين فلها شغل بمنظرها: أنيقاً كان أو غير أنيق ، وكل أذن فلها ذهول بمسموعها: مُطرباً كان أو غير مطرب ، وكل نفس فلها شُدْهة بمعشوقها: مستحقاً كان أو غير مستحق." ^(٢)

وتقدم الخبر على المبتدأ المصدر المؤول كما في قوله:

" حرامٌ على قلب استتار بنور الله أن يفكر في غير عظمة الله " ^(٣).

وقوله أيضاً:

"اللهم: عزيز علىّ أن أقول ما أقول، ونصيب منه اللفظ المحبّر" ^(٤).

-تقديم المفعول به:

تقدم المفعول به في "الإشارات" على الفعل في مواضع منها قوله:

"اللهم: ... إياك نرجو ونخاف ، وسواك نكره ونعاف ... ، وجنابك نرعى وافدين ، ونعماك ننشر على الأقربين والأبعدين ...، ورحمتك نرجو محتاجين مفتقرين" ^(٥).

وقد تقدم المفعول به على الفاعل ففصل بينه وبين الفعل كما في قوله:

"بالله: أما يباشر صميم فؤادك نسيمُ هذا النظم والنثر؟" ^(٦).

وقوله:

"حصر لسانِي فرطُ العِي" ^(٧).

(١) أسرار العربية: ابن الأنباري، تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبعة الترقى بدمشق، ١٩٥٧، ص ١٣٨.

(٢) الإشارات: ص ٢٨٢.

(٣) الإشارات: ص ٣٨٠.

(٤) الإشارات: ص ٣٥٨.

(٥) الإشارات: ص ٩٣.

(٦) الإشارات: ص ٤٣٠.

(٧) الإشارات: ص ١٢٧.

- تقديم الظرف:

تقدم الظرف على المبتدأ والخبر في:

"... فالحظ الآن هذه الأسرار بعين لم تُخلق من لحم ولا رُكبت من شحم، ولا جُعِلت على طبقات بل بعين الآن هي بالإطلاق في حالي الغنى والإملاق، هي العين التي سجرت العيون، ... " (1).

وتقدم على الخبر ففصل بينه وبين المبتدأ كما في قوله عن نفسه:

"... فهاهي دهرها تسكب الدموع ... " (2).

وتقدم على المفعول به في قوله:

"يا هذا فُتنت بهذه الزينة الحائلة ... فاسكب الآن دموعك" (3).

- تقديم العبارة:

- تقديم الجار والمجرور:

تقدم الجار والمجرور بوصفه فضلة حيث لم تُحفظ رتبته بالنسبة لسائر أجزاء الجملة، فقد تقدم على الفعل، وتقدم على الفاعل، فتحقق الفصل بين الفعل والفاعل، وتقدم على المفعول به، وتقدم على الحال ففصل بينه وبين عامله، وتقدم على خبر المبتدأ ففصل بينهما، وتقدم على خبر الناسخ ففصل بينه وبين اسمه، وتقدم الجار والمجرور المتعلق بالخبر المحذوف وجوباً على المبتدأ النكرة.

- تقديم الجار والمجرور على الفعل:

ومثاله قول التوحيدى، إذ يناجى الله:

"... إنك القادر الحكيم ، والغفور الرحيم إليك نرفع حوائجنا، وعلى بابك ننيخ مطايانا ، ويتصاريف أحكام المشيئة نوكل أبصارنا ، وعلى لطائف برك نعول في شهادتنا وغيبتنا ، وإليك ننتسب ... " (4).

(1) الإشارات: ص ٦٣.

(2) الإشارات: ص ٢٠٢.

(3) الإشارات: ص ٤١.

(4) الإشارات: ص ٤٠١.

وقوله أيضاً حيث قدم الجار والمجرور على الفعل فى التركيب غير المستقل:

"... وهب لك عقلاً به وصلك بنفسه ، وبه أطلعك على غيبه، وبه عرض عليك بدائع ملكه وعجائب كونه ، وبه استخلصك لمخاطبته، وبه حاشك إلى حظك فى معاينته، وبه منعك من نكرته، وبه غمسك فى معرفته ، وبه وعدك لتملك، وبه يوعدك لئلا تهلك، وبه ربّاك، وغذاك، وذراك، ورواك، وبه كلفك..."^(١).

- تقديم الجار والمجرور على الفاعل:

من نحو قوله:-

"... بالله: ... أما يصل إلى قرار روحك أثر هذا الصوب والقطر؟ أما يصل إلى سرّك طيب هذا الندّ والعطر؟"^(٢).

ويقول فى موضع آخر حيث فصل بين الفعل والفاعل بثلاثة جارات ومجرورات تتابعت بالعطف فى سياق لغوى يفيد كثرة ما يحيط بالإنسان، وما يشمله من أمور مُشينة من جهات عدة "عليه ومنه وفيه":

"ولما كان الإنسان دَنَسَ الجيب ، متَّهم الغيب ، مَعْدِن الرِّيب ، وَمَقَرَّ العيب، تَوالت عليه، ومنه، وفيه هذه الأمور الشائنة"^(٣).

- تقديم الجار والمجرور على المفعول به:

وذلك من نحو قوله فى سياق يفيد الثورة:

"... يا أَسْتار الضمير تهتكى ، يا معالم الأنس بيدى ، ... يا مصائب الدنيا أقصينى، وانزلى بى، ... أترى قضيتُ ديناً طالما تقضى به مَطْلَى ؟ ... أترى وصلتُ إلى مَنْ أفنيتُ لهِ عمرى فى حلّى، ورَحْلَى؟"^(٤).

(١) الإشارات: ص ٢٤٨.

(٢) الإشارات: ص ٤٣٠.

(٣) الإشارات: ص ١٦٥.

(٤) الإشارات: ص ٧٢.

وتقدم الجار والمجرور على المفعول به الثانى فى قوله داعياً الله:
"... فقنا منك السخطة" (١).

- تقديم الجار والمجرور على الحال:

تقدم الجار والمجرور على الحال، ففصل بينها وبين عاملها كما فى قوله:
"اللهم: إنا نلوذ بك عائذين، ونعوذ بك لائذين" (٢).

- تقديم الجار والمجرور على المسند إليه فى التركيب الاسمى:

تقدم الجار والمجرور على المبتدأ المتأخر جوازا ، حيث ورد نكرة مخصصة، فى التركيب غير
المستقل، كما فى قوله:

"ها هنا وصية ، فيها لك نصيحة وفيه" (٣).

وتقدم على المبتدأ المتأخر جوازا أيضا، حيث ورد معرفة بالألف واللام ، فى قوله مثنياً على
الله:

"لك البسطة ، ولنا بها الغبطة" (٤).

وتقدم الجار والمجرور على اسم الناسخ المؤخر وجوبا وذلك كما فى قوله محدثاً "هذا" حانياً
عليه: "هيه لى حديثك ونبتنى عن خبرك، واعرض علىّ سرّك وأتتمنى على نفسك، فما لى فى غشك
أرب" (٥).

- تقديم الجار والمجرور على المسند فى التركيب الاسمى:

تقدم على خبر المبتدأ المفرد، ففصل بين المبتدأ والخبر كما فى قوله متضرعاً إلى الله:
"... فإننا إليك ذوو فقر، وأنت عنا غنى كريم" (٦).

ويقول فى موضع آخر مثنياً على الله:

"... وجُدْ بنا إلى باب الله الذى عليه وقفت الهمم ، فالطريق إليه أممٌ ، وهو لمن يقصده علم" (٧).

(١) الإشارات: ص ٧٨.

(٢) الإشارات: ص ١٤٧.

(٣) الإشارات: ص ١١٩.

(٤) الإشارات: ص ٧٨.

(٥) الإشارات: ص ٤٣.

(٦) الإشارات: ص ٢١٣.

(٧) الإشارات: ص ٢٠.

ولا يخفى ما تحقق عن طريق تقديم الجار والمجرور من توافق موسيقى بين أواخر الجمل فى بعض المواضع. ومثلما يرى عبد القاهر فإنه لا يكفى أن نقول إن الكاتب قد أخر ، أو قدم مراعاة للسجع أو لموسيقى القوافى والفواصل؛ إذ هناك غرض بيّن من هذا التقديم للجار والمجرور على الفعل ثم على الخبر فى النموذج السابق، على سبيل المثال ، وهو اختصاص تعلق الهمم بالله سبحانه وتعالى وحده، وليس بغيره، وأن الطريق إلى الله هو الطريق المقصود المتطلّع إليه ، أما غيره من الطرق فلا يجب أن تكون هى المقصودة، وأن الله هو الجلى الظاهر (القريب) لمن يقصده وحده، أما المنصرف عنه فالله بعيد عنه كل البعد؛ إذ نسي الله فنسيه.

وقد خالف الدكتور خليل عمايرة رأى الدكتور إبراهيم أنيس القائل عن التقديم فى بعض آيات الله أنه لا يعدو أن يكون رعاية لموسيقى الفاصلة القرآنية التى تشبه القافية الشعرية^(١). والواضح من التقديم فى الآيات التى أوردها الدكتور أنيس أنه جاء من أجل الدلالة فى المقام الأول وليس من أجل مراعاة موسيقى الفواصل وذلك كما فى قوله تعالى : "إياك نعبد وإياك نستعين" وقوله تعالى : فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر" وغير ذلك من الآيات التى دلل بها أنيس على رأيه. وتقدم الجار والمجرور على خبر المبتدأ حيث ورد جملة، كما فى قوله مثنياً على الخالق مُستعظفاً:

"... الأنفاس عليك تتحرّق، والجباه من أجلك تتعرّق، والعيون إليك بالشوق تترقرق..."^(٢).

وتقدم أيضاً على خبر الناسخ المحفوظ برتبته ، ففصل بينه وبين اسمه وذلك من نحو قوله: "يا هذا صارف نفسك فى أنفاسها وفى خواطرها، فإن لم تقدر، ففى نياتها وعزماتها، فإن لم تقدر، ففى مقاصدها ومراصدها ، فإن لم تفعل ، ففى أفعالها واختياراتها ...، فإن لم تقدر، فاكثر نائحة تنوح عليك فإنك فى الأحياء ميت كما كان غيرك فى الأموات حياً"^(٣).

(١) فى نحو اللغة وتراكيبها، ص ٩٠. كذلك من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، الأنجلو، ط ٥، ١٩٧٥م، ص ٣٣٣.

(٢) الإشارات: ص ٧٨.

(٣) الإشارات: ص ١٠٠.

- تقديم الجار والمجرور المتعلق بالخبر المحذوف على المبتدأ:

الأصل فى المبتدأ أن يتقدم على خبره ، يقول سيبويه "فالمبتدأ ، كل اسم ابتدئ ليبنى عليه كلام ... فالابتداء لا يكون إلا بمبنى عليه فالمبتدأ الأول والمبنى ما بعده عليه"^(١). ويقول ابن مالك: "الأصل تقديم المبتدأ وتأخير الخبر وذلك لأن الخبر وصف فى المعنى للمبتدأ فاستحق التأخير كالوصف ويجوز تقديمه إذا لم يحصل بتقديمه ضرر أى لبس أو نحوه"^(٢). والخبر ينقسم بالنظر إلى تقديمه على المبتدأ وتأخيره عنه ثلاثة أقسام: " قسم يلزم فيه تأخير الخبر: وهو أن يكون المبتدأ اسم شرط أو اسم استفهام أو كم الخبرية أو ما التعجبية أو يكون المبتدأ والخبر متساويى الرتبة فى التعريف والتكثير (لأن التقديم حينئذ هو الذى يُشعر بكونه المبتدأ) أو يكون المبتدأ مشبهاً بالخبر أو ضمير شأن أو مخبراً عنه بفعل مرفوعه مضممر مستتر فيه على المبتدأ (لئلا يقع فى الكلام الإضمار قبل الذكر أو يكون المبتدأ قد استعمل خبره مؤخراً عنه فى كلام (فى مثل أو كلام) وقسم يلزم فيه تقديم الخبر وهو أن يكون اسم استفهام أو كم الخبرية أو يكون المبتدأ نكرة لا مسوغ للابتداء بها إلا كون خبرها ظرفاً أو مجروراً متقدماً عليها أو يكون المبتدأ أن ومعمولها أو قد اتصل به ضمير يعود على شئ فى الخبر أو يكون الخبر قد استعمل مقدماً على المبتدأ فى مثل أو كلام جار مجراه. وقسم أنت فيه بالخيار وهو ما عدا ذلك"^(٣).

وقد تقدم متعلق الخبر وجوباً فى مواضع عديدة، إذ ورد جاراً ومجروراً وورد المبتدأ نكرة كما فى قول التوحيدى:

"أيها السامع هذه الغرائب: جَهْدُ الجاهد فى معرفته (يقصد معرفة الله) نكرة ، وبلوغ الغاية فى وصفه حيرة ، وفى الإعراض عنه بوارٍ وتلف ، وفى التعرض له عناء وكَلَف ، وفى التذبذب بين الإعراض والتعرض أسى وأسف"^(٤).

وتقدم متعلق الخبر الجار والمجرور وجوباً؛ إذ ورد المبتدأ مصدراً مؤولاً، من نحو قوله موبخاً: "... إلى متى تصم ، وأنت فى حسابك أنك تسمع؟ وإلى متى تعمى ، وفى تقديرك أنك مبصر"^(١).

(١) الكتاب: ٢ ، ص ١٢٦ .

(٢) حاشية الخضرى على ابن عقيل على ابن مالك : ١٠٠ ، ص ١٠٠ .

(٣) المقرب: ص ٩٢. وما بين القوسين توضيح من المحقق .

(٤) الإشارات: ص ٢٠٣ .

وقد وردت مواضع أخرى تقدم فيها متعلق الخبر (الجار والمجرور) جوازاً حيث ورد المبتدأ معرفاً بالألف واللام من نحو قوله:

"... إِيَّاكَ الْمَفْزَعُ ، وَإِلَى بَابِكَ الْمَرْجِعُ" (٢) .

وقوله:

"لَكَ الْآلَاءُ الْخَفِيَّةُ" (٣) .

وقوله أيضاً محدثاً عن الله:

".... فلا التام عنده بمقبول ، ولا الناقص عنه بمردود، ولكن لِهَ الْخَلْقُ" (٤) .

وحيث ورد المبتدأ نكرة مخصصة بالإضافة وذلك من نحو قوله:

"وكيف أفرح بما أرى من الزهر والنُّورِ وَعَلَى قَلْبِي أَقْفَالُ الْهَمُومِ" (٥) .

وتقدم متعلق خبر الناسخ الجار والمجرور جوازاً على اسمه الذي ورد نكرة مخصصة كما في

قوله:

"اصْفُ مِنْ كَدَرِ النَّفْسِ ... فَإِنَّ فِي صِفَائِكَ اتِّصَالَ بِقَائِكَ" (٦) .

وقوله أيضاً:

"... إِنَّ بَانْكَشَافَ الْفَضَائِلِ انْكَشَافَ الرِّذَائِلِ" (٧) .

(١) الإشارات: ص ١١٨ .

(٢) الإشارات: ص ٢٣٦ .

(٣) الإشارات : ص ٧٨ .

(٤) الإشارات: ص ١٧٥ .

(٥) الإشارات: ص ٣٢٤ .

(٦) الإشارات: ص ٦٧ .

(٧) الإشارات: ص ٩٧ .

- تقديم التركيب

- تقديم جواب الشرط على الأداة:

تقدم تركيب جواب الشرط على الأداة في كثير من مواضع ورود الجملة الشرطية اعتناء بذكر الجواب أولاً لأهميته في النفس وكان الدليل على أن هذا المتقدم هو الجواب نفسه اقترانه في بعض المواضع بالفاء الرابطة.

وقد سبق الحديث عن هذا النوع من التقديم في الجزء الخاص باتساع الجملة عن طريق الترتيب^(١).

^(١) وذلك في صفحات ١٦٤-١٦٧.

المبحث الثالث

من عرض الزيادة التى تؤثر فى مضمون الجملة Addition
أولاً: الاستفهام :

يؤدى دخول الأدوات على الجملة التوليدية الأساسية إلى تحويلها بالزيادة . ومن أكثر تلك الأدوات شيوعاً فى "الإشارات" أدوات الشرط وقد سبق درسها فى مبحث اتساع الجملة بالترتب، إذ تؤدى زيادتها إلى النقصان ، فتحتاح الجملة إلى ما تتعلق به وترتبط فتتسع. وهناك كذلك أدوات الاستفهام التى تدخل على الجملة فتؤدى إلى تحويل معناها . يقول ابن جنى "... كل كلام مستقل زدت عليه شيئاً غير معقود بغيره ولا مقتضىٍ لسواه فالكلام باق على تمامه قبل المزيد عليه"^(١). وتعد أداة الاستفهام من الزيادات التى تلحق بصدر الجملة فتغير معناها الخبرى إلى الإنشائى، حيث يكون المراد حينئذ طلب الفهم. يقول ابن يعيش "الاستفهام والاستعلام والاستخبار بمعنى واحد فالاستفهام مصدر استفهمت أى طلبت الفهم وهذه السنين تفيد الطلب"^(٢).

ويوضح ابن جنى علة استخدام الاستفهام فيقول: "وذلك أن المستفهم عن الشيء قد يكون عارفاً به مع استفهامه فى الظاهر عنه، لكن غرضه فى الاستفهام عنه أشياء منها أن يُرى المسئول أنه خفى عليه ليسمع جوابه عنه، ومنها أن يتعرف حال المسئول هل هو عارف بما السائل عارف به، ومنها أن يُرى الحاضر غيرهما أنه بصورة السائل المسترشد لما له فى ذلك من الغرض..."^(٣).

كان غرض التوحيدى من الجمل الاستفهامية على اختلاف أدواتها أن يبدو "بصورة السائل المسترشد لما له فى ذلك من الغرض"؛ إذ شاعت الجمل الاستفهامية عبر "الإشارات" تاركة معناها المعجمى (الاستخبار) إلى معان أخرى، ووردت مفرغة من مضمونها الوضعى إلا فى القليل النادر عندما يتوجه إلى منصوحه بسؤال يجيب هو (أى التوحيدى) عليه فيكون وسيلة من وسائل المساعدة

(١) الخصائص: د ٢ ، ص ٢٧٤ .

(٢) شرح المفصل: ابن يعيش ، عالم الكتب ، بيروت ، ٨ د ، ١٥٠ . كذلك مغنى اللبيب ، د ١ ، ص ١٣ .

(٣) الخصائص: د ٢ ، ص ٤٦٦ ، ص ٤٦٧ .

على الإفاقة والإعلام بحقيقة الأمور التي يغفل عنها^(١). أما ما دون ذلك فهو يطرح تساؤلات تتبىء عما تموج به نفسه من رفض، وإنكار، وتوبيخ، وتأنيب، وتحضيض، وتعجب، ونفى، وحيرة.

وقد استخدم التوحيدى جل أدوات الاستفهام مما أتاح له التعبير عن المعانى المرادة على اختلافها وهى الهمزة ، هل ، مَنْ ، أى، كيف ، أين ، متى ، ما. يأتى الاستفهام جملاً مستقلة متتابعة يردف بعضها بعضاً حتى إنها تمثل الكثير من الفقرات فى الإشارات حيث يتم الربط بينها لفظياً وسياقياً. فمن الجمل الاستفهامية التى رُبط بينها ربطاً لفظياً قوله:

"... فهل عندك يا أنيسى حيلة فيما ذكرت؟ بل هل عندك خبرة بما طويت ونشرت؟ بل هل تفق على عويس هذه الترجمة الإلهية؟ بل هل لك طريق إلى ترجمة هذه العويصة الإنسية؟"^(٢). ويقول أيضاً:

"كيف أتكلم والفؤاد سقيم؟ أم كيف أترنم والخطر عقيم؟ أم كيف أصبر والبلاء شامل؟ أم كيف أجزع والعناء حاصل؟ أم كيف آنس بالصديق والصديق مُدَاجِر؟ أم كيف أسلو عن الإلف والإلف مُنَاج؟ أم

(١) من الاستفهامات التى وردت لها إجابات إثارة وإفهاماً للمخاطب المنصوح قوله: "أتدرى مَنْ شيطانك؟ أنت شيطانك" (الإشارات: ص ٢٤٣). وقوله أيضاً:

"أتدرى ما الأهبة؟ هى أن تجرد العزيمة فى نفسك من قاذورات هذه الدنيا ، ثم تصل العزيمة بالصريمة فى الصبر على واردات البلوى ثم تظهر بباطنك لنفسك، ثم تتستر بباطنك لظاهرك ثم تعتمد إلى الحق معتقداً ، وتشاير على العمل معتمداً.. (الإشارات: ص ٢٣٤).

توجد مواضع أخرى لذلك النوع من الاستفهام الحقيقى فى صفحات ٢٥ ، ٤٠ ، ٢١٤ ، ٢٥٩ ، ٣٢٥ ، ٣٤٤ ، ٤٣٠ ، ٤٣٢.

(٢) الإشارات: ص ٢٧٩.

كيف أثق بما نُمَق من الخبر وقد كذّبنى ما حُقّق بالعيان؟ أم كيف أسكن إلى الانتباه وقد أفلقنى المنام؟ أم كيف أستريح إلى المنام وقد لعبت بى الأحلام؟⁽¹⁾.

ويتم الربط بين الجمل الاستفهامية فى معظم مواضع ترادفها ربطاً سياقياً كما فى قوله ، حيث تتكرر الأداة الاستفهامية نفسها:

"الويل لك منك والحسرة لازمة لك بك: أما لك من شراب الدنيا صحو؟ أما لك من أقدارها أنفة؟ أما بك حاجة إليك؟ أما لك ذرة من الشفقة عليك؟ أما تشهد هذه الآثار التى يجلوها عليك الليل والنهار؟ أما تعالين هذا الاختلاف الدائم بين الإيراد والإصدار؟ أما تستبين الفرق بين مدارج الاعلان ومناهج الإسرار؟ أما تبحث عنك؟ أما تعرف إياك؟ أما تحن إلى مأواك؟ أما تشتاق إليك؟ أما تفرّق من فاجئنا الغيب؟ أما تستحى من الاشتمال على العيب؟"⁽²⁾.

وهكذا تتراكم الجمل الاستفهامية فهو إذا ما بدأ فى الاستفهام أو لنقل إذا ما بدأ فى التعبير عما تختلج به نفسه متوسلاً بالاستفهام، فلا ينقطع حتى يفرغ الشحنة الانفعالية التى تسيطر عليه، فيتابع الجملة وراء الجملة مستفيداً من النغمة الصوتية الصاعدة التى تنتاب بتتابع الاستفهام لإحداث هزة وقلقلة داخل نفس مخاطبه علّه يفيق، ويثور على غفلته.

وفى الأغلب تنصدر الجمل الاستفهامية المترادفة الأداة الاستفهامية نفسها كما فى الأمثلة السابقة وقليلاً ما كانت تتعدد فيتصدر كل تركيب أداة بعينها وذلك كما فى قوله:

"وما أدرى وحق والحق كيف دُهِيت بما دُهِيت؟ ومن أين رُميت بما رُميت؟ ولم سُبِيت من حيث سُبِيت؟"⁽³⁾.

فتتعدد الدلالات تعدد الأدوات واختلافها.

(1) الإشارات: ص ٢٩٢.

(2) الإشارات: ص ٢٥٣.

(3) الإشارات: ص ٤٥٣.

استخدم التوحيدى جل أدوات الاستفهام فأعانتة على التعبير عن معان عدة ، وكانت الجملة الاستفهامية بمثابة المُتنفّس لكثير من الانفعالات، والمشاعر، والمعانى، والأغراض.

الاستفهام بالهمزة:

الألف^(١) أصل أدوات الاستفهام^(٢) لأنها عريقة فيه وضعاً بخلاف أسماء الاستفهام فإنه طارئ عليها بالتبعية^(٣) وترد الهمزة لطلب التصور نحو "أزيد قائم أم عمرو؟" ولطلب التصديق نحو "أزيد قائم؟"^(٤).

ترد همزة الاستفهام فى جل مواضعها متلوه بأدوات النفى (ما - ليس - لا) التى تعد أيضاً من الزيادة التى تلحق بالجملة فتؤدى إلى تحويلها ، وزيادتها تعد من القواعد التحويلية الاختيارية التى تطبق على الجملة النواة، فتؤدى إلى تحويلها لغرض يتعلق بالمعنى . وحين تأتى الهمزة مقترنة بأدوات النفى فإن زيادتها حينئذ لا تفيد الاستفهام ، والاستخبار ، بل تفيد التقرير ، والتحقيق ، والحض .

وبيفيد صاحب الكتاب أنها تفيد التقرير بغض النظر عن دخول حرف النفى عليها وذلك فى معرض حديثه عن الفرق بين الاستفهام بهل وبالهمزة، فيقول: "ومما يدلّك على أن ألف الاستفهام ليست بمنزلة هل أنك تقول للرجل: أطرباً ! وأنت تعلم أنه قد طرب ، لتوبخه وتقرره ولا تقول هذا بعد هل"^(٥). وتفيد همزة الاستفهام الإنكار فسميت همزة الإنكار^(٦). وفى ذلك يقول ابن جنى إن همزة الاستفهام إذا دخلت

(١) هناك من النحويين واللغويين من يجعل الألف والهمزة فى المعنى واحداً لأنه إذا سكّن الصوت مُدّ وسُمى ألفاً ومخرجه إذاك من وسط الحلق، وإذا كان مقطعاً يسمى همزة ومخرجها إذاك من أول الصدر وهذا هو الصحيح من أمرهما وهو مذهب سيبويه وأكثر المحققين من أئمة النحو. الجنى الدانى فى حروف المعانى: المُرادى ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل دار الآفاق الجديدة ، ط ٢ ، ١٩٨٣ ، ص ٨ ، ص ٩ . كذلك الكتاب د ١ ، ص ٩٩ . كذلك شرح اللمع فى النحو: القاسم الواسطى الضرير ، تحقيق رجب عثمان محمد، و رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة ، ٢٠٠٠ م ، ص ٢٦٦ كذلك معنى اللبيب ، د ١ ، ص ١٣ ، وما بعدها .

(٢) معنى اللبيب: د ١ ، ص ١٤ . كذلك شرح اللمع فى النحو، ص ٢٦٦ . الجنى الدانى، ص ٣٠ ، ص ٣١ .

(٣) حاشية الدسوقي على معنى اللبيب: ج ١ ، ص ٣٦ .

(٤) معنى اللبيب: ج ١ ، ص ١٥ . انظر أيضاً : الجنى الدانى، ص ٣٠ .

(٥) الكتاب: د ٣ ، ص ١٧٦ .

(٦) انظر : شرح اللمع ، ص ٣٩١ ، ص ٣٩٢ .

على الموجب نفته ، وإذا دخلت على النفي نفته، ونفى النفي عائد به إلى الإثبات ... ويدل على صحة معنى التناكر في همزة التقرير أنها قد أخلصت للإنكار في نحو قولهم في جواب قوله ضربت عمر : أعمراه !. ومررت بإبراهيم : إبراهيم . ورأيت جعفرا: أجعفرنية...^(١). والاستفهام المنفى فيه شيء من الحض، والتوقع للجواب بنعم^(٢).

وقد وردت أداة الاستفهام الهمزة متلوة بحرف النفي "ما" في معظم مواضع ورودها وذلك كما في قوله ، حيث ترادفت الجمل الاستفهامية حتى مثلت فقرة بأكملها:

" أما دعاك فلطّف ؟ أما كلّفك فخفف ؟ أما ملكك فصرّف ؟ أما هداك فعزّف ؟ أما سألته فأسعف ؟ أما أمسكت عنه فأتحف ؟ أما عصيته فستر ؟ أما أطعته فشكر ؟ أما ذكرته فذكر ؟ أما أخفيت شأنك فنشر ؟ أما عثرت مولياً عنه فنعش ؟ أما توجهت إليه فحيّا وبشّش ؟ أما سلوت عنه فشوّق ؟ أما حضرته فتوّج وطوّق ؟ أما انقبضت عنه فبسط ؟ أما احتشمت منه فنشط ؟ أما تعبت له فأراح ؟ أما اقترحت عليه فأتاح ؟ أما استوحشت فآنس ؟ أما استقبسته فأقبس ؟ أما جهلت فعلم ؟ أما امتحنت فسلم ؟ أما ذللت فعزّز ؟ أما انكشفت فأحرز ؟ أما خملت فنوّه ؟ أما دنست فنزّه ؟ أما رمدت فكحل ؟ أما طلبت فتحل ؟ أما قرعت بابه ففتح ؟ أما التمسست برّه فمنح ؟ أما تاجرته فأريح ؟"^(٣).

فأفادت الهمزة التقرير .

ووردت متلوة بحرف النفي " ليس " كما في قوله:

" ... أليس مرّها (يعنى الدنيا) غامراً لحلوها؟ أليس كدرها غالباً لصفوها؟ ... أليس أبناؤها بقية الهالكين؟ أليس جديدها ميراث البالين؟ "^(٤).

ووردت متلوة بحرف النفي " لا " المهملة التي تدخل على الفعل المضارع كما في قوله:

" ألا تعرف الفرق بين الظلام ، والشعاع؟ " ^(٥) .

(١) الخصائص: ٢ ، ص ٤٦٦ .

(٢) التطور النحوى ، ص ١٦٦ .

(٣) الإشارات: ص ٤٢٩ .

(٤) الإشارات: ص ٣٥٦ .

(٥) الإشارات: ٣٠٩ .

وتلتها لا النافية للجنس فأفادت العَرَض ^(١) كما في قوله الآتي، حيث ترادفت الجمل الاستفهامية، وربط بينها ربطا سياقيا ؛ إذ جمعها خط دلالي واحد:

" ألا قارعَ لباب الله؟ ألا قاصدَ إلى الله؟ ألا راغبَ فيما عند الله؟ ألا عائفَ لنهى الله؟ ألا قابلَ لأمر الله؟ ألا هائمَ في الله؟ ألا واجدَ بالله؟ ألا متوكلَ على الله؟ ألا مناجى لله؟ ألا بادلَ لروحه في الله؟ ألا ناظرَ لنفسه مع الله؟ ألا آخذَ بخُطام سرِّه بحق الله؟ ألا محاسبَ لنفسه على حق الله؟ ألا متوجهَ إلى ما عند الله؟ ألا خاطبَ لما عند الله؟ ألا مسرورَ بتوحيد الله؟ ألا نادمَ على ما فرطَ له من مخالفة الله؟ ألا مشيرَ بالحقيقة إلى الله؟ ألا معظَّم لشعائر الله؟ ألا مُقتدَى بسفراء الله؟ ألا متبجحَ في روضة الله؟ ألا شارعَ في غدير الله؟ ألا واثقَ بالله؟ ألا طامعَ في وعد الله؟ ألا خائفَ من وعيد الله؟ ألا راحمَ لعباد الله؟ ألا عامرَ لبلاد الله؟ ألا منتحى لفناء الله؟ ألا ناشرَ لكلمة الله؟ ألا داعىَ إلى الله؟ ألا مجيبَ لله؟ ألا شفيعَ لعبد الله إلى الله؟ ألا مشفقَ من خيانتَه على نفسه من الله؟ ألا ذاكرَ بالتحقيق لله؟ ألا عابدَ بالإخلاص لله؟ ألا شاكرَ على النعمة لله؟ ألا صابرَ على البلوى لوجه الله؟ ألا مُصغىَ لعتاب الله في كتاب الله؟ ألا مشتاقَ إلى رضوان الله؟ ألا منافسَ في طاعة الله؟ ألا متحوِّلَ عن أوطان المخالفة إلى جوار الله؟ ألا راضىَ بقضاء الله؟ ألا محدِّثَ عن الله؟ ألا دالَّ على قدرة الله؟ ألا باسطَ للرجاء في عفو الله؟" ^(٢).

فأفادت الحَض.

وقد وردت همزة الاستفهام دون اقترانها بحروف النفي السابقة فأفادت النفي وذلك كما في قوله:
" يا هذا : أتدعى أنك محبُّ لمولايك ، وأنت متلخخ ببلواك ؟ أتزعم أن بينك وبين الحق صلة ، وأنت عاكف على بساط الخلاف والمعصية؟" ^(٣).

وقوله أيضاً :

^(١) انظر : شرح الرضى على الكافية ، د ٤ ، ص ٤٢٢ .

^(٢) الإشارات: ص ٩٥ .

^(٣) الإشارات: ص ١٧٨ .

" أتأكيد نفسك وإنما أنت هي ، وهي أنت ؟ أتظن أن نهارك ليل، والشمس في وسط السماء ؟ أتقدر أنك على هذا الريح في هذا الأخذ والإعطاء ؟ أتشهد أنك رحمة بين الأصدقاء ، وشماتة بين الأعداء؟"
(١)

تدخل همزة الاستفهام على الجملة الفعلية كما تدخل على الجملة الاسمية ، وقد دخلت أكثر ما دخلت على الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع كما في قوله:

"يا هذا أتريد أن تصيب الهدف ولما تسدّ ؟ أتريد أن تبلغ المنزل ولما تجتهد؟ أتريد أن تلاحظ الأعلى ولما تحدّق؟ أتريد أن تجالس الملوك ولما تتأدّب ؟ أتريد أن تسعد جُزافاً وتنال مُرادك اختلاساً؟ هيهات ... " (2) .

فأفادت النفي بدليل قوله بعد ذلك " هيهات " .

وتدخل على الفعل المضارع المثبت كما سبق وتدخل على الفعل المضارع المنفي فتفيد الحض والتوقع للجواب بنعم وقد سبق إيراد مثال للفعل المضارع المنفي بـ "لا" المهملة ، أما دخولها على الفعل المضارع المنفي بـ "ما" فنحو قوله:

"...أما تعتبر بمن مضى من أسلافك ؟ ...أما يردعك عن جهلك رادع ؟ أما يقمعك عن غيِّك قانع ؟ ... أما تلاحظ بعين فكرك الأمم الخالية ؟ ... " (٣) .

ودخلت الهمزة الاستفهامية على الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي المنفي كما في قوله الآتي، إذ ترادفت الجمل الفعلية الاستفهامية:

"... أما أزاح علتك؟ أما وفر طاقتك؟ أما نهج سبيلك؟ أما وضّح دليلك؟ أما رفق بك؟ أما أخذ بيدك؟ أما أنعم عليك؟ أما أحسن إليك ؟ أما جال في وهمك؟ أما ساح في شرك ؟ أما سكّن حرَمك؟ أما قبل

(١) الإشارات: ص ٤٦٢ ،

(٢) الإشارات : ص ٣٦٣ .

(٣) الإشارات: ص ٣٦٨ .

بِرَّكَ ؟ أما قدّم إسعافك؟ أما عظم ألطافك؟ أما قدّى عينك؟ أما أمدّ كونك؟ أما آثر نجاتك؟ أما قدّم غياتك؟ أما نصر ولّيك؟ أما خذل عدوك؟" (1)

ودخلت الهمزة الاستفهامية على الجملة الاسمية المثبتة كما فى قوله الآتى، حيث تلاها المسند، وحذف المسند إليه:

"... وانظر هذه الدار (يعنى الدنيا) : أدارُ مَقَامٍ فتسكن إليها أم دارُ قُلعة؟" (٢).

وحيث تلاها المتعلق بالمسند المحذوف، من نحو قوله:

" ألك رب غيره؟ ألك مولى سواه؟" (٣).

وقوله:

"أبينك وبين نفسك تِرّةٌ أو كَيْدٌ؟" (٤).

ودخلت الهمزة الاستفهامية على الجملة الاسمية المنفية بـ " ليس ":

"... أليس من جملة هذه النعم انفتاح باب الشكر على القلب بالتلذذ، وعلى اللسان بالتردد؟ أليس من جملة هذه النعم الاهتداء إلى الاعتراف بالنعم..." (٥).

ودخلت على الجملة الاسمية المنفية بـ " لا" النافية للجنس ، وقد مثلت لها بمثال سابق " ألا قارع لباب الله؟..." (٦).

ودخلت على الجملة الاسمية المنفية بـ "ما" كما فى قوله:

(1) الإشارات : ص ٦٨ .

(٢) الإشارات: ص ٤٢٢ .

(٣) الإشارات: ص ٩٢ .

(٤) الإشارات : ص ٨٧ .

(٥) الإشارات : ص ١١ .

(٦) ص ٢٢٠ من هذه الدراسة.

"أما أنت من طين؟ أما أنت من ماء مَهِين؟ أما أنت على بساط رب العالمين ... " (١).

وورد الاستفهام بالهمزة مقترنا بـ "أم" المتصلة التي تفيد طلب التعيين ، وذلك في موضعين،

فيقول:

"حَدَّثْنِي : مالذي غَرَّكَ ؟ أَسِئْرُهُ الدِّيَالِ السابغ ؟ أم رَفَقَهُ المتواصل البالغ ؟ أم رَحْمَتُهُ لك لضعفك ؟ أم إنظارُهُ إِيَّاكَ إلى أَوَانِكَ ؟ " (٢).

وقد وردت همزة الاستفهام متلوة بحرف العطف الفاء إذ يُراعى أصالة الهمزة في استحقاق التصدير بخلاف "هل" وسائر أدوات الاستفهام (٣) . وقد ورد حرف العطف الفاء تالياً للهمزة كما في قوله الآتي، إذ دخلت على النفي للحض، والإثبات، والتقرير.

"... أفلا يعتبر المرء اللبيب بما يرى من تنعيمها (يقصد الدنيا) ، وورود الفجائع على أهلها" (٤).

وتلا همزة الاستفهام حرف العطف الفاء، ودخلت على إثبات في موضع وحيد في قوله:

"إنك تعين من إذا شاء عطف عليك ، وأقبل إليك ، وقلَّب عينك ، وشرَّف كونك، وأراك منك غير ما عهدته، وأبدى فيك على خلاف ما شهدته، لأنه في الأولى تولَّى اختراعك وتكوينك، ثم وهب لك تحريكك وتسكينك، ثم أفاض عليك تأييدك وتمكينك ، ثم جمع لك تحسينك وتزيينك ، هذا بعدما أبرز تعيينك وتلوينك. أفتراه مع هذه السؤالف من العوارف لا ينقذك من المخاوف والمثالف؟" (٥).

(١) الإشارات: ص ٣٣٧.

(٢) الإشارات : ص ٤١١.

(٣) الجنى الدانى ص ٣١ . كذلك انظر : مغنى اللبيب ، د ، ص ١٤ ، ص ١٥ ، ص ١٦ . كذلك شرح الرضى على الكافية ، د ، ص ٣٩١ ، ص ٣٩٢.

(٤) الإشارات: ص ٣٧١.

(٥) الإشارات: ص ٤٣٢.

الاستفهام بـ "هل":

هل "حرف موضوع لطلب التصديق الإيجابي دون التصور" ^(١) "أى طلب إدراك وقوع النسبة أو لا وقوعها" ^(٢) فيجاب عنها بـ "نعم"، و بـ "لا" ويمتنع "نحو هل زيدا ضربت" لأن تقديم الاسم يُشعر بحصول التصديق بنفس النسبة ونحو: "هل زيد قائم أم عمرو" إذا أريد بـ "أم المتصلة". ودون التصديق السلبي أى يمتنع قولنا: "هل لم يقم زيد". ونظيرها فى الاختصاص بطلب التصديق "أم المنقطعة" ^(٣) فيصح دخولها عليها كما فى قوله تعالى: "قل هل يستوى الأعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور ... " (الرعد: ١٦). وتدخل على الأسماء والأفعال ^(٤).

وقد وردت "هل" متبوعة بالفعل الماضى فى أكثر مواضع ورودها "بالإشارات" "أما قول ابن سيده فى شرح الجمل: لا يكون الفعل المستفهم عنه إلا مستقبلاً، فسهو، قال الله سبحانه وتعالى: (فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا) (الأعراف: من الآية ٤٤) ، وقال زهير:

فَمَنْ مُبْلَغُ الْأَحْلَافِ عَنِ رِسَالَةٍ وَذُبْيَانٍ هَلْ أَقْسَمْتُ كُلَّ مُقَسِّمٍ؟ ^(٥)

ومن قول التوحيدى إذ دخلت على الجملة الفعلية ذات الفعل الماضى.

"... فحدّثنى بعد هذا الشرح: هل وقع دوائى منك على الجرح؟ وهل وجدت شفاءً من البرح؟ وهل وثقت بروح البرء بعد مسّ القرّح؟" ^(٦).

وقوله أيضاً:

".... هل رأيت الخير قط إلا منه (يقصد من الله)؟ هل هدأت إلا معه؟ هل وصل إليك برٌّ إلا عنه؟ هل كان لك قوام إلا بقدرته؟ هل كان لك انغماس إلا فى نعمته؟ هل كان لك مدار إلا على مشيئته؟

^(١) مغنى اللبيب: ج ٢ ، ص ٣٤٩.

^(٢) حاشية الدسوقي على مغنى اللبيب: ج ٢ ، ص ٣١٩.

^(٣) مغنى اللبيب: ج ٢ ، ص ٣٤٩.

^(٤) الجنى الدانى ص ٣٤١ ، ص ٣٤٢. كذلك رصف المبانى فى شروح المعانى، الملقى، تحقيق أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ٤٠٦ ، ص ٤٠٧.

^(٥) مغنى اللبيب: ج ٢ ، ص ٣٥٠.

^(٦) الإشارات: ص ٣١٤.

هل كان لك رجاء إلا في رحمته؟ هل كان لك نجاة إلا بعصمته؟ هل كان لك رسم إلا بجوده وسعته
؟ هل كان لك اسم إلا بتسميته؟ هل كان بك غنى إلا بنصرتة؟ هل كان لك التفات إلا على عَفْوَتِه^(١)
؟ هل كان لك استقلال بغير كفايته؟ هل كان لك مخرج من ولايته؟ هل كان لك بيان عن إلهيته؟ لا،
والله^(٢).

ووردت هل متبوعة بالجملة الفعلية ذات الفعل المضارع في مواضع قليلة للدلالة على الحال
والاستقبال فتزامنت الدالتان في قوله:

"... فهل تعرف يا سيدي بلوى تشبه هذه البلوى؟ وهل يصبر العبد على مثل هذا من المولى؟"^(٣).

وجاءت هل متبوعة بالجملة الاسمية حيث تلاها المتعلق بالمسند المحذوف الذي ورد جارا
ومجرورا كما في قوله:

"أيها السامع بالأذن، هل لك شرب من هذا المسموع بالقلب؟ أيها الحاضر بالشخص، هل لك حاصل
من الأنس؟ أيها الواجد بالشوق، هل لك حس بالذوق؟ أيها المعجب باللفظ، هل لك نصيب من المعنى؟
أيها المدلُّ بالعبرة، هل لك حقيقة في الإشارة؟ أيها المسحور بالبلاغة، هل لك بلاغ إلى الغاية؟ أيها
المفتن في العلم، هل لك علامة من المعلوم؟"^(٤).

وورد المتعلق ظرفا من نحو قوله:

"فهل عندك يا أنيسى حيلة فيما ذكرت؟ بل هل عندك خبرة بما طويت، ونشرت؟"^(٥).

وتلاها المسند إليه معرفة بالألف واللام في قوله:

"... وهل العطفة مرجوة وهل الفيئة منتظرة؟ وهل الرحمة متوقَّعة؟"^(٦).

وتلاها المسند إليه نكرة عامة حيث وردت في موضعين في قوله:

(١) أى: ساحته.

(٢) الإشارات: ص ٩٢ ، ص ٩٣.

(٣) الإشارات: ص ٣٢٥.

(٤) الإشارات: ص ٢٢١.

(٥) الإشارات: ص ٢٧٩.

(٦) الإشارات: ص ٣٢٥.

"... فهل كل بعض المعنى إلا كبعض كله؟ وهل بعض كلّه إلا ككل بعضه؟" (١) .

وورد المسند إليه اسما نكرة مسبوقه بـ "مِنْ" الزائدة التي يسبقها نفى ، أو نهى ، أو استفهام بـ "هل" فتفيد " مِنْ " حينئذ التنصيص على العموم (٢). يسأل التوحيدي ؛ إذ تلَوّن خطابه وطال:

"..... فهل من صبر فأتقدم على مقدرة" (٣).

وقد وردت هل مسبوقه بهمزة الاستفهام فى موضع واحد فأفادت معنى "قد" كما فى قول الشاعر زيد الخيل الطائى:

سائلٌ فوارسَ يربوعَ بشدّتنا أ هل رأونا بسفح القفّ ذى الأكْم؟

فخرجت "هل" عن معناها الاستفهامى ؛ إذ تلت همزة الاستفهام ، ولا يجوز اجتماع حرفين لمعنى واحد ، فخرجت عن معنى الاستفهام إلى معنى الخبر (٤) ، وأفادت معنى "قد" ، ودلت على التوكيد والتحقيق ؛ إذ تبعها الفعل الماضى فى البيت السابق. أما فى قول التوحيدي الآتى فقد أفادت معنى الشك إذ تلاها الفعل المضارع. يقول التوحيدي موبخا:

"يا هذا: ... أبينك وبين نفسك تِرّةٌ أو كيد؟ أهل يفعل الإنسان العاقل بعده ما تفعله أنت بروحك؟" (٥).

وقيل إن اجتماع الأداتين (همزة الاستفهام ، و"هل") من قبيل الجمع بين أداتين لمعنى واحد على سبيل التوكيد (٦) . فإذا أخذنا بهذا القول ، يكون الجمع بينهما فى قول التوحيدي تأكيداً لتعجبه الذى يدل عليه الاستفهام بالأداتين مترادفتين .

(١) الإشارات: ص ١٥٧ .

(٢) انظر مغنى اللبيب: ج٢ ، ص ٣٢٢ . كذلك الجنى الدانى ، ص ٣١٦ . ويطلق عليها برجستراسر من الخاصة بالسلب، وذلك كما فى قوله تعالى: "هل من مزيد" (سورة ق: من الآية ٣٠) . فكأن معناها ما من مزيد ، ولذلك فالسائل بهل يتوقع الجواب بلا بدليل قابلية دخول من الزائدة عليها (التطور النحوى ، ص ١٦٦) .

(٣) الإشارات : ص ٣٩٥ .

(٤) الخصائص، ج٢، ص ٤٦٥ . كذلك حاشية الدسوقي على مغنى اللبيب، ج٢، ص ٣٢٥ وما بعدها. كذلك رصف المباني ، ص ٤٠٧ . كذلك الجنى الدانى، ص ٣٤٤ .

(٥) الإشارات: ص ٨٧ .

(٦) الجنى الدانى ، ص ٣٤٤ .

وقد وردت "هل" وأريدَ بالاستفهام بها النفي ⁽¹⁾، أى أنها أُشربت معنى حرف النفي بدليل الجواب عنها بـ "بلى"، التى هى حرف جواب "مختصة بالنفي فلا تقع إلا بعد نفي فى اللفظ أو فى المعنى". وقد قال المرادى إنها تقع جوابا للاستفهام بـ "هل" فى نحو: هل يستطيع زيد مقاومتى؟ فيقول: بلى إذا كان منكرا لمقاومته. ومنه قول الجحّاف بن حكيم:

بلى ، سوف نبكيهم ، بكل مُهتَدٍ ونبكي عُميرا بالرّماح الخواطرِ

جوابا ، لقول الأخطل له:

ألا، فسلّ الجحّاف: هل هو ثائر بقتلى ، أُصيّبت، من ثُمير بن عامر؟ ⁽²⁾

يسأل التوحيدى فيقول:

".... وهل يصبر العبد على مثل هذا من المولى؟" ⁽³⁾ .

فيجيب:

"بلى، يصبر ، ويصبر" ⁽⁴⁾.

وقوله حيث دخلت بعدها "إلا" التى تدخل على النفي فتتقضه ، وذلك فى قوله لإفادة الإثبات:

"... هل هدأت إلا معه؟ هل وصل إليك برّ إلا عنه؟ هل كان لك قوام إلا بقدرته؟ ..." ⁽⁵⁾.

فإذا وضع حرف النفي "ما" بدلا من "هل" لن يتغير المعنى وذلك مثل قوله تعالى: "وهل نجازى إلا الكفور" (سبأ: ١٧) وقوله تعالى: "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" (الرحمن: ٦٠) ^(٦).

^(١) معنى اللبيب: ج ٢، ص ٣٥٠.

^(٢) الجنى الدانى، ص ٤٢٠، ص ٤٢١.

^(٣) الإشارات: ص ٣٢٥.

^(٤) نفسه .

^(٥) الإشارات: ص ٩٢.

^(٦) الجنى الدانى: ص ٣٤٢.

الاستفهام بـ "متى":

وهي اسم استفهام بمعنى "أى حين"^(١). وقد دخلت على الجملة الفعلية في جل مواضع ورودها، وذلك من نحو قول التوحيدى:

".... متى تستقل ، والفرص تمر مر السحاب ؟"^(٢) .

وقد سُبقت "متى" ببعض حروف الجر التي تمثل عناصر زيادة أخرى في الجملة، فسبقت بحرف الجر "إلى" الدال على انتهاء الغاية^(٣). يقول التوحيدى:

"... فإلى متى نعبد الصنم بعد الصنم كأننا حُمُرٌ أو نَعَم؟ إلى متى نسيء ظننا به ، ولم نَرَ خيرا إلا منه؟ إلى متى نشكو إلى خلقه ، وليس لنا معاذ إلا إليه ؟ إلى متى نشرد عنه ، ولا قوام لنا إلا به؟ إلى متى نُكذِّبه عن أنفسنا، وهو أعلم بنا منا؟ إلى متى نعتصم بغيره ، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد؟ إلى متى نثق بسواه، وهو لنا تجاه؟ إلى متى نختان أنفسنا كأننا على رشد أو غبطة؟ إلى متى نستحيى من طول ما لا نستحيى؟ إلى متى نقول بأفواهنا ما ليس فى قلوبنا؟ إلى متى ندعى الصدق ، والكذب شعارنا ودثارنا؟ إلى متى نتمادى فى الغواية، وقد فنى العمر بلبيلنا ونهارنا؟ إلى متى نتنافس بذكره، وزنانيرنا فى أوساطنا؟ إلى متى نُخلد إلى الدنيا، وقد دنا منها رحيلنا؟ إلى متى نستظل بشجرة قد تقلص عنا ظلها؟ إلى متى نبتلع السموم ، ونحن نظن أن الشفاء فيها؟"^(٤).

وهكذا تتوالى الجمل الاستفهامية مرتبطة ارتباطا سياقيا وقد جمعها إطار دلالي واحد هو إنكار الانصراف عن الله إلى غير الله.

ووردت متى مسبوقة بحرف الجر "حتى" الدالة على انتهاء الغاية أيضا^(٥) فى قوله:

"حتى متى إلى الشيطان سكونك؟"^(٦).

(١) الكتاب: ج٤، ص ٢٣٣.

(٢) الإشارات: ص ٢٥٠.

(٣) معنى اللبيب: ج١، ص ٧٤.

(٤) الإشارات: ص ٢٠.

(٥) معنى اللبيب: ج١، ص ١٢٢.

(٦) الإشارات: ص ٣٦٧.

ودخلت على الجملة الاسمية المصدرة بالفعل الناسخ، وذلك كما فى قوله مستكراً:

"قل متى كان الليل مطيتك بالتهجد؟ متى كان النهار متصرفك بالترهد؟ متى كانت ساعاتك مشغولة بالتفرد؟ متى كانت حركاتك مقصورة على التعبد؟ متى كانت سيرتك جارية على التوحش والتأبد؟"⁽¹⁾.
الاستفهام بـ "كيف":

ورد الاستفهام بالاسم "كيف" فى "الإشارات" وقد دخلت على الجملة الفعلية ذات الفعل المضارع فى كثير من المواضع كما فى قوله:

"فقد تنى يا سيدى كيف أسرح طرْفى فى آثار هذا الربيع؟ وكيف أفرح بما أرى من الزهر والنور، وعلى قلبى أقفال الهموم؟"⁽²⁾.

وقوله مناجيا الله:

"إلهنا: كيف نطلبك وأنت قبل الطلب موجود؟ أم كيف نجدك وأنت بعد الطلب مفقود؟"⁽³⁾.

ودخلت على الفعل الماضى كما فى قوله ذاكرا نعم الله مستفهما عنها لاستثارة التأمل:

"فانظر يا هذا كيف أوردك رياض هذه النعم؟ وكيف قلبك فيها؟ وكيف طيبك بطيب روائحها، وغالب فوائدها؟ ثم انظر كيف جمعك بعدما كنت متفرقا؟ وكيف نظمك بعدما كنت متبدا؟ وكيف هداك بعد ما كنت متحيرا؟ وكيف شفى غلتك بعد ما كنت مُسجراً؟ وكيف أروى ظمأك بعد ما كنت لاهثاً؟ وكيف أولعك بالجد بعد ما كنت عابثاً؟ وكيف فتح بصرك على حظك بعد ما كنت غصياً؟ وكيف شرح صدرك بعدما كنت مريضاً؟ وكيف فتق سمعك بعد ما كان مُرتقياً؟ وكيف رتق طبعك بعد ما كان مُنفقاً؟"⁽⁴⁾.

(1) الإشارات: ص ٣٠٨.

(2) الإشارات: ص ٣٢٤.

(3) الإشارات: ص ١٠٣.

(4) الإشارات: ص ٣٣١.

الاستفهام بـ "أى":

اسم يفيد الاستفهام فى وجه من وجوه إفادته مثل قوله تعالى: " أَيْكُم زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا"(التوبة: من الآية ١٢٤)^(١). ويقصد به التحديد والتخصيص والاختيار^(٢).

وردت فى مثل قول التوحيدى حيث سبقها حرف جر:

" ... فى أى شىء كنا ؟ ... وإلى أى غاية أُجْرِنَا ؟ ومن أى فنن قطفنا؟ وبأى سحب ابتلنا ؟ وعن أى غاية أنبأنا ؟ ... وبأى معرض اجتلينا ؟ ... وبأى بيت غنّينا وشجونا ... " ^(٣).

الاستفهام بـ "ما":

"ما" اسم استفهام ومعناها أى شىء وهى مبهمة تقع على كل شىء ، فلا يستفهم بها عن العاقل . وتحذف ألفها عند دخول حرف جر عليها، فيقال علامه، وفيمه، ولمه، وبمه، وحتّامه ، والهاء عوض عن الألف المحذوفة من ما، وإثباتها أجود عند الوقف . وقد قال قوم فيم ، وعلام ، وبم ، ولم ، بدون الهاء، والفتحة دليل على الألف. وعلة حذف الألف أن يفرّق بينها وبين ما الموصولة فيُفرّق بين الاستفهام والخبر، فلهذا حذفت فى نحو "فيمَ أنت من ذِكرها" (النازعات: ٤٣)، وقوله تعالى: "فناظرُهُ بَمَ يرجعُ المرسلون" (النمل: ٣٥)، وقوله تعالى: "لَمَ تقولون ما لا تفعلون" (الصف: ٢)، وتثبت فى قوله تعالى " لَمَسَكُم فيما أفضتم فيه عذابٌ عظيمٌ" (النور: ١٤)، وقوله تعالى: "والذين يؤمنون بما أنزل إليك"(البقرة: من الآية ٤)، فكانت موصولة تفيد الخبر فلا تُحذف فيه^(٤).

وردت "ما" الاستفهامية فى الإشارات مسبقة بحرف جر، وقد حُذفت ألفها. ويوجه حرف الجر الإبهام الذى فى "ما" إلى شىء من التحديد ، والتخصيص^(٥). يقول التوحيدى:

"حدثنى بَمَ تنق؟ وبم تصول؟ وبم تحتج؟"^(١).

(١) معنى اللبيب، ج ١، ص ٧٧.

(٢) فى التحليل اللغوى: خليل أحمد عمارة، مكتبة المنار، الأردن، ط ١، ١٩٨٧، ص ١٣٥، ص ١٣٦ .

(٣) الإشارات: ص ٣٢٨.

(٤) الكتاب، ج ٤، ص ١٦٤. كذلك انظر: معنى اللبيب، ج ١، ص ٢٩٩.

(٥) فى التحليل اللغوى ، ص ١٣١.

وقوله:

" لَمْ تَكْذِبْ نَفْسَكَ ، وَأَنْتَ تَغْضَبُ إِنْ كَذَبَكَ غَيْرُكَ؟ لَمْ تَغْمَسْهَا فِي الْبَلَاءِ، وَأَنْتَ لَا تَرْضَى بِمِثْلِهِ مِنْ مِثْلِكَ؟ لَمْ تَحُولْ بَيْنَكَ وَبَيْنَكَ ، وَأَنْتَ الْمَتَهَالِكُ فِي ذَلِكَ؟ لَمْ تَخَالَفِ الْعَقْلَ فِي نَفْسِكَ ، وَأَنْتَ تَحْتَجُّ بِهِ عَلَى سِوَاكَ ؟ لَمْ تَنْقُضِ الْعَادَةَ فِي خَاصَّتِكَ ، وَأَنْتَ تَطَالِبُ بِهَا فِي جَمِيعِ مَعَامِلَاتِكَ؟ لَمْ تَوْقِدْ نَارَ الْغَضَبِ عَلَيْكَ حَتَّى تَحْتَرِقَ بِهَا ؟ لَمْ تُشَاقِ الْحَقَّ حَتَّى يَفَارِقَكَ عِنْدَ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ؟" (2) .

ووردت، وقد التصق بها اسم الإشارة "ذا" وقيل إنها موصولة، فأصبحت "ماذا" (3) ، وقد دخلت عليها حروف الجر "اللام ، والباء ، وإلى" وذلك كما في قوله:

" ... بماذا يحتج من رُجِرَ عن محل الحاضرين؟ وإلى ماذا يلجأ من غُمر بالظلام، ... " (4) .

الاستفهام بـ "من":

من اسم للاستفهام عن العاقل كما في قول الله تعالى: "من بعثنا من مرقدنا ؟" (يس: ٥٢) (5) .

وردت "من" الاستفهامية بوصفها عنصرا زائدا دخل على الجملة التوليدية، وقد سبقها عنصر زائد آخر هو حرف الجر لإفادة التخصيص والتحديد، وذلك كما في قوله مستعظفا الذات الإلهية: "... وقحنا وجوهنا ، وأطلقنا ألسنتنا ، وقلنا: على من تردُّنا ، ونحن عبيدك ؟ وإلى من نكلنا، ونحن خلقك ؟" (6) .

(1) الإشارات: ص ١٤٨ .

(2) الإشارات: ص ٢٥٤ .

(3) مغنى اللبيب ج ١، ص ٣٠١ . وقد أورد الرأى القائل بأن "ماذا" كتلة واحدة.

(4) الإشارات: ص ٢٠٦ .

(5) مغنى اللبيب، ج ١، ص ٣٢٧ .

(6) الإشارات: ٢٦٠ .

وفى قوله أيضا:

"يا قوم ، فإن لم تأخذوا بيدي، فالى مَنْ أَكَلِ أَمْرِي، وعلى مَنْ أَعْرَضَ وَفَائِي وَغَدْرِي ، ولمن أفرش احتجاجي وعذري؟" (1).

وقد وردت "من" الاستفهامية متبوعة بـ "ذا" فقليل إنها موصولة ، ويرى الكوفيون أنها زائدة، ويرى نحاة آخرون أن تكون "من" و "ذا" مركبتين كما فى "ماذا" ، ومنع آخرون تركيبها فيكونا اسما واحدا (2) ؛ لأنهم يرون أنَّ من ذا "منذا" مركبا من اسمين وكل اسم لابد أن يكون له موقع من الإعراب فاحتاجوا إلى القول بأن " ذا " موصولة فى مرة وزائدة فى أخرى ، ولكن الثابت أن اتباع ذا يجعل الاستفهام بـ "من" استفهاما عن أمر عام يُراد توضيحه وإبانتته خلافا للاستفهام بـ "من" فقط والذي يراد به التحديد والتخصيص (3).

وقد وردت "من" متلوة بـ "ذا" التى تعد هنا للإشارة ؛ إذ ورد بعدها الاسم الموصول "الذى" وذلك كما فى قوله:

"... الربوبية تسرى أنوارها، والبشرية تضيق أقطارها، والنفوس تبدو أخبارها، والغاية يُعرف إضمارها، والحال يبرز عوّارها ، فمن ذا الذى يرى بصره هذه التلاميذ فلا يغشى؟ ومن ذا الذى يجد هذه الروائح فلا يَنْشَى؟ ومن ذا الذى تكتنفه هذه الأعجائب فلا يلتاع؟ ومن ذا الذى تتردد على سمعه هذه الأحاديث فلا يرتاع؟ ومن ذا الذى يُسقى من هذا الشراب فلا يسكر؟ ومن ذا الذى يحدّق طرفه إلى هذه المناظر فلا يسدّر؟ ومن ذا الذى يشهد هذه الصورة فلا يعشق ؟ ومن ذا الذى يُحرم التلذذ بها فلا يقلق؟ ومن ذا الذى يؤهل لهذه الحال فلا يبتهج؟ ومن ذا الذى يُزحّج عنها فلا يبتشج؟" (4) (5) .

(1) الإشارات: ص ١٣٩ .

(2) انظر : مغنى اللبيب ، ج ١ ، ص ٣٢٧ . كذلك الكتاب ، ج ٢ ، ص ٤١٦ ، ص ٤١٧ .

(3) فى التحليل اللغوى، ص ١٣٤ .

(4) النشيج : أشد البكاء . والنشيج : إذا غص بالبكاء فى الحلق من غير انتخاب .

(5) الإشارات : ص ٢٦٣ ، ص ٢٦٤ .

ثانياً: الاعتراض

الاعتراض لغة "من عَرَضَ الشيء يعرض. واعترض انتصب ومنع وصار عارضاً كالخشبة المنتصبة في النهر والطريق ونحوها تمنع السالكين سلوكها. ويقال اعترض الشيء دون الشيء أى حال دونه. وأما في الحديث: لا جلب ولا جنب ولا اعتراض فهو أن يعترض رجل بفرسه في السباق فيدخل مع الخيل ومنه حديث سراقه أنه: عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر الفرس أى اعترض به الطريق لمنعهما من السير" (1).

والاعتراض بوصفه مصطلحاً نحوياً هو الجملة الاعتراضية التي تعد من عناصر الزيادة التي تتعرض لها بنية الجملة وهي "ما يتوسط بين أجزاء الكلام متعلقاً به معنى مستأنفاً لفظاً على طريق الالتفاف كقوله (وهو المتنبى):

وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل من فيها ، وحاشاك ، فانيا " (2).

فالاعتراض "يعتمد على تحريك الألفاظ من أماكنها الأصلية لكي تقسح المكان لعنصر جديد ... ودخول هذا العنصر يقطع الدلالة المتصلة في التركيب الأصلي، ثم يعود التركيب إلى تمامه بعد دخوله فيتم المعنى في الكلام بحيث لو أسقط العنصر الدخيل لبقى الأول على حاله في الإفادة" (3). وهو ما يشير إليه تعريف أبى هلال العسكري للاعتراض حيث يقول: "وهو اعتراض كلام في كلام لم يتم ثم أن ترجع إليه فتتمه" (4).

(1) لسان العرب: مادة عرض.

(2) شرح الرضى على الكافية: ج ٤، ص ٩٨، ص ٩٩.

(3) جدلية الأفراد والتركيب: محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ط ١ ، ١٩٩٥ ، ص ١٦٦ .

(4) كتاب الصنائع: أبى هلال العسكري ، تحقيق على محمد البجاوى ، ومحمد أبى الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه ، ١٩٧١ ، ص ٤٦٠ .

وتأتى الجملة المعترضة بين "عنصرين لغويين متلازمين"^(١) وهو المقصود من لفظة ابن هشام "شيئين" فى معرض حديثه عن الجملة الاعتراضية فهى "المعترضة بين شيئين لإفادة الكلام تقوية وتسديدا وتحسينا"^(٢).

وعلى هذا فالاعتراض، الذى هو قبيل الفصل، يرد لهدف يتصل بالدلالة ألا وهو "إفادة الكلام تقوية وتسديدا وتحسينا"، ويمكن أن تكون هناك أهداف أخرى لدى المبدع ، كأن يكون لإثارة الانتباه إلى حال من أحوال الكلام^(٣) قد لا يلتفت إليها المتلقى فيأتى به معترضا وشاطرا بين جزئين يفترض تماسكهما وتضامهما النحوى مما يؤكد اهتمام المبدع بإبرازه بين ثنايا الكلام؛ ومن ثمَّ يلتفت إليه المتلقى فيأخذه فى الاعتبار. " قال الله سبحانه وتعالى: (فلا أقسم بمواقع النجوم، وإنه لقسم، لو تعلمون، عظيم، إنه لقرآن كريم) (الواقعة: ٧٥ - ٧٧) فهذا فيه اعتراضان: أحدهما قوله: (إنه لقسم لو تعلمون عظيم) لأنه اعترض به بين القسم الذى هو قوله (فلا أقسم بمواقع النجوم)، وبين جوابه الذى هو قوله (إنه لقرآن كريم) وفى نفس^(٤) هذا الاعتراض اعتراض آخر بين الموصوف الذى هو (قسم) وبين صفته التى هى (عظيم)، وهو قوله (لو تعلمون) فذالك اعتراضان"^(٥).

(١) حاشية الشيخ مصطفى الدسوقي على معنى اللبيب ، ج٢ ، ص ٤٠٦ .

(٢) معنى اللبيب: ج٢، ص ٣٨٦ .

(٣) همع الهوامع ، للسيوطى ، عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعسانى، دار المعرفة ، بيروت ، ج١ ، ص ٢٤٧ .

(٤) هكذا وردت فى النص .

(٥) الخصائص : ج١ ، ص ٣٣٦ .

والجملة الاعتراضية لا محل لها من الإعراب، أى لا تحل محل المفرد؛ إذ لا تكون معمولة لشيء من أجزاء الجملة المقصودة (أى المعتراض بين أجزائها) على مناسبتها لها^(١).

وقد ورد كثير من الأمثلة للاعتراض فى القرآن الكريم والشعر فى كتب اللغويين القدماء تبرز الاعتراض بين الفعل والفاعل ، وبين المبتدأ والخبر، وبين ما أصله المبتدأ والخبر (وهى الجملة المبدوءة بناسخ)، وبين الموصول وصلته، وبين الفعل والمفعول، وبين المفعول الأول والمفعول الثانى، وبين الشرط وجوابه، وبين القسم وجوابه، وبين المضاف والمضاف إليه ، وبين الجار ومجروره، وبين النعت ومنعوته، وبين الحرف الناسخ وبين ما دخل عليه ، وبين الحرف وتوكيده، وبين حرف التنفيس والفعل، وبين " قد " والفعل ، وبين حرف النفي ومنفيه، وبين جملتين مستقلتين^(٢).

ورد الاعتراض فى "الإشارات" أكثر ما ورد بجملة القسم، وجملة الدعاء، وجملة الشرط، وبالدعاء.

الاعتراض بجملة القسم:^(٣)

ورد الاعتراض بجملة القسم فى مواضع كثيرة وقد ورد معترضاً بين النعت ومنعوته فى معظم مواضعه.

وذلك من مثل قوله:

"خبرٌ - والله - طريف، وحديثٌ - والله - عفيف ، الفكر فيه يورث الوسواس و الصدور"^(٤).

وورد معترضاً بين المبتدأ والخبر كما فى قوله:

"فيا أحبائى: ارحمنى فى أوصابى ... أنا - وحياتكم - إليكم ذو صبابه"^(١).

^(٦) انظر : معنى اللبيب، ج٢، ص ٣٨٢ وما بعدها . كذلك همع الهوامع ، ج١ ، ص ٢٤٧ . كذلك الخصائص ، ج١، ص ٣٣٨ .

^(٢) معنى اللبيب، ص ٣٨٦ وما بعدها . كذلك الخصائص ، ج١ ، ص ٣٣٦ وما بعدها . كذلك همع الهوامع ، ج١ ، ص ٢٤٧ ، ص ٢٤٨ .

^(٣) المراد بالقسم هنا حكاية القسم كقولنا: زيد - والله - كريم . والمقصود أقسم بالله، فهو كلام مستقل، وليس المراد صريح القسم لأنه سيحتاج إلى جواب فلا يكون الكلام تاماً . (الخصائص ، ج١، ص ٢٠)

^(٤) الإشارات: ص ٢٣ .

وورد بين ما أصله المبتدأ والخبر في موضعين. يقول في أحدهما:

"أيها الصديق بالسَّمة ، المخلص بالدعوى : اسمع هذه البلايل فإنها - والله - محرجة لكل صدر"^(٢).

وورد القسم فاصلاً بين الفعل والفاعل كما في قوله:

"تمزَّق - والله - سريال الوفاء"^(٣).

وقوله:

" سار - والله - الركب المُخبون وتركوك ، ونجا - والله - المُخفون ولم يُلّوا عليك"^(٤).

وجاء معترضا بين الفعل ومفعوله من نحو قوله:

" أفدى - والله - هذه الفنون المستخرجة من هذا المعنى المصنوع، أفدى -والله -عيناً باتت تدمع من خشية الله، بل أفدى - والله - نفساً ظلت خاضعة مهينة هيبة الله، بل أفدى - والله - لساناً تلجلج بالاعتذار إلى الله ، بل أفدى - والله - قلباً ما يزال خافقاً حياءً من الله ، بل أفدى - والله - قدماً زلت على الحركة في سخط الله، بل أفدى - والله - يداً كفت بنانها عن تناول ما لم يُبحه الله، ... بل أفدى - والله - نعمة أُديت بها حقوق الله، بل أفدى - والله - عقلاً اشتاق إلى موعود الله ، بل أفدى -والله - كبدًا أوتر على الراحة لوجه الله ، بل أفدى -والله - الحديث عن الله والحياة مع الله، بل أفدى - والله -خاطراً يسنح مبشراً بذكر الله"^(٥).

وورد القسم فاصلاً بين "قد" والفعل في خمسة مواضع وهذا غير مستحسن لقوة اتصال "قد" بما

تدخل عليه من الأفعال، لأنها تُعتد مع الفعل كالجزء منه^(٦)، وذلك من نحو قوله مناجيا الله:

" ... فقد - وحقك - شددت الوثاق، وضيق الخناق "^(١).

(١) الإشارات: ص ٢٧.

(٢) الإشارات: ص ٢٤. يوجد مثل آخر ص ٢٩٥.

(٣) الإشارات : ص ٤٠٧.

(٤) الإشارات: ص ٤٢.

(٥) الإشارات : ص ١١٤.

(٦) الخصائص ، ج ٢ ، ص ٣٩٣.

(١) الإشارات : ص ١٢٢.

وقوله:

"... فقد - والله - توالى تعسى ، وخرجت بالحسرات نفسى " (٢).

وورد الاعتراض بالقسم بين حرف الجواب وجملته فى مواضع متعددة، وذلك من نحو قوله:

"... أفما تحنُّ بعد هذا التلطّف، والترقّق إلى قرارك الذى لا قرار لك دونه ؟ بلى - والله - قد آن وقته ... " (٣).

الاعتراض بجملة الشرط:

يرد الاعتراض بجملة الشرط لتقييد المعنى المراد التعبير عنه، وقد وردت محذوفة الجواب لدلالة الكلام عليه، جاءت معترضة بين ما أصله المبتدأ والخبر وذلك من نحو قوله:

".... وليت لها (يقصد النفس) - إذا كَمَلْتُ قوتها، واستحكمت شدتها - تثبتاً" (٤).

حيث فصل بجملة الشرط المحذوف جوابها بين المتعلق بخبر ليت واسمها المؤخر.

ووردت جملة الشرط المحذوف جوابها معترضة بين عنصرى تركيب جواب الشرط فى الجملة

الكبرى فى قوله:

"... لو صدقتْ النيةُ وجدَّتْ المرّةُ ، وخلُصتْ العزيمةُ، لكان قهر القلب - إذا عتا - سهلاً" (٥).

وقد وردت جملة الشرط الاعتراضية أكثر ما وردت متصدرة "واو الاعتراضية" التى تدخل على "إن" و "لو" الشرطيتين. وفى ذلك يقول الرضى فى شرحه على "كافية" ابن الحاجب: "وقد تدخل الواو على "إن" المدلول على جوابها بالمتقدم (١) ولا تدخل إلا إذا كان ضد الشرط المذكور ... كقولك: أكرمه ، وإن شتمنى فالشتم بعيد عن إكرامك للشاتم، وضده هو المدح أولى بالإكرام وكذلك قوله: اطلبوا

(٢) الإشارات : ص ١٣٩. توجد أمثلة أخرى فى صفحات ٨٥ ، ٢٦٢ ، ٢٧٨.

(٣) الإشارات: ص ٢١٤.

(٤) الإشارات: ص ٣٨٥.

(٥) الإشارات : ٢٧٠.

(١) هو يرى كما يرى البصريون أن جواب الشرط محذوف وأن المتقدم دليل عليه وليس جواباً، ويرى الكوفيون أن المتقدم هو الجواب وأن الأصل أن يتقدم جواب الشرط. شرح الرضى على الكافية ، ج٤ ، ص ٩٦ ، ص ٩٨.

العلم ولو بالصين. والظاهر أن الواو الداخلة على كلمة الشرط في مثله: اعتراضية ... كقوله (يقصد المتنبى):

وتحتقر الدنيا احتقارَ مجرب يرى كلَّ من فيها ، وحاشاك ، فانيا

وقد تجيء بعد تمام الكلام كقوله عليه الصلاة والسلام: " أنا سيد ولد آدم ، ولا فخر " فنقول في الأول (يقصد المعترضة بين أجزاء الكلام): زيد ، وإن كان غنياً ، بخيل وفي الثاني (يقصد التي تجيء بعد تمام الكلام) زيد بخيل ، وإن كان غنياً ، وجواب الشرط في مثله: مدلول الكلام، أى إن كان غنياً ، فهو بخيل فكيف إذا افتقر. والجملة كالعوض من الجواب المقدر " (٢).

وقد وردت جملة الشرط المبدوءة بـ "إن" و "لو" المصدرتين بواو الاعتراضية في مواضع متعددة توسطت أجزاء الكلام وذلك كما في قوله:

" فلا جرم، القول - وإن كان ناصعاً، رشيقاً، حسناً، بليغاً - مردود ، والدليل - وإن كان ساطعاً، بريقاً، جميلاً، قوياً - مجحود " (٣).

وقوله مخاطباً الله:

" فواصفك، وإن أطنب، عيي، وذاكرك، وإن أسهب، نسي، والناظر إليك، وإن حدّق، محجوب، والمتعرض لك، وإن تجلد، مغلوب" (٤)

وقوله:

"إنّ العارف - وإن ترقى في سلالمة المعرفة بحقائق الحال على تبين المكاشفة وغلبات المشاهدة - ليس له أن يخبر إلا بعد الإذن له..." (٥).

ووردت بعد تمام الكلام كما في قوله:

"... فإن واعظك إذا كان بهذه الحالة المخزية ، وعلى هذه المرتبة الهابطة، فكيف حال من هو متمادٍ في غروره ، متهاك في شروره؟ عنده أن الحزم كله في معاطاة الكأس بعد الكأس ، وشرب الخمر بعد

(٢) شرح الرضى : ج٤ ، ص ٩٨ ، ٩٩ ص .

(٣) الإشارات : ص ١٨٤ .

(٤) الإشارات: ص ٢٠٤ .

(٥) الإشارات: ص ٣٧٦ .

الخمير ونيل الشهوة بعد الشهوة ، وبلوغ اللذة بعد اللذة - ولو بخرق الدين، ولو بمفارقة المسلمين، ولو بترك الحياء بين جميع المبصرين والسامعين ، ولو على رؤوس الأشهاد من الصالحين والطالحين^(١).
فعطف على الجملة الاعتراضية "ولو بخرق الدين" جملاً اعتراضية أخرى ، تؤكد على خرق حدود الله.
وقوله:

"... فليس من المروءة أن تشكو صديقاً إذا قصر ، ولا من عزة النفس أن نجزع من عدو - وإن بالغ"^(٢).

الاعتراض بالنداء:

جاء الاعتراض بالنداء تودداً أو توبيخاً عند الحديث إلى الآخر، وتوسلاً وتأديباً عند الحديث إلى الله . وقد ورد معترضاً بين ما أصله المبتدأ والخبر من نحو قوله:

"اللهم : إنك، إن دعوتنا، دعوتنا في الظاهر بلسان تكليفك، وغمرتنا بضروب حججك ، وأسمعتنا محكم آياتك ، وشملتنا بأنواع خبراتك، وملكت نواصينا بقدرتك ، وظاهرت عندنا المخبرين عنك ، المرشدين إليك ، لكنك - يا ربنا - طويت عنا إرادتك بنا..."^(٣).

وقوله أيضاً:

"والعجب أنك - أيها العالم الفقيه ، والأديب النحوي - تتكلم في إعرابه، وغريبه، وتأويله، وتنزيله، وقصته، وشأنه، وكيف ورد، وبأى شيء تعلق، وكيف حكمه فيما خصّ، وعمّ، ودلّ، وشمل ، وكيف وجهه، وكيف ظاهره وباطنه ومشمّله ورمزه ، وماذا أوله وآخره .. ثم لا تجد في شيء مما ذكرتك به، ووصفتك فيه ذرة تدل على صفائك في حالك ..." ^(١).

وورد النداء معترضاً بين الفاعل والمفعول (الاسم الظاهر) كما في قوله:

(١) الإشارات : ص ٢٠١.

(٢) الإشارات : ص ٢١٠.

(٣) الإشارات : ص ٢٥٦.

(١) الإشارات: ص ٤٠.

"... إلها : نحن عبيدك ، متصرفون على إرادتك ... فغلب - يا إلها - رجاءنا على يأسنا"^(٢).

وورد معترضاً بين الفاعل والمفعول (المصدر المؤول) في قوله:

"... وقد علمنا- يا إلها - أنك لا تعاملنا بعد هذا الانقياد والاستخاء ... إلا بما أنت أهله في الجود والكرم"^(٣).

وورد فاصلاً بين المفعول الأول والمفعول الثاني (الاسم الظاهر) في قوله:

"... وقبل هذا كله فأنسنا - يا ربنا - خلقك فقد أشجونا فيك"^(٤).

وورد معترضاً بين المفعول الأول والمفعول الثاني (المصدر المؤول) كما في قوله:

"ومع هذا وذاك فإننا نسألك - اللهم - أن تقبلنا على علاقتنا..."^(٥).

وبين المفعول والجار والمجرور المتعلق بالفعل كما في قوله:

"... قد ناجيتك - يا سيدي - بلسان النعمة السابعة"^(٦).

الاعتراض بالجملة الدعائية:

تأتي الجملة الدعائية تودداً لمخاطبه واستمالة لمنصوحه ، وقد وردت جملة فعلية بسيطة إلا في موضع واحد وردت فيه جملة اسمية بسيطة مكونة من مبتدأ (مسند إليه) + جار ومجرور متعلق بالمسند المحذوف في قوله:

".... وإن عميت - والعياذ بالله - فما أتيت إلا من جهة أذن إذا سمعت لم تع"^(١)

وردت الجملة الدعائية الفعلية البسيطة وكان تركيبها: فعل ماض + فاعل ضمير متصل +

مفعول ضمير متصل. وذلك كما في قوله الآتي، إذ فصلت الجملة الدعائية بين المبتدأ والخبر:

(2) الإشارات : ص ٢٠٨

(3) الإشارات: ص ٢٦٠.

(4) الإشارات: ص ١٢١.

(5) الإشارات: ص ٢١٢.

(6) الإشارات: ص ١٢.

(1) الإشارات: ص ٣٥٩.

"هذا - فديتك - نبأ غريب" (٢).

ووردت على صورة التركيب: فعل + مفعول به ضمير متصل + فاعل اسم ظاهر وهو التركيب الأكثر شيوعاً للجملة الدعائية، وقد تضمن الجملة الأكثر شيوعاً أيضاً وهي "عافاك الله" وذلك كما في قوله:

"انتبه - عافاك الله - من هذه الرقدة التي قد استغرقتك بالأحلام" (٣).

حيث اعترض هذا التركيب بين الفعل والجار والمجرور المتعلق بالفعل .
وقوله:

"سل - هداك الله - عن آفات الأعمال..." (٤).

وقوله حيث فصل هذا الشكل من التركيب للجملة الدعائية بين النعت والمنعوت:
"هذا باب - عافاك الله - كلما قرع زاد رتاجاً" (٥).
وورد بين المؤكّد والمؤكّد في قوله:

"فالبدار - أكرمك الله - البدار إلى منازل الطاهرين الأبرار ... " (٦).
وورد بين تركيبين مستقلين في قوله:

"فقد نظرت - عافاك الله - ونظرنا ، وعرفت ، وعرفنا ... " (٧).
وبين الفاعل ومفعوله:

"فاختر - هداك الله - تجارة لا بوار لها " (٨).
وبين المبتدأ والخبر:

(٢) الإشارات: ص ٦.

(٣) الإشارات: ص ٣٣.

(٤) الإشارات : ص ٦٤.

(٥) الإشارات: ص ١٧٦.

(٦) الإشارات: ص ٢٠١.

(٧) الإشارات: ص ٢٥٥.

(٨) الإشارات: ص ٢٥٨.

"تَصَفُّحُ النَّفْسِ - عَافَاكَ اللَّهُ - صَعْبٌ..."⁽²⁾ .

وبين الناسخ وبين الجار والمجرور المتعلق بالخبر المحذوف في قوله:

"إِنْ كَانَ - أَيْدِكَ اللَّهُ - لِلْمُضَارَعَةِ حَكْمٌ، وَلِلتَّشَاكُلِ تَأْثِيرٌ ، وَلِلتَّلَافِ الْأَرْوَاحِ حَقِيقَةٌ ، فَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ مُرْضِيَّةٌ مُسْتَقِيمَةٌ"⁽³⁾ .

ووردت الجملة الدعائية على شكل التركيب: فعل + فاعل + جار ومجرور.

وذلك في قوله:

"الْحَازِمُ - أَخَذَ اللَّهُ بِيَدِكَ - مِنْ شَمَّرٍ"⁽⁴⁾ .

حيث فصلت بين المبتدأ والخبر.

ووردت الجملة الدعائية على شكل التركيب: فعل + فاعل اسم ظاهر + مفعول به اسم ظاهر

+ مضاف إليه ضمير متصل.

وذلك من نحو قوله، إذ اعترضت بين الفعل وفاعله:

" جَفَّ - أَنَارَ اللَّهُ صَدْرَكَ - الْقَلَمُ وَفَنَى الْقِرْطَاسَ، وَحَصَرَ اللِّسَانَ، ... " ⁽⁵⁾ .

وقد تمتد الجملة الدعائية بالعطف على أحد عناصرها فتأتى على صورة التركيب: فعل +

مفعول به أول ضمير متصل + فاعل اسم ظاهر + مفعول به ثان اسم ظاهر + حرف عطف + اسم

معطوف + مضاف إليه. وذلك في قوله:

"أُعْلِمُكَ - مَنْحَكَ اللَّهُ السُّوْلَ وَدَرَكَ الْمَأْمُولَ - أَنَّ الْجُمْلَةَ الْمَأْخُوذَةَ عَلَيْنَا الْمَسْوَقةَ بِالْعَقْلِ وَالشَّرْعِ إِلَيْنَا:

الْوَقُوفَ عَلَى الْمَقَاصِدِ بِحَقَائِقِهَا مِنْ غَيْرِ رَيْبٍ يَقْدَحُ"⁽¹⁾ .

وتأتى الجملة الاعتراضية جملة مركبة من تركيبين مستقلين فعليين كما في قوله:

(2) الإشارات: ص ٣٢٢ .

(3) الإشارات: ص ٣٩٤ .

(4) الإشارات: ٢٨١ .

(5) الإشارات ص ١٢٨ .

(1) الإشارات: ص ١٩٣ .

"وصل كتابك - وصلك الله بالخير ، وجعلك من أهله - تسألني فيه عن حالي" (٢).

وقوله:

"سألتني - رَفَقَ الله بك ، وعطفَ على قلبك - أن أذكر لك الغريب ومحنه ... " (٣).

وورد الاعتراض بأكثر من جملة في قوله:

"... ملّكت الهوى زمامك ، واجتلبت بسوء الاختيار حِمَامَكَ ، وانخدعت بلعاعة (٤) الدنيا ، والزخارف فيها - والله - يا أخى - المخاوف، والمتالف" (٥).

حيث اعترض بجملة القسم ثم بالنداء.

(٢) الإشارات: ص ١٧.

(٣) الإشارات: ص ٨٠.

(٤) اللعاعة: النبات الأخضر، قليل البقاء.

(٥) الإشارات: ص ٣٦٧.

الخاتمة

وبعد ،،

فهذه الدراسة الوصفية للجملة فى نص الإشارات الإلهية حاولت أن تكشف المقدرة والإبداع اللغويين لدى التوحيدى الذى لم يأل جهداً فى استغلال إمكانيات اللغة، وخصائصها، "وشجاعتها"؛ للإفصاح عن تلك التجربة الصوفية التى تضمنها النص الذى يعد أكثر نصوص التوحيدى كشفاً عن لغته وأسلوبه.

ولقد برزت عدة نتائج من خلال هذه الدراسة اللغوية، نذكر منها ما يأتى:

- عرض البحث محاولات اللغويين العرب القدامى والمحدثين لتحديد مصطلح الجملة وتقسيمها بالنظر فى تراكيبها، بالإضافة إلى عرض مفهوم الجملة لدى اللغويين الغرب على اختلاف مدارسهم، وحين عرض البحث الجملة من خلال النظرية التوليدية التحويلية، حاول أن يرصد ما تقرر لدى الباحثين من وجوه التقاء بينها وبين النحو العربى فى بعض أفكارها ومفاهيمها، التى ناقشها النحويون العرب من قبل، مثل سيبويه، وابن هشام، وابن جنى؛ وذلك مثل فكرة الجملة الأساسية النواة، والجملة غير النواة التى تنبثق من الجملة النواة عن طريق قواعد تحويلية، حدد اللغويون العرب معظمها قبل هاريس وتشومسكى بمحض النظر والتأمل فى لغتهم. وقد بلغ من شعورهم -وهم أرباب بيان- بأهمية تلك القواعد فى التعبير، وتصرفه، وقيمتها فى التواصل أن عدها أحد أعلامهم (وهو ابن جنى) من دواعى "شجاعة العربية". وكانوا يضعون نصب أعينهم أن هناك مستويين للكلمة وللجملة: مستوى ظاهر، ومستوى أساسى؛ ومن أجل الربط بينهما كانوا يلجأون إلى التقدير؛ حفاظاً على القاعدة اللغوية التى تعد المثل والأصل، ومن هنا نبعت لديهم قضية الأصل والفرع.

- اتضحت قدرة التوحيدى فى استخدام الجملة الطويلة، حيث جاءت تراكيبها ممتدة ومتشابهة بحسب امتداد جزئيات المعنى وتشابكها. ولم يستخدم التوحيدى الجملة مكتفياً بعنصرها الأساسيين إلا نادراً، ولكنه عمد، فى الأغلب الأعم، إلى استخدام العناصر المفردة الإضافية الاختيارية، حيث تعدد بعضها بدون رابط وتعدد البعض الآخر برابط، وكذلك عمد إلى الربط بين تراكيب مستقلة، وإلى الربط بين التركيب المستقل وبين تركيب أو تراكيب غير مستقلة، متوسلاً أحياناً بأدوات الربط اللفظى التى من أبرزها أدوات العطف وأدوات الشرط، وأحياناً أخرى

بالربط السياقى. وبذلك تميزت الجملة عند التوحيدى بتداخل تراكيبها وامتدادها وتعلق بعضها ببعض، حتى إنها قد تستغرق فقرة بكاملها فى كثير من المواضع.

- وفى إطار ما يعترى الجملة الأساسية من تحولات لدى أبى حيان اتضح أن أكثرها قد تمثل فى:
أ- حذف بعض العناصر اللغوية لأغراض تعددت، وكان من أهمها حذف أداة النداء وحذف الرابط اللفظى بين التراكيب والجمل وحذف المبتدأ.

ب- تغيير الترتيب بين بعض العناصر اللغوية فى الجملة ونقلها عن مواقعها؛ فتقدم بعضها وجوباً وتقدم بعضها جوازاً، وهو مما أباحه النحويون، وقد عد هذا الجواز، الذى هو عدول عن الأصل، تحولاً اختيارياً. وتمثل ذلك فى تقديم المفعول على الفعل أو توسطه الفعل والفاعل، وتقديم الجار والمجرور والظرف على ما تعلقا به. وجاء تقديم بعض العناصر موافقاً للقاعدة، وذلك مثل وجوب تقديم متعلق الخبر فى حالات نصوا عليها، وجاء تقديم البعض الآخر غير موافق للقاعدة، ولم يبيحه النحويون؛ وذلك مثل تقديم جواب الشرط على الأداة التى لها الصدارة حسبما اقتضت القاعدة، ويعدونه حينذاك محذوفاً بعد الأداة ويفسره ما قبلها. وقد اتفق البحث مع وجهة نظر أخرى للدكتور مهدى المخزومى يتابع فيها الكوفيين، وهى أن المتقدم على الأداة هو جواب الشرط؛ لأنه فى رأى هو المتمم لمعنى التركيب الشرطى؛ فلا داعى -إذن- لتقدير بنية باطنية متممة للمعنى، ومثيلاتها متحققة على المستوى الشكلى السطحى.

ج- زيادة بعض العناصر اللغوية التى منها ما يتصدر الجملة، فتؤثر فى مضمونها، فاهتم البحث بدراساتها، وكان أهمها فى نص الإشارات أدوات الاستفهام التى تدخل على الجملة فتحول معناها من الخبرى إلى الإنشائى؛ لكى تحمل مزيد من الانفعالات، ومنها ما يتخلل عناصر الجملة الأصلية، فتزيدها وضوحاً وتقوية وتسديداً، كما هو الحال مع الجملة الاعتراضية.
ولا شك أن جانباً مهماً من أسلوب التوحيدى يبدو من خلال دراسة ما يعترى الجملة الأساسية من تحولات.

ورجائى أن يكون قد أصابنى بعض التوفيق فى هذه الدراسة، ولسان حالى يقول دائماً:
"وقل رب زدنى علماً" صدق الله العظيم.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: تأليف ابن هشام تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الفكر ط ٦ ، ١٩٧٤م.
- الإشارات الإلهية: أبو حيان التوحيدي ، تحقيق عبد الرحمن بدوى ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ١٩٩٦م.
- الإشارات الإلهية: أبو حيان التوحيدي ، تحقيق وداد القاضى ، دار الثقافة ، بيروت، ١٩٧٣.
- الجنى الدانى فى حروف المعانى: المرادى ، تحقيق فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل دار الآفاق الجديدة ، ط ٢ ، ١٩٨٣م.
- الخصائص: ابن جنى، تحقيق محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ٣ ، ١٩٨٦م.
- الصناعتين: أبو هلال العسكري، تحقيق على محمد البجاوى، ومحمد إبراهيم فضل، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، ١٩٧١.
- الكتاب: سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- المقرَّب: ابن عصفور، تحقيق أحمد عبد الستار الجوارى وعبد الله الجبورى ، مطبعة العانى ، بغداد ، ١٩٨٦م.
- تاج العروس: الزبيدي، المطبعة الخيرية ، ط ١ ، ١٣٠٦ هـ
- حاشية الخضرى على ابن عقيل على ألفية ابن مالك: مطبعة دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
- حاشية الشيخ مصطفى عرفه الدسوقي على مغنى اللبيب: تحقيق عبد السلام محمد أمين، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠م.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك: دار إحياء الكتب العربية، د.ت.
- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجانى ، علق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣ ، ١٩٩٢ م.
- رصف المباني فى شرح حروف المعانى: الملقى ، تحقيق أحمد محمد الخراط ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق د.ت.

- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار التراث، القاهرة، ط ٢٠، ١٩٨٠ م.
- شرح التسهيل: ابن مالك، تحقيق عبد الرحمن السيد ، ومحمد بدوى المختون، دار هجر للطباعة والنشر، ط١، ١٩٩٠ م.
- شرح الرضى على الكافية: تحقيق يوسف حسن عمر ، منشورات جامعة قار يونس، مطابع الشروق ، بيروت، د.ت.
- شرح اللمع فى النحو: القاسم الواسطى الضرير، تحقيق رجب عثمان محمد، ورمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٠.
- شرح المفصل لابن يعيش: عالم الكتب ، بيروت، د.ت.
- شرح شافية ابن الحاجب: رضى الدين الاسترابادى النحوى، تحقيق محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الكتب العملية ، بيروت ، ١٩٧٥ م.
- شرح شذور الذهب: ابن هشام الأنصارى ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، د.ت.
- لسان العرب: ابن منظور ، دار المعارف، د.ت.
- معجم الأدباء: ياقوت الحموى، دار الفكر، ط٣، ١٩٨٠ م.
- مغنى اللبيب: ابن هشام الأنصارى ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الاتحاد العربى ، القاهرة، د.ت.
- مغنى اللبيب: ابن هشام الأنصارى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، مطبعة المدنى، د.ت.
- همع الهوامع: السيوطى، عنى بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعسانى، دار المعرفة، بيروت. د.ت.

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة:

- أبو حيان التوحيدي، رأيه فى الإعجاز وأثره فى الأدب والنقد: محمد عبد الغنى الشيخ ، الدار العربية للكتاب ، تونس.
- أثر النحاة فى البحث البلاغى: عبد القادر حسين ، دار النهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧٥م.
- أصول اللسانيات الحديثة، وعلم العلامات: جوناثان كلر، ترجمة عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، ط١، ٢٠٠٠.
- أصول اللسانيات الحديثة، وعلم العلامات: جوناثان كلر، ترجمة محمود حمدى عبدالغنى، راجعه محمود فهمى حجازى، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠.
- أصول تراثية فى علم اللغة: كريم ذكى حسام الدين ، الأنجلو المصرية ، ط ٣، ١٩٩٣م.
- آفاق جديدة فى دراسة اللغة والذهن :نعوم تشومسكى، ترجمة حمزة بن قبلان المازينى ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٥م.
- اتجاهات البحث اللسانى: ميلكا إفيتش، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، ووفاء كامل ، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ٢٠٠٠م.
- الأصول، دراسة أبيستيمولوجية للفكر اللغوى عند العربى، تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢م.
- الألسنية العربية، الألسنية ٢ النحو، الجملة، الأسلوب، ريمون طحان، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.
- بناء الجملة العربية: محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣.
- تحليل لغوى أسلوبى لنصوص من الشعر القديم: عبد الرحيم الرحمونى، دار الأمان، الرباط ، ط ١، ١٩٩٠م.
- تحولات حديث الوعى، قراءة فى التوحيدي، هالة أحمد فؤاد، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج٤، العدد الرابع، ج٢، ١٩٩٦.
- التطور النحوى للغة العربية: برحشتراسر ، ترجمة رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجى، القاهرة ، والرفاعى بالرياض، ١٩٨٢.

- جدلية الأفراد والتركيب: محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ١٩٩٥م.
- الجملة العربية : مكوناتها ، أنواعها ، تحليلها ، محمد إبراهيم عبادة ، مكتبة الآداب القاهرة ، ط٢، ٢٠٠١م.
- حوار العقل وسؤال الحرية: ماجد يوسف ، مجلة فصول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج ١٤ ، العدد الرابع ، ج٢، ١٩٩٦م.
- ظاهرة التخفيف فى النحو العربى: أحمد عفيفى ، الدار المصرية اللبنانية ، ط١، ١٩٩٦م.
- عصر الدول والإمارات: شوقى ضيف، دار المعارف، ١٩٨٠م.
- الفعل، زمانه، وأبنيته: إبراهيم السامرائى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٨٦م.
- فى التحليل اللغوى: خليل أحمد عمايرة ، مكتبة المنار ، الأردن، ط١، ١٩٨٧م.
- فى علم اللغة: صلاح حسنين ، كلية الآداب جامعة القاهرة، فرع بنى سويف ٢٠٠٣-٢٠٠٤.
- فى علم اللغة التقابلى دراسة تطبيقية: أحمد سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٢م.
- فى فلسفة اللغة: محمود فهمى زيدان ، دار الوفاء الإسكندرية ، ٢٠٠٢م.
- فى النحو العربى: نقد وتوجيه مهدى المخزومى ، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ط١ ، ١٩٦٤م.
- فى نحو اللغة وتراكيبها ، منهج وتطبيق: خليل أحمد عمايرة ، عالم المعرفة بجدة ، ط١ ، ١٤٠٤هـ..
- اللسانيات العامة وقضايا العربية: مصطفى حركات، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م
- لغة أبى العلاء المعرى فى رسالة الغفران: فاطمة الجامعى الحبابى، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٨٨م.
- اللغة العربية، معناها ومبناها: تمام حسان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، ١٩٧٩م.
- اللغة والإبداع: شكرى محمد عياد ، انترناشيونال برس ، ط١، ١٩٨٨.
- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى: رمضان عبد التواب ، مكتبة الخانجى ، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م.
- معرفة اللغة: جورج يول ، ترجمة محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء ، الإسكندرية ١٩٩٩م.

- المعرفة اللغوية: طبيعتها ، وأصولها ، واستخدامها ، نعوم تشومسكى ، ترجمة محمد فتيح ، دار الفكر العربى ، ط ١ ، ١٩٩٣م.
- مقدمة فى نظرية القواعد التوليدية: مرتضى جواد باقر ، دار الشروق ٢٠٠٢م.
- من أسرار اللغة: إبراهيم انيس، الأنجلو المصرية ، ط ٥ ، ١٩٧٥م.
- النحو العربى والدرس الحديث، بحث فى المنهج : عبده الراجحى ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ١٩٨٨م.
- النحو الوافى: عباس حسن، دار المعارف، ط ١٤ ، ١٩٩٩م.
- نظام الارتباط والربط فى تركيب الجملة العربية: مصطفى حميدة ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط ١ ، ١٩٩٧م.
- نظام الجملة فى شعر المعلقات: محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، ١٩٩٠.
- نظرية تشومسكى اللغوية: جون ليونز ، ترجمة حلمى خليل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط ١ ، ١٩٨٥م.
- نظرية النحو العربى فى ضوء مناهج النظر اللغوى الحديث: نهاد موسى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الأردن ، ١٩٨٠م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:-

- A University Grammar of English: Randolph Quirk and Sindey Greenhaum, Long man, 1983.
- English Grammar Composition and Correspondence: M.. Alderton Pink, and S. E. Thomas, London, 1979.
- Essentials of Grammar and Composition: Glenn Leggett, C. David Mead, and William Charvat.
- The Philosophy of grammar: Otto Jespersen, London.
- The Structure of English: Charles Fries, New York, 1952.